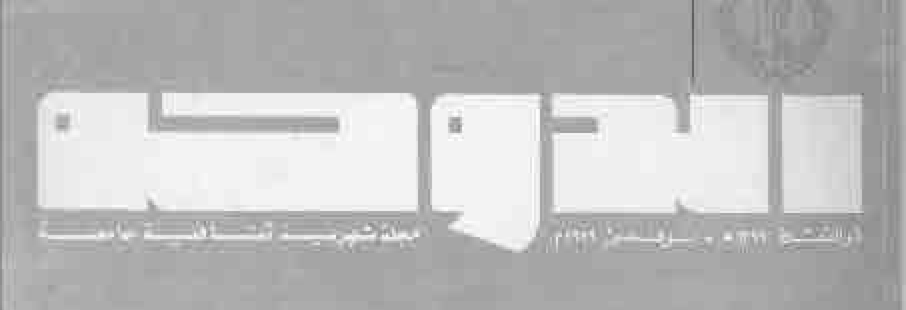


مجلة شهرية ثقافية جامعة

فصل من تاريخ صحافة الخليج

إحسان عبد القدوس والرواية والسياسة والصحافة

مسرحية بقلم: ألفريد فرج

حديث الشهر

الدكتور محمد ابراهيم الشوش



العالم ومال العرب

المخططات المغرضة تريد أن تقنع العالم بأن امتلاك العرب للمال جريمة.

هل العرب مسئولون - حقا - عن التضخم المالي الذي يعانيه العالم ؟!
العرب دون سواهم • لماذا هم المرصودون من اجهزة الدعاية المغرضة ؟

العالم •• ومال العربي

لا يزال اللغط الكثير والاليم يدور في كل مجالات الحديث حول أموال العرب وأسلوب صرفها والتصرف فيها في منتديات العواصم العالمية وملاهيها ، ولا تزال اقلام الكتاب تنغمس في هذا المداد الذي لا ينضب معينه ، تملأ به الاف الصفحات بمختلف اللغات ، ضاحكة هازئة هازلة جادة مشفقة أحيانا ، ومليئة بالحقد والحسد والتشفي في اغلب الاحايين ، ولا تزال ريشات رسامي الصور الهازلة في الشرق والغرب تعب من هذا النبع الثرى الذي تفتحت خزائنه كما تنبثق عن الارض آبار النفط ، واذ الخيال يتفتق والقريحة تستثار ، وما تزال آلات التصوير تلتقط الغريب والعجيب تستغل الطيبة فينا والسذاجة احيانا والغفلة في كل الاحايين عند اناس خيرين طيبين بالفطرة ، لا يعرفون اساليب العالم الملتوي ويجهلون كل الجهل طرق الدعاية الشيطانية الخبيثة ، ولانهم طيبون يحسبون الناس كلهم طيبين !••

نعم لا تزال اجهزة الاعلام ـ ولا اقول في الغرب وحدها ـ ترتع في هذا الحقل الخصيب يجد فيه البعض متنفسا من غيظ مكتوم يريدون ليظهروا العرب مظهر من يملكون الذي لا يستحقون ، ويتصرفون في الذي لا يفقهون ولا يدركون • ويجد فيه البعض سلاحا ماضيا للتكريه في العرب واحتقارهم واظهارهم بمظهر الفاسد الذوق ، البعيد عن كل مظهر من مظاهر الحضارة والتمدن ، يثيرون احقاد اولئك الذين يدبون في الارض بعناء شديد يحسبون الضئيل الذي يملكون بقدر وحساب لا يكاد يكفي قوت عيالهم وعلاجهم ، بحديث اغلبه كاذب وملفق بتخطيط وترصد واصرار عن ملايين تبعثر في اندية القمار ومواقع اللهو ، وعن الذين يشترون القلاع والقصور التي لا يسكنون ، واللوحات التي لا يرون ، وعن الذين يهدون سيارات « المارسيدس » الفاخرة لسائقيهم الذين لا يعرفون الا ليوم او بضع يوم ، وعن الذين يدخلون المتاجر يشترون الذي يريدون والذي لا يريدون لانهم اصلا لا يعرفون الذي يريدون • احاديث مسمومة تروى في مجالي التندر والفكاهة والضحك ويراد بها حقا اثارة الغيرة والحقد والحنق والغيظ •

صحفنا لا تدرك الفخ المنصوب

حتى بعض صحفنا لا تدرك احيانا الفخ المنصوب ، تريد هي الاخرى ان تعب من هذا النبع الذي انكب عليه كالذباب فكاهيو الدرجة الرابعة والخامسة ، تحكي احداها بفخر وفي صفحتها الاولى كيف ان احد اثرياء العرب توقفت سيارته الفارهة امام اشارة المرور ، في احد شوارع لندن او باريس لا ادري ••

فاخرج كيس نقوده وراح يبعثر الدولارات في عرض الشارع ليتلذذ بمنظر الاجانب ـ اولئك الذين اذلوا بلاده واستعمروها ـ ينكبون على الارض بجلالة قدرهم يلتقطون الاوراق المالية ، تماما كما يتلذذ زوار حديقة الحيوان وهم يلقون باللب في حظيرة القرود • ولو صح هذا الذي تذكره هذه الصحيفة ـ وهو بعيد عن المنطق والعقل ـ لعد ذلك دليل جنون لا دليل غيرة وطنية او عظمة •

والدعاية المسمومة بعد كل ذلك لا ترمي فقط الى اساءة سمعة العرب وتشويه صورتهم في اذهان الغرب ، ولكنها ترمي في خبث شديد الى تأليب العرب بعضهم على بعض ••

وازدادت الحملة شراسة وانبرت الاقلام وسلت السيوف حين بدا العرب في تواضع شديد يستغلون بعض الذي يقبع في بنوك الغرب لشراء ، او الاشتراك في شراء قلة ضئيلة من المؤسسات التجارية والعقارات التي لا تقدم ولا تؤخر ، وهو امر عادي وطبيعي ويحدث في كل انحاء العالم ، وتشترك فيه كل جنسيات العالم ، ولكنه يتحول عندما يتصل الامر بالعرب الى غزو متوحش ، وجريمة نكراء تثير الغضب والاشمئزاز وصرخات الحرب والويل والثبور كما تشيع روح الفكاهة والمرح في كتابات الكتاب ، ورسومات الرسامين حتى ليوشك العالم ان يقتنع ـ ان لم يقتنع بالفعل ـ بأن مجرد امتلاك العرب للمال جريمة لا يجب ان تمر دون حساب •

كل ذلك يدور في اطار اقتناع عنصري بليد يرفض ان يكون للعرب او لغيرهم من أمم العالم الثالث هذا المال الوفير في وقت يعانون هم ـ اصحاب الحضارة والذكاء والمنعة والقوة من ضائقة مالية تهدد مستوى المعيشة الذي تعودوا عليه حين كانوا يمتلكون مصائر الاخرين • وفي اطار هذه الحملة الدعائية المكثفة لم يكن غريبا ان ترتفع اصوات ـ تعد مسئولة ـ تنادي بكل جراة باستعمال القوة ان تصرف العرب في اموالهم بالصورة التي لا يرغبون هم فيها •

يراد من كل هذا ان يلقوا على عاتق العرب مسئولية التضخم المالي الذي يعاني منه العالم ، وبالتالي تحطيم النظام الاقتصادي العالمي ، وتقويض الحضارة واسلوب التمدن الذي ينعم به عالمنا ـ فهم ـ كما تصورهم ابواق الدعاية ـ مسؤولون عن التضخم برفع اسعار النفط الذي كان للغرب وحده فضل استخراجه من باطن الارض ـ يصورون كل ذلك جشعا ، اما ارتفاع اسعار



ما يصنعون ويصدرون ، اما استغلالهم مئات السنين لخيرات العالم الثالث من المواد الخام فامر لا يجب أن يسألوا عنه هم اساطين الارض وشعوبها المختارة .

الصهيونية وراء تكثيف الحملة!

وصحيح أن كل هذا اللغط من وحي تدبير وتخطيط مركز ليخدم اغراضا متعددة الجوانب وليغطي بعض احتمالات شر مدبر ومن وحي أحاسيس عنصرية مريضة حاقدة غذتها قرون طويلة تمتد عبر الحروب الصليبية ومذابح البلقان ، وصحيح ايضا أن الصهيونية العالمية ومن ورائها مخططوها المنتشرون ، في جميع انحاء العالم واجهزة الاعلام التي تأتمر بامرها تلعب دورا خطيرا ومركزا في تكثيف الحملة بكل صورها الجادة والعابثة لاثارة الاحقاد الكامنة في ضمير التاريخ البعيد والقريب ، ومستغلة الواقع الاقتصادي المرير في العالم ، وصحيح ايضا أن بعض أجهزة اعلامنا وصحفنا تجاري هذه الحملة عن غرض وعن جهل ، وصحيح أن عشاق الكلام ـ فينا ومنا ـ في مجالس البطالة الممتدة عبر ساعات الليل والنهار يجدون في كل هذا مجالا واسعا للتندر والسخرية واطلاق الضحكات العالية دون ادراك لابعاد الذي يضحكون عليه .

كل هذا صحيح ومقبول . وتحريف التاريخ والواقع ليس غريبا على أجهزة الاعلام الغربية ، وعلى العقلية الصهيونية العنصرية ولكن الحقيقة تبقى بعد ذلك أن بعض أثرياء العرب او المحسوبين عليهم يغذون هذه الحملة بتصرفاتهم حين يحطون في بلد اجنبي ومن حسن الحظ انهم قلة قليلة لا يعتد بها وليسوا في الذي يفعلون في ملاهي عواصم العالم باكثر مما يفعله مواطنوا الامم الاخرى ، ولكنهم هم المرصودون الذين تسلط عليهم الاضواء دون سواهم ، وهم الواضحون شكلا وملبسا ، وحتى هؤلاء القلة من طلاب اللذة العابرة لابد منتهون آجلا ، والحمد لله الذي جعل احتياجات الفرد من لذة الطعام ، والجنس ، واللهو محصورة الاجل محدودة القدرة مهما صرف فيها من مال . والحمد لله أن جعل الاستمتاع بهذه المتع الاولية الاساسية تحتاج الى قدرات وامكانات ليس المال من بينها ولله في خلقه شؤون .

وصحيح ايضا أن هنالك صرفا تفاخريا في بعض أجهزة دول العالم الثالث ـ يستوي في ذلك غنيها وفقيرها ـ لا يستند على واقع او خطة متكاملة بايعاز من بعض الدول الصناعية المتقدمة رغبة منها في تصريف مصنوعاتها والاتها في أسواق غير مدربة وصرفا لهذه الدول عن التخطيط الاقتصادي السليم الذي يكفل لها النماء والاستقلال وحرية التصرف ، وكنتيجة طبيعية لقصر تجربة هذه الدول في ميدان العمالة المدربة والتخطيط ، ولكنها حالات قليلة ونادرة ومنقرضة بحمد الله ، بل ان التصرف الحكيم لسياسات اغلب هذه الدول برغم قلة الخبرة واطماع الطامعين جعلها تحرز نجاحات في المجال السياسي والاقتصادي والثقافي تعتبر تاريخية ونادرة في حياة الامم .

ماذا يبقى على عاتق القادة ؟

ومع ذلك وتجاوزا لاغراض المغرضين وملق المتنفعين وتجاوزا للسلبيات الطبيعية والمفتعلة التي اشرنا الى بعض منها ، تبقى على عاتق القادة منا ، وحملة الرأي والفكر من مسئولينا ومثقفينا مسؤولية دينية وتاريخية ووطنية وانسانية وهي مسؤولية العمل الدؤوب الخلاق لتوجيه هذه الاموال التي وضعها الله ـ جلت قدرته ـ امانة في أعناقنا لخدمة قضايا الوطن والانسانية في اطار تخطيط يستند الى العلم والقدرة والواقع المادي كما يعتمد على الحس الانساني الروحي الديني الذي ينظر الى أبعد من مجرد متطلبات الجسد ، ويرنو الى أفق أرحب من معايير هذه الحضارة المادية الجافة التي لا تعترف الا بمنطق الكسب والخسارة كما تسجلها الات المحاسبة والعقول الالكترونية .

وفي عالم يعاني من نقص خطير في الغذاء في وقت يتزايد فيه السكان وتقل الموارد المتاحة ويواجه العالم

- اقرأ لهؤلاء في العدد القادم :
- د. يوسف ادريس
- د. عز الشريف قاسم
- د. نعيم عطية
- علي المك
- رءوف توفيق

تكون البلاد فقيرة بقدر ما تسمح للاستثمار أن يتحول إلى جيوب المنتفعين!
بعد كل هذا: ماذا يتبقى على القادة من واجبات؟

فاجعة في مستقبله القريب ، يمكن ان تتحول هذه الاموال الى سلاح خطير يعيد امجاد العرب ويرفع راية الحضارة والقيم الاسلامية ، ويبعث القدرة الروحية الكامنة فينا لننقذ العالم مما يتردى فيه الان من ياس وتخبط وعجز ، بدل ان تكون هذه الاموال نقمة ومحط تندر وسخرية وفرصة لذة عابرة لقلة تائهة ·

ومن هنا تنبع اهمية الدعوة الانسانية الخطيرة التي انبرى لها الاستاذ توفيق الحكيم في عدد الاهرام الصادر في ٢٠ شوال عام ٩٦ الموافق ١٤ اكتوبر عام ١٩٧٦ ، حين دعى الامة العربية الى تبنى مشروع نشاء صندوق دولي لتمويل العلوم الخادمة للسلام ومشروع « تعديل الميزانيات العسكرية بما يتمشى مع هدف النظام الجديد للاقتصاد العالمي » الذين قدمهما كوستلر لهيئة اليونسكو اذ يقول الحكيم :

« واني لاطمع في امر محبب الى نفسي بصفة خاصة ، هو ان تكون الشعوب العربية واغنياؤها وحكوماتها هي المتحمسة ، وهي السباقة الى المناداة والمساهمة في تمويل هذا الصندوق · حتى يكتب في تاريخ البشرية ان العالم الذي وجه الى انتاج الاسلحة المدمرة كان بتشجيع العالم الغربي ، فقام في مواجهته العلم الذي اتجه الى اطعام الشعوب بتشجيع من العالم العربي ·
وليس هذا بغريب من بلاد نشات فيها الاديان السماوية التي تحض على اطعام المسكين ، والرحمة بالفقراء والمعوزين ·

نعم ·· اني اطمع في ان يكون هذا المشروع هو « مشروع العالم العربي » حتى اذا ارتفع صوت العرب في العالم بانهم هم المتبنون للعلم الجديد الذي يطعم البشرية ، فاي قوة معنوية بين شعوب الارض سوف يكتسبونها ؟ واي مجد سوف يكتب من جديد للعرب في تاريخ الانسان ؟ » ·

افتراضات تخالف الواقع والحقائق

والنظرة الى استخدام المال العربي في اطار مادي محض ياخذ في حسبانه فقط معايير في تقدير الربح والخسارة ، والضمانات المالية ، ودون اي اعتبار وطني او انساني ، تشكل خطا تاريخيا فادحا وخطيرا للغاية · فالذي يتردد في بعض الاوساط ، وبتشجيع غربي بلا شك مدفوع باحساس معاد للعرب ، ان رأس المال ـ عربيا كان ام اجنبيا ـ جبان بطبيعته ولابد من احاطته بضمانات مالية كافية تكفل حمايته وتاكيدات ، باستمرار الاستقرار السياسي والاقتصادي الامر الذي لا يتاح الا في البنوك الاجنبية وفي البلدان المتقدمة القوية المانعة المستقرة ، والتي تجيد التعامل بالمال وتحقيق اكبر فائدة ممكنة ، والذي لا يتاح بالقطع في بلدان الوطن العربي والعالم الثالث التي لم تستقر فيها الاوضاع ولم تكتسب خبرة طويلة في استخدام المال بصورة تحقق الربح السريع ـ ان صح هذا الزعم ـ برغم ما يحتويه من افتراضات تخالف الحقائق والواقع فانها تغفل ضمانا اكبر بكثير من مجرد تحقيق العائد السريع والمحافظة عليه وهو الضمان بالا يستخدم هذا المال خبجرا يغمض في صدر من يودعه ، الا يستخدم سلاحا ماضيا في يد اعداء من يملكونه وهو امر اذا تحقق في اطار الوطن العربي لا يتحقق خارجه ومن هنا فان الاستناد الى معايير تجارية محضة في اسلوب استخدام المال العربي لا يعتبر خطا اخلاقيا فقط وانما هو خطا مادي ومصيري ومالي في الوقت ذاته ·

ونحن هنا لا نريد ان نغفل الجوانب العملية والواقعية في استخدام راس المال العربي · بل نحن نؤمن بانه





لابد ان يكون هنالك حد ادنى من الضمانات حتى يمكن ان يتحول المال العربي الى خدمة الاهداف الوطنية والانسانية · والدول الغربية التي تحتاج الى استثمار راس المال العربي لاستخراج كنوزها تتحمل المسؤولية بقدر الدول التي تمتلك القدرة على الاستثمار ·

ولا يكفي أن نستثير حمية ووطنية الدول التي تملك المال بالخطب المنبرية الجوفاء التي لا يمكن ان تقنع صاحب رأس المال أن يجازف بامواله في ارض تفتقد الى الاستقرار ، وفي أوضاع تفتقد الى الضمان ·

● واجبات القادة : مرة اخرى

ومن واجب قادة هذه الدول ان يساعدوا رأس المال العربي في اداء رسالته الوطنية والانسانية بأن يهيئوا الاطر السليمة في بلادهم لهذا الاستثمار حتى يمكن ان ينشأ وينمو في جو من الاطمئنان والاستقرار وتهيئة الكفاءات الجادة والقادرة والامينة على استغلال هذا الاستثمار في أوجهه الصحيحة · اذ ان مجرد وجود مجالات للاستثمار في بعض انحاء الوطن العربي ، ووجود اماكن اخرى تحتاج الى هذا الاستثمار لا يعني بالضرورة ان تتحول هذه الاستثمارات اليها دون جهد ، وعمل ، وتأكيد ، وضمانات ، وثقة ، ومشاريع مدروسة دراسة علمية وواقعية ، لا مجرد خطط وأحلام وطموحات غير ناضجة تتكىء على بعض شعارات لا تجدي ولا تغني في ميدان المال والتجارة ·

ومن ناحية اخرى فان النظر الى القضية برمتها باعتبارها قضية دول فقيرة تسعى الى الحصول على مساعدات اخوية من شقيقات غنيات نظرة سطحية للغاية فالفقر والغنى لا يعتمدان على مجرد السيولة المالية ـ فالسودان مثلا ـ وهو أحد البلاد التي تحتاج استثمارا واسعا ـ بما يملك من امكانات زراعية تكمن في باطن ارضه وثروة حيوانية تمتد عبر مساحاته الشاسعة لا يمكن بحال من الاحوال وباي معيار من المعايير أن يعد بلدا فقيرا · وكيف يكون بلدا فقيرا من تتسع أرضه وتختزن في جوفها ما يوفر الغذاء لعالم جائع · وقس على ذلك بقية الدول والمناطق ذات الارض المعطاءة البكر على امتداد الوطن العربي · ومصر بما تملك من امكانات بشرية وأرض تحمل الخير كما حملته عبر القرون لا يمكن أن تعد بلدا فقيرا باي مقياس من المقاييس · وكيف يكون فقيرا من يملك الخبرة والقدرة ويضعها في خدمة الاخرين ؟ وقس على ذلك كل مناطق العالم العربي التي تملك الخبرة والقدرة ·

والبلاد ـ اي بلاد ـ انما تكون فقيرة بقدر ما تسمح للاستثمار ان يتحول الى جيوب المرتشين والمنتفعين ، فقيرة بقدر ما تضع من مسئوليات في أيد عابثة ضعيفة الكفاءة ، فقيرة بقدر ما تسمح بتحويل ما يرد اليها الى المتع الرخيصة التي لا يستفيد من ورائها الا طفيليات المجتمع ونفاياته ·

وكذلك البلاد ـ اي بلاد ـ لا تكون غنية بما تملك من ثروات وانما بما تملك من قدرة على استخدام ثرواتها في اطار وطني وعلمي سليم ·

● القضية ليست : فقراء واغنياء

والمسؤولون في البلدان التي تملك امكانات تحتاج الى الاستثمار حين يحثون اخوتهم الاشقاء على وضع أموالهم لتحقيق هذه الغاية لا يطلبون فضلا لذواتهم او لمواطنيهم فقط وانما يؤدون خدمة للانسانية جمعاء حين يسعون لاستخراج كنوزهم المدفونة لتكون في خدمة البشرية ·

القضية اذن ليست ، ولا يمكن ان تكون ، قضية فقراء واغنياء وانما هي تحقيق رسالة وطنية تحتاج الى مساهمة الجميع ، الذين يملكون الارض ، والذين يملكون المال ، والذين يملكون الخبرة · وبهذا وحده يمكن أن يرتفع صوت العرب في العالم بأنهم هم المتبنون للعلم الجديد الذي يطعم البشرية ويكتسبون المجد والقوة ويعود الانسان العربي مرة اخرى ليحتل مكانه المشرف في تاريخ الانسانية كما يحلم توفيق الحكيم ·

ان المعادلة صعبة وخطيرة ، والمسئولية جسيمة وكبيرة · لقد اراد الله لهذه الارض قبل أربعة عشر قرنا من الزمان أن تنبت وهي الارض القاحلة ـ قوة وطاقة بشرية هائلة امكن لها ان تغزو عالما كان فاحش الثراء والغنى وان تزرع فكرا ودينا قويما وحضارة سامية شامخة ، ثم فجرها الله في عالمنا المعاصر خيرا عميما في عالم ينوء باهوال غلاء طاحن يواجه مستقبلا مظلما من الجوع والفاقة ـ ولقد منحنا الله هذا الذي نملك والذي هو قادر على انقاذ البشرية ليبلونا بها ، ونحن بعد في مواجهة هذا الامتحان العسير امام خيارين ، اما ان نكون بحق ابناء ابائنا الذين حملوا مشعل الحضارة الى العالم في يوم من الايام وهم لا يملكون شيئا الا ايمانهم بربهم وأنفسهم ، واما ان نبقى نحن ·· نحن كما تصورنا اجهزة الاعلام الهازئة بنا او تريد لنا ان نكون في الضياع الى ابد الآبدين ···

محمد ابراهيم الشوش

مجلة الدوحة .. والأصالة الخليجية المأمولة

محمد جابر الأنصاري

درجت الصحافة الراقية في البلاد المتحضرة على اشراك قرائها في همومها ومعاناتها نحو تطوير ذاتها وتحقيق تفاعل أعمق وانضج بين كتابها وقرائها . وقد نشرت (الدوحة) في العدد الماضي مقالا عن معاناة الصحافة العربية بصفة عامة بقلم رئيس التحرير أبان فيه أهمية التفاعل بين الصحيفة وقرائها .

ومن هذا المنطلق اعتقد انه من المفيد لنا نحن كتاب الدوحة وقراءها لو التفتنا بعض الشيء الى معاناتنا الصحفية الذاتية ايضا ، وفكرنا مع قرائنا بصوت مسموع حول اهتماماتنا واهماماتهم .. حول ما ننتظره منهم وما ينتظرونه منا .. تاركين التعميم الى التخصيص .

والحقيقة ان قراءنا على اختلاف مشاربهم يجمعون على ان (الدوحة) مجلة ذات مستوى طيب عربيا ، وانها بدأت بداية جيدة .. ولكنهم يتبعون هذا التقييم العام بملاحظة واحدة متكررة : « .. لولا ان طابعها الخليجي لم يتبلور بعد .. لولا ان ارتباط مقالاتها بقضايا المنطقة غير وثيق .. لولا ان اهتمامات الكاتبين بها غير مترسخة في التربة القطرية والخليجية .. » .

واذكر ان احد المثقفين من أبناء المنطقة قال لي بعد ان تصفح مجموعة اعداد مجلة (الدوحة) : لقد وجدت بها موضوعات عن المعتزلة وصراعهم مع بني امية وبني العباس .. وقرأت فيها سردا لحياة جمال الدين الافغاني .. ووصفا لحي خان الخليلي .. وتاريخا لعدم الانحياز .. وهذا كله جميل .. ولكن اين ابحاثكم عما يهمنا ونعايشه يوميا ومصيريا من قضايا النفط والطاقة .. وحركة التنمية الهائلة التي تشهدها كتلة دول الخليج والجزيرة العربية .. وعن مشروعات التعاون التنسيقية الكبرى ذات المدى البعيد بين بلدان هذه الكتلة ؟ وعن الاستراتيجيات الدولية والتفكير الدولي حول المنطقة وعن قضايا علم المستقبل الذي يتزايد الاهتمام به في كل مكان ، وتأثير هذا العلم على مصيرنا ومصير اجيالنا في المنطقة .. هذه موضوعات كيف غابت عن اهتمامات المحررين والكتاب في مجلة الدوحة ؟..

ونحن نعترف من جانبنا ـ برحابة صدر وبقبول لواجب النقد الذاتي ـ اننا كأسرة تحرير وكمساهمين في كتابة المقالات لم نصل بعد الى ترسيخ الاهتمام بالقضايا الخليجية الى هذا المستوى كما نود ان نوضح ان طرحنا لهذا الموضوع لا يقصد به قصر اهتمامات مجلة (الدوحة) ـ ذات الافق العربي الرحب ـ على قضايا الخليج وحدها .. بل ما ترمي اليه على وجه التحديد هو وضع القضايا الخليجية في صميم دائرة الاهتمامات العربية ، وخلق علاقة فكرية صميمة بين ماهو خليجي وماهو عربي حتى لا يبقى الخليج تلك المساحة النفطية المجهولة بالنسبة للمثقف العربي ، وحتى لا ينحصر تعامل العرب مع الخليج في اطار القروض والعلاقات المالية ، أو في اطار العمل في بلدانه لتحقيق الربح المادي السريع أو الشهرة العاجلة .. لا اكثر . فالواجب العربي يحتم أن ترتفع هذه العلاقة من مستوى المادة والمصلحة الى مستوى الفكر والروح .. مستوى التفاعل القومي الحميم .

ولكن هذا الهدف الكبير لا يستطيع كاتب واحد في المجلة ان يحققه بكتابة موضوعات خليجية معينة . كما ان نشرنا لمقال خليجي واحد أو اثنين في كل عدد يجب الا يكون ستارا لعدم تحقيقنا لذلك الهدف الذي لن يتحقق الا اذا شاركت أسرة التحرير كلها في صلب هذا الاهتمام ، كل من جانبه وزاويته وموهبته ، والا اذا تحول الاخوة الكتاب العرب الذين يراسلوننا من الموضوعات القديمة المصفوفة في ادراجهم الى معالجة قضايا عربية خليجية حية وبنظرة تحليلية موضوعية ـ بالطبع ـ لا باسلوب المجاملة والاطراء .

عندئذ ، وعندئذ فقط ، سيكون من حقنا على قرائنا في الخليج والوطن العربي أن نطلب منهم المشاركة والمتابعة والتفاعل . غير اننا ونحن نحاول بجدية ترسيخ اهتمامنا في جذور هذه التربة التي نصدر منها لا نستغني عن اراء القراء واقتراحاتهم .

اننا نمد أيدينا مفتوحة لكل من يشاركنا هذه المعاناة من الكتاب والقراء على حد سواء .

عبد الرحمن أبو عوف

حوار مع الروائي والكاتب السياسي إحسان عبد القدوس حول:

الرواية والسياسة والصمت

- ○ لست راغبا في الصمت أو غير راغب .. إنما هي ظروف !
- ○ كل التأملات قائمة على درجة التطور الحضاري في البلاد العربية
- ○ توفر الإمكانات وحدها دون الخبرات .. لا يكفي!
- ○ السياسة والرواية يتحدان عندي في إطار تطلع الواقعية إلى الأماني الخيالية!
- ○ الرواية عندي تولد من خلال تجربة تقودني إلى رأي

عندما يختار الصمت متعمدا ـ وفي هذا الوقت بالذات ـ روائي وكاتب سياسي بارز كاحسان عبد القدوس ، خاض بقلمه وفكره وابداعه دوامة تطورات الحركة الوطنية والاجتماعية بكل جوانبها المضيئة والمظلمة في بلادنا منذ اوائل الاربعينات وحتى الان ٠٠

عندما يحدث ذلك ٠٠ نواجه على الفور بتساؤل قلق ومحير يبحث عن اجابة !٠٠

ولقد سمحت لنفسي أن أحمل هذا التساؤل ، واقتحم به صمته ورفضه الحديث في مسائل لها حساسيتها السياسية والاجتماعية ، تعود احسان عبد القدوس حسمها ، واختار طريقه وسط كل أزمة عاشتها صراعات التطورات السياسية قبل وبعد ١٩٥٢ ٠ هذا الطريق كان دائما مع حركة شعبه وامته ضد كل العداء والتآمر الداخلي والخارجي ٠٠

ولقد انتهت محاولتي المجهدة باقناعه بالتحدث ٠٠ خاصة لجيلنا الذي يرتبط احسان عبد القدوس في وجدانه بعديد من المواقف الشجاعة كابرز الصحفيين الذين شاركوا باقلامهم في تعبيد الطريق امام ثورة ١٩٥٢ ٠

ولست في حاجة لتكرار مساهماته في روز اليوسف ، في اقوى معارك الحركة الوطنية والديموقراطية في الاربعينات والخمسينات ٠ ان صدى حملته على اللورد « كيلرن » ، ومطالبته بالخروج من مصر ، وتحمله مسئولية اخفاء « حسين توفيق » في قضية اغتيال « أمين عثمان » ، ومقالاته التي كشفت أخطر المؤامرات على الشعب في قضية الاسلحة الفاسدة ، في حرب فلسطين ١٩٤٨ ، والتي ادت الى استقالة الفريق حيدر باشا كل هذا سمع عنه جيلنا ويحاول قدر الامكان العودة لدراسته في ضوء ما كان يحدث في قلب المجتمع المصري من غليان قبل ١٩٥٢ ٠

ان هذه المعارك التي مهدت الارض لقيام الثورة ، بجانب علاقات العمل مع قيادة الثورة في فترة التحضير وبعد قيامها ٠٠ حملته مسئولية الاختلاف بشجاعة وصدق في أخطر ازمات الثورة وما يمكن أن نسميه مفترق الطرق ٠ اقصد ازمة مارس ١٩٥٤ ٠

ان المقالات التي كتبها وخاصة مقالة « الجمعية السرية التي تحكم مصر » كانت وما زالت التحليل الواعي والنبوءة التي ادركت ما اعقب ذلك في طريق الثورة ، حين حملت بداخلها عناصر أزماتها مع الديمقراطية ، ومشكلات التحول الاجتماعي ، وقضية الوحدة العربية وصراعها مع الاستعمار العالمي ٠

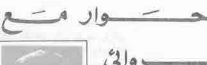
لقد تاجر الكثيرون من السياسيين والصحفيين من كل الاتجاهات بقضية مارس ١٩٥٤ ٠ وتكيف البعض وركب الاخرون الموجة ٠ واكل الجميع من كل الموائد ٠

والقليلون هم الذين حافظوا على أمانة الكلمة وشرف التعبير عن قضايا الشعب في الحرية والتقدم ٠٠

ان احسان عبد القدوس ـ وهو واحد من هذه القلة ـ من حق جيلنا عليه أن يقيم معه حوارا نبني عليه استمرار نضالنا ضد كل ما يعيق تقدمنا ٠٠

ولكن ٠٠ يبقى جانب اخر من احسان عبد القدوس ربما هو الذي اعطاه سر الاستمرار والتجدد ٠ وهو حساسيته كفنان وروائي قرأ جيلنا رواياته ، التي كان لها سحر مخاطبة وجداننا في مجتمع ينقسم في شخصيته امام مشكلات علاقة الرجل بالمرأة ، وحرية الفتاة المصرية ٠ انه وجيل كتاب الرواية في الخمسينات وحتى أواخر السبعينات قد شارك نجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوي وعبد الحميد جوده السحار ، في جعل الرواية المصرية مرآة تتجول في زمن احداث المجتمع المصري بكل تمزقاته واخلاقياته واساطيره ٠ وربما كانت مطامح هذا الجيل الروائي الرائد قد تمت على حساب بعض جماليات فن الرواية ، وضرورة استكمال ثقافة العصر وخبراته الحضارية وفهم درجة تفاعل العقل المصري بكل التيارات الحديثة التي تتصارع في لوحة العصر ٠

لقد قدم احسان عبد القدوس ومنذ (النظارة السوداء ، وانا حرة ، والطريق المسدود) حتى) انف



حوار مع الروائي والكاتب السياسي احسان عبد القدوس



وثلاثة وعيون ، ولا شيء يهم) نوعا من الرواية التحليلية والوصفية ، أو رواية الشخصيات • غير ان وحدة موضوعة الروائي دارت اساسا حول مشكلات حرية الانسان من ابسط اشكالها في علاقة الرجل بالمرأة حتى علاقة الفرد بالسلطة ، والوجود ، ومعنى الحياة •

ولعل انضج اعمال احسان عبد القدوس ـ وهذا يحتاج دراسة مستقلة ـ رواية « لا شيء يهم » • لقد عرض في الرواية ثلاث شخصيات ، تجسد ـ في اعتقادي ـ واقع مجتمعنا حتى الان : الرجل الذي يعيش في الخيال • والرجل الذي يلتزم المبادىء الوطنية • والرجل الذي يعيش الواقع بلا مبادىء • وركز ضوءه في التحليل على هذا الرجل الاخير ، لانه اخطر النماذج ، ولانه يرى فيه كافة الذين يغيرون جلودهم حسب الظروف ، ويركبون موجة كل مرحلة ، متظاهرين بانهم اصحابها • وهم في الحقيقة اصحاب تطلعات فردية • وليس صحيحا ، انه قصد بها رجلا بالذات ، كما ردد البعض ، وانما الصحيح أنه قصد به نموذجا موجودا في كل العهود ، نموذج سبق أن صوره قبل الثورة في (صانع الحب و بائع الحب) ، و (الخيط الرفيع) و (شيء في صدري) وبعد الثورة صوره في (لا شيء يهم) وبعض قصص نشرها الاهرام عام ١٩٧٤ ، في مجموعة « الهزيمة اسمها فاطمة » هذا النموذج الذي التقطته عدسة احسان عبد القدوس لا يزال موجودا في مجتمعاتنا •

ان المثير والجدير بالمناقشة هو تلازم السياسي مع الروائي ومثابرته في فرد واحد ظل طوال اكثر من ربع قرن يكتب ويعلق ويساهم ويشارك في رحلة الصراع الوطني والديمقراطي الذي تتغير مراحله ومهماته ، وبالتالي تتغير مؤهلات الكاتب في مواكبته •

●★●

ولقد تم حواري معه في مكتبه بالمنزل وفي جو يصعب على الكلمات وصف سحره ، وغموضه وتحفظاته ••

ففي جزء من اللحظة التي بدأ فيها حواري معه ادركت ان كل ما رتبته من اسئلة قليل ، وليس في مستوى الموقف •

ايا كان الامر ، فقد بدأ الحوار :

وبالرغم من حساسية السؤال الذي يدور في ادمغة الناس حول صمته •• فقد نقلته اليه •• ولاحظت التماعة عينيه وهي ترنو للبعيد •

قال :

ـ هي ليست رغبة في الصمت او عدم رغبة • انما هي ظروف • والظروف التي تحيط بي الان لا توفر مجال التعبير عن فكري وخواطري السياسية •

التطور الحضاري •• والمظاهر

بعد لحظة صمت •• قلت :

● بالرغم من ذلك ارجو اعطائي ولو انطباعا عاما عن التمزق والانهيار الذي يعيشه العالم العربي الان • ولعل ابرز اشكاله ماساة المقاومة في لبنان ، وتناقضات السياسة العربية في وقت نسمع فيه عن كليشيهات وحدة الصف العربي ودول المواجهة •

قال :

ـ كل التاملات قائمة على تقدير درجة التطور الحضاري في البلاد العربية • وأنا الى الان اعتقد اننا في حالة توقف او تجمد حضاري ، يحول دون انطلاق الامل في اي وضع جديد • وأخطر ما يجمد الحضارة العربية هو اننا نعيش المظاهر حتى نؤمن بانها واقع •

وهذا المستوى الحضارى هو الذي يجعل كل مقدرات



احمد عرابي



سعد زغلول

○ العلاقة بين الرجل والمرأة ليست علاقة متعة .. ولكنها علاقة بناء وانتاج

○ كل ما أتمناه للجيل الجديد هو الا يبني مستقبله على الاستجداء

أخطر ما يجمد الحضارة العربية هو أن نعيش المظاهر حتى نؤمن بأنها واقع

في معظم ما كتبت دافعت عن حرية المرأة .. وتطرفت في تفكيري

الامة العربية من اولها الى اخرها تحت رحمة قوى أجنبية ، ارفع حضارة أو أرقى حضارة من ناحية التقدم السياسي والعسكري والاقتصادي ، أو على الاقل يكون المصير دائما في يد القدر · ولذلك ولاننا لا نزال في هذا المستوى الحضاري المتأخر ، فان كل ما نستطيعه هو أن نصارح انفسنا دائما بالواقع ، وليس معنى هذا ، أني افقد الامل ، فلا شك ان هناك مراحل حدث فيها تطور حضاري ، خصوصا من ناحية الحضارة السياسية ، فالحضارة السياسية في مصر مثلا تطورت من ايام (عرابي) ، الى ايام (سعد زغلول) الى ايام (عبد الناصر) · وصحب هذا التطور السياسي تطور في كل أوجه الحضارة · ولكن التطور ليس معناه أننا وصلنا الى المستوى الحضاري الذي يجعلنا نضع راكب السيارة في مستوى صانع السيارة وأخطر ما يعرضنا له الخطأ في تقدير مستوانا الحضاري هو انعكاس هذا الخطأ على مستوى القيادة ·

دول فقيرة ودول غنية

● **ربما تشاركني الراي في بروز عامل مؤثر هو انقسام العالم العربي الى دول فقيرة ، ودول غنية · فمثلا دولة كمصر يتحمل شعبها الان عبئا اقتصاديا ناجما عن تضحياتها دفاعا عن الامة العربية ·**

قال :

ـ تقدير امكانيات كل بلد عربي يجب أن يوضع في مستوى استكمال كل بلد للاخر · فهناك بلد عربي مثلا يملك امكانية البناء ، ولكنه لا يملك عمال البناء · وهناك بلد عربي يستطيع أن يشتري السلاح ، لكنه لا يملك امكانية استعمال هذا السلاح ·· وهكذا ·

فاذا حدث استكمال للامكانيات العربية بعضها من بعض فلا شك اننا نستطيع ان نصل الى عالم عربي قوي له هيبته الدولية · ذلك أن توفر الامكانات وحدها دون الخبرات لا يكفي ·

الكاتب الروائي والكاتب السياسي

ولاني ادركت عدم رغبة احسان عبد القدوس في مزيد من مناقشة الموقف السياسي عدت الى السؤال الذي وقفت امامه دائما خلال قراءة أعماله الابداعية ، في ذات الموقف الذي اقرا فيه تحليلاته السياسية :

● **ماذا عن صراع الروائي والسياسي في تكوين شخصيته · والى أي مدى يحل هذه الثنائية التي يتفرد بها بين كتابنا ؟··**

يجيب احسان عبد القدوس :

ـ السياسة والرواية يتحدان عندي في اطار واحد وهو تطلع الواقعية الى الاماني الخيالية ، ولا اقصد الخيالية بما لا يمكن تنفيذه ، ولكن اقصد الخيالية الطموح لتخطى الواقع في الحاضر · فكاتب القصة يعيش الواقع ويحاول أن يطوره في خياله الى صورة جديدة ، وكذلك السياسي يعيش الواقع ويحاول أن يطوره الى صورة جديدة ، أو صورة أخرى ، انما الفرق الوحيد هو الفرق في مسئولية السياسي ، والقصصي · فمسئولية الفكر السياسي هي مسئولية مباشرة ، أي انه مسئول عن تنفيذ افكاره ، اما فكر القصصي فهي مسئولية غير مباشرة ، أي انه قد يعمد بافكاره الى اناس غيره ليقوموا بتنفيذها ·

والفرق بيني ككاتب سياسي ، وككاتب قصة ·· هو اني اتمتع بحرية اكبر وانطلق الى افاق أوسع عندما اكتب القصة ، عني عندما اكتب في السياسة · لاني ككاتب قصة اتقيد بحرفية الواقع ، كما اني لا أتقيد بمجرد الفكرة ، لاني اخلط الفكر بالاحساس · واترك الاحساس يسيطر على الفكر · كما اني اترك الخيال يسيطر على الواقع ·

● **لنتقصى اذن ـ معا ـ ما يمكن تسميته نقطة البدء أو الدوافع الاولية لعملية اختيار الموضوع الروائي عندك ·**

قال :

ـ الرواية عندي تولد من خلال تجربة تقودني الى





رأي ، واكتبها للتعبير عن هذا الرأي ، والسياسة عندي نفس الشيء أعبر بها عن معاناة ورأى ·

ان نقطة البدء عندي ليست الرواية ولا السياسة ·· نقطة البدء دائما رأى اتوصل اليه فاذا ارتسم في ذهني في صورة قصة كتبت قصة ·· واذا ارتسم في صورة مقال كتبته مقالا · ولعلني أعاني لذلك نوعا من الانقسام او الصراع بين انفعالية الفنان وعقلانية المحلل السياسي ، وفي اعتقادي أني أبحث عن الحل لهذا التناقض المثير في كلمات محددة وهي انني حين اكتب الرواية اعيش السياسة ، وحين اكتب السياسة اعيش في عالم الرواية ·

ولكن ما يعزيني هو أنني ـ كأبناء جيل الاربعينات الذي انتمي اليه ـ اصدر في كل ما اكتب عن مبادىء عامة وسياسية واجتماعية واخلاقية ، لا يهتز ايماني بها ابدا ولا أساوم عليها ·

لقد ترسبت هذه المبادىء في وجداني وعقلي عبر عديد التجارب والمواقف الخاصة والعامة في كل الازمات التي عشتها حتى الان ، واعتقد اني اكتشفت فيها سر بقائي متماسكا · والكاتب السياسي لن يرضى عن نفسه في البداية والنهاية الا اذا كان صادقا مع نفسه ·



ليست هذه بالطبع عبارات يقصد بها الدلالة الاخلاقية بل هي التجربة من صميم خبرة الواقع الخاص والعام الذي عشته منذ ان بدأ وعيي الفكري والسياسي ·

لحظة انطلاق الحدث الروائي

قلت :

● هناك ملاحظة تشكل نوعا من الوحدة في تحديد لحظة انطلاق الحدث الروائي عندك · كذلك رسم الشخصيات · فبالرغم من مناقشة قضايا سياسية وحضارية واخلاقية في اعمالكم ·· الا انها تنطلق دائما من لحظة اللقاء ، أو العلاقة بين الرجل والمرأة ··

قال :

ـ انا اعتبر أن هذا واقع الانسان ، فالرجل لا يقصر تفكيره السياسي أو احساسه الوطني على الساعات التي يقضيها في مقر الحزب ، أو النادي ، أو في جلساته مع أصدقائه ولكنه دون تعمد يستمر به هذا الفكر وهذا الاحساس حتى وهو داخل بيته · فتدور المناقشات بين الرجل وزوجته ، أو بين الشاب وحبيبته، حول المسائل السياسية ، لان السياسة ليست احترافا ولكنها الوجود الطبيعي ، لاي انسان بالنسبة لوطنه · والعلاقة بين الرجل والمرأة ليست علاقة متعة ولكنها علاقة بناء وانتاج ·

اهتمام دائم بقضية المرأة

● ان تحليل رواياتك في اتجاهاته العامة يؤكد ـ بخلاف معظم كتاب الرواية من جيلك ـ اهتماما دائما بقضية المرأة المصرية والعربية · وثمة اصرار على تصوير عالمها الغامض وسلوكها وازمة وجودها في مجتمع شرقي محافظ ·· ارجو تفسير ذلك ·

قال :

ـ نعم شغلت المرأة تفكيري ـ ولكن هل هذه تهمة ؟!··

في معظم ما كتبت دافعت عن حرية المرأة ، وتطرفت في هذا الموضوع ، واسيء في البداية فهم دعوتي وهوجمت ··

ان ايماني بحرية المرأة ليس له حدود ، وربما كان احد دوافعه الاساسية في البداية مستمدا من ايماني بتفرد تجربة أمي « فاطمة اليوسف » هذه السيدة التي أثبتت وجودها في عالم الرجال ونجحت في فرض نفسها عليهم ، وحققت مالم يستطيع كثير من الرجال أن يحققوه ··

لقد قادني هذا الموقف الى التوغل في تفاصيل حياة المرأة في بلادنا ، والاهتمام بتحليل العواطف

والاحاسيس في مجتمعنا المنقسم على نفسه المتخبط ما بين قيمه الراسخة وما بين قشرة من الحضارة العصرية فرضت نفسها عليه ·

ولم يغب على بالي ، وانا اخوض هذه التجربة ، انني ساواجه بكثير من الصياح والضجيج وقذف الطوب ··

خفايا وجوهر الصراع السياسي

قلت :

● **اسمح لي ان انقل لك احترام الجميع لموقفك الاخير اثناء توليك رئاسة مؤسسة الاهرام · فما سر هذا التماسك الذي نجحت في الاحتفاظ به في وقت ينهار ويتكيف فيه الكثيرون ·**

قال :

ـ انا موقفي لم يتغير ابدا من يوم ان كنت طالبا في الثانوي وبدأت اعي واشارك في الحياة السياسية · وهو موقف قائم على الاعتراف بحرية الفكر السياسي للجميع ، واحترام هذه الحرية للجميع ، بقدر ما اطالب الناس باحترام حريتي · ولهذا فقد كنت في جميع مراحل حياتي اعترف بحرية الاخرين ·

وحتى احتفظ بحريتي كاملة في ابداء رأيي ، وبعد


احسان عبد القدوس

تجربة واختبار للتيارات الاساسية التي كانت تسود الحياة السياسية قبل وبعد الثورة · فقد حرصت على الا انضم لاي تنظيم سياسي · ولهذا فانك لو تتبعت جميع المراحل التي عشتها تجد انها دائما في صورة واحدة ·

قلت :

● **كنت أود أن تحدثنا عن بعض مواقف ـ نقرأ ونسمع عنها ـ خاصة بقضايا لم يعيها جيلنا · مواقف ساهمت فيها بدور بارز ·**

قال :

ـ انا افضل ان لا اتحدث عن نفسي بالنسبة للماضي واعهد اليك انت بمهمة تاريخ حياتي اذا كان فيها ما يهمك ويهم جيلك · وعلى كل حال فان لي مذكرات عن خفايا وجوهر الصراع السياسي والاجتماعي الذي عاشته مصر والمنطقة العربية من الاربعينات وحتى الان ··

واعتقد اني اتخذت قرارا حاسما وهو عدم نشر هذه المذكرات الا بعد ان أموت ·

القصة : هي عزائي

قلت :

● **عرفت انك كتبت ـ مؤخرا ـ عدة قصص لم تنشر · فهل تجد في القصة تخطيا لما ترفضه في الواقع ، لحظة ان تكف عن الكتابة في السياسة ؟**

قال :

هذا صحيح لاني اجد فيها عزائي · وعندما اكتب قصة ، فانا لا أتقيد بخط معين · انما انا اكتب منطلقا ، بوحي مزاجي الخاص ، لاني كما قلت لك ، انا لست محترفا ، انما انا من الهواة ، فانا لا اكتب الا اذا احسست اني اريد أن اكتب ، لا لاني مكلف بالكتابة ولا لاني يجب ان اكتب ، ولهذا فالقصة التي اكتبها اليوم ، وقد تكون حول فكرة سياسية · والقصة التي اكتبها غدا قد تكون قصة مشكلة عاطفية ، وانا حر اكتب ما اريد ··

حزمة الضوء في أيدي الشباب

قلت في نهاية حديثي الى احسان عبد القدوس :

● **في ضوء خبرتك مع الحياة والواقع وشجاعة ابداء الرأي في احلك الظروف ·· ما هي حزمة الضوء التي تحب ان يقبض عليها الشباب ؟**

قال :

ـ ان كل ما اتمناه للجيل الجديد هو الا يبني مستقبله على الاستجداء · وان يكون له شخصية مستقلة حتى لو سار بهذه الشخصية حافي القدمين · وليذكر الجيل الجديد اننا عانينا كثيرا عندما كنا نحن جيلا جديدا ·

والذين تحملوا هذه المعاناة هم الذين اثروا في كل التطورات ··

·· وعاد احسان عبد القدوس الى الصمت الذي بدانا به الحوار ··

وجمعت اوراقي ·· بينما يدور في راسي يقين بان احسان عبد القدوس لم يتعب ·· ولم يفقد حيويته وتجدده ···

العرب وأمريكا.. خلال حربين

كمال سعد



هل هناك ارتباط بين الحرب وتشكيل صورة العرب في أمريكا ؟ وهل صحيح أن هزيمة العرب في يونيو عام ١٩٦٧ أدت الى تشويه صورتهم · بينما ادت نفس الحرب الى تحسين صورة الاسرائيليين في الصحافة الامريكية ؟ وهل حدث العكس بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ فتحسنت الصورة العربية وتغيرت الصورة الاسرائيلية في اذهان الشعب الامريكي ؟ وهل صحيح أن هناك ارتباطا بين انظمة الحكم في البلاد العربية والصورة التي يكونها الشعب الامريكي عن هذه الدول ؟ وهل ينظر الامريكيون الى العرب على انهم أمة واحدة أو امم متعددة في طبيعتها القومية ؟·· هذه الاسئلة وغيرها كانت موضوع اول دراسة جامعية عن النزاع العربي الاسرائيلي ، حصلت بها الباحثة نادية سالم على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة !··

قالت الدكتورة : نادية سالم المدرسة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية بالقاهرة ، أن رسالتها تحاول أن ترصد الصورة القومية للشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الولايات المتحدة الامريكية واثر الدعاية الصهيونية عليهما ، وذلك من خلال تحليل مضمون الصحف والمجلات الامريكية الصادرة في عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣ !··

وقالت أيضا انها تهدف من هذه الدراسة الى تحقيق هدفين رئيسيين هما : الكشف عن صورة العرب والاسرائيليين في امريكا ، واثر كل من حربي «يونيو» و « اكتوبر » في تشكيل هذه الصورة ·· والكشف عن اثر الدعاية الصهيونية في تشويه صورة العرب وتحسين صورة الاسرائيليين في امريكا ··

خمسة فروض

وعندما سالتها عن الفروض التي تطرحها هذه الدراسة قالت انها تطرح خمسة فروض :

- ان هناك ارتباطا بين الحرب وتشكيل الصورة القومية · فقد ادت هزيمة العرب في ٥ يونيو ١٩٦٧ الى تشويه الصورة القومية للشخصية العربية ·· بينما ادت نفس الحرب الى تحسين الصورة القومية للشخصية الاسرائيلية ·· وبالعكس من ذلك ادت حرب اكتوبر ١٩٧٣ الى تحسين الصورة العربية وتغيير الصورة الاسرائيلية بالتالي ··
- وأن هناك ارتباطا بين نظام الحكم في دولة ما والصورة التي تكونها الدول الاخرى عن شعب هذه الدول ··
- وأن التغيير الذي طرا على الصورة العربية والاسرائيلية في الولايات المتحدة بفعل الحرب أو تغيير نظم الحكم ، لم يلغ جوانب الصورة القديمة للشخصية العربية ، اذا أن التغيير لا يحدث بين يوم وليلة ولا يظهر بعيدا عن الصورة القديمة أو بمعزل عنها · وانما بوادر التغيير عادة من خلال تراكم تدريجي يؤدى في مرحلة معينة الى تغييرات جديدة !··
- وأنه لا توجد صورة واحدة للعرب في الولايات المتحدة الامريكية اذا انه بجانب وجود صورة عامة للعرب جميعا ، هناك ايضا صورة متميزة للشخصية المصرية واخرى للشخصية الفلسطينية · كذلك يفرق الامريكيون بين صورة اليهودي الذي يعيش في اسرائيل وصورة اليهودي العالمي ·
- هناك تاثير كبير للدعاية الصهيونية في تشويه الشخصية العربية في الولايات المتحدة الامريكية وتحسين الصورة الاسرائيلية ·

بين الهزيمة والانتصار

وقبل ان نستعرض ما توصلت اليه هذه الدراسة ، فلابد أن نسجل أن اهميتها لا ترجع فقط الى طبيعة

بعد حرب ١٩٦٧ :

- استثمرت الصحافة الأمريكية هزيمة العرب .. لصالح إبراز الشخصية الاسرائيلية
- قالت النيويورك تايمز : إن تفوق إسرائيل فى الحرب يرجع إلى التفكير الغربى والعلمى للاسرائيليين



الموضوع وهو « النزاع العربي الاسرائيلي » ، وانما لاستخدام الباحثة المنهج التجريبي والمنهج التحليلي والاستفتاءات والاحصاءات ، وذلك لاختبار الفروض والعلاقات الارتباطية بين الظواهر المختلفة ، بدرجة تسمح بالتنبؤ بمسار تلك المظاهر ٠٠

وفي هذه الرسالة اكدت نتائج صحة الفرض الاول الذي يدور حول اثر الحروب على الصورة القومية وكيف أن حرب يونيو ١٩٦٧ ، وحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، كان لهما دور كبير في تشكيل صورة العرب والاسرائيليين في امريكا ٠ فمثلا كان من نتائج حرب عام ١٩٦٧ أن شوهت صورة العرب في امريكا ، حيث ابرزت الصحافة هناك الانسان العربي في ملامح ظالمة على انه انسان فاقد الثقة بنفسه وكاذب وارهابي ومتخلف ٠٠ وتضرب مثلا بما كتبته مجلة **ناشيونال ريفيو في ٨ اغسطس عام ١٩٦٧** ٠ حيث قالت ان العرب يشعرون بالذل واليأس لاحساسهم بالهزيمة ، وفي نفس الوقت يشعرون بالتخلف التكنولوجي عن اسرائيل ٠٠ كما اكدت نفس الراي **مجلة « تايم » التي كتبت في ١٤ يونيو ١٩٦٧ تقول** : ظل العرب نياما ثلاثة قرون ، واقاموا من العزلة على الحملة الفرنسية ، وادهشتهم لاول وهلة الافكار الغربية ، ولكن هذه الدهشة المصحوبة بالاعجاب ، سرعان ما تحولت الى عداء نحو الغرب ، وشعور بالنقص والدونية ثم انتقل هذا الشعور الى عداء نحو اسرائيل ، باعتبارها ممثلة للحضارة الغربية في المنطقة !

وتمضى الباحثة في تقديم نماذج اخرى من الصحف الامريكية عقب حرب عام ١٩٦٧ ٠٠ فتقدم لنا ما قالته مجلة « **نيو ريبابليك** » **في ٣٠ يوليو ١٩٦٧** ، ومؤداه أن الشعب المصري بالذات بعد هزيمة عام ١٩٦٧ فقد الثقة بنفسه ، نتيجة للهزيمة السريعة للعرب ، والانتصار المدوى لاسرائيل ، فالعرب يشعرون بأن اسرائيل دولة عصرية وجيشها مدرب ، على عكس الحالة في البلاد العربية ٠

اما مجلة « **يو٠ اس٠ نيوز في ٣١ يوليو ١٩٦٧** فتقول ان العالم العربي عصابة من الارهابيين المتخلفين الذين اصابتهم الهزيمة بضربة قاصمة ازالت ما بقى لهم من شعور الكبرياء والكرامة !٠٠

اما **مجلة « نيوزويك » في ٢٦ يونيو ١٩٦٧ فتربط** بين الهزيمة العسكرية للعرب وبين التخلف الاقتصادي في المنطقة العربية ، وتتعرض في احدى مقالاتها الى أن الجندي المصري له كل العذر في الهزيمة ، فهو لا يستطيع أن يفهم الاسلحة الحديثة لتخلفه الحضاري، فهو فلاح في امة اقطاعية ، غير قابل للفهم ٠ وبالمقارنة

المتعة في التعب

الدنيا لا تمضي بسهولة.ان امتع ما فيها هو ما يبذله الانسان من تعب.لا تهرب منه حتى لا يهرب منك المستقبل لانه لا يجيء اليك وحدك ولكنه ينتظرك هناك ٠

مخابىء الدموع

سالت بعض علماء النفس ، عن ظاهرة بعض الذين يستطيعون العمل وراء ستار كثيف.وبقدر ما يقدمون لمجتمعهم بقدر حرصهم على عدم الظهور على المسرح.قالوا صنف نادر ينفع الناس ولا يهمه نفع نفسه ٠

بعد حرب ١٩٧٣ :

الصحف الأمريكية تعترف : لقد ظهر شعور بالفخر في الجيوش العربية .. واستعاد العرب ثقتهم بأنفسهم

تحت عنوان « زحف الإسلام » كتبت النيوزويك :

إن الجنود المصريين أثناء اقتحامهم لخط بارليف كانوا يهتفون : الله أكبر .. الله أكبر

بين الفلاح المصري ، والفلاح في كوريا أو فيتنام نجد ان الفلاح المصري اكثر تخلفا منهما · وفي مقالة اخرى في نفس المجلة تقول ان المعركة بين العرب واسرائيل هي معركة بين المعرفة الاسرائيلية والجهل العربي ، بين النظام الاسرائيلي والفوضى العربية ، بين التقدم الاسرائيلي والتخلف العربي !

أسطورة الجيش الاسرائيلي

وهكذا نرى ان هزيمة العرب في حرب ١٩٦٧ استثمرتها الصحافة الامريكية لتشويه صورتنا ، وبالعكس من ذلك ضخمت من حجم الانتصار الاسرائيلي وركزت على السمات الايجابية في الشخصية الاسرائيلية مثل الشجاعة والوثوق بالنفس والتفوق والتحضر والتفكير العلمي !

فمثلا **يكتب** « **فيليب بون** » **في مجلة** « **نيوريبا بليك** » **في ٦ ابريل ١٩٦٨** فيقول انه منذ حرب يونيو أصبحت اسرائيل القوة المسيطرة في المنطقة وعليها ان تتصرف في ضوء تلك الحقيقة خاصة وانها استطاعت في ظرف ٢٤ ساعة ان تنتصر على العرب واظهرت ضعفهم العسكري ، وأن هذا النصر يرجع أساسا الى شجاعة الجندي الاسرائيلي الذي يعلم جيدا أن الانتصار في حرب « عشر سنوات يضمن له عشرة سنوات امنة اخرى » ·

ويكتب « **امنون دوبنشتاين** » **عميد كلية الحقوق بالجامعة العبرية بالقدس في مجلة** « **نيويورك تايمز** » **في ٢ يوليو ١٩٦٧ مقالا عن الجيش الاسرائيلي** . وقدرته القتالية وشجاعة رجاله ويستعين بالصور مدللا على ذلك فينشر صورة لاحد الضباط الاسرائيليين ، وكتب تحت الصورة كلمة « المنتصرون » وصورة اخرى لضابط اسرائيلي على قناة السويس ، كتب تحتها تعليقا يقول فيه لحظة النصر ، ولمدة طويلة ، ستتذكر مصر شجاعة الجندي الاسرائيلي !··

وتنشر **مجلة** « **نيوريبابليك** » **في ٣١ يناير ١٩٦٨ مذكرات مجند اسرائيلي عن حرب ١٩٦٧ ·· فيذكر ان الحرب في سيناء كانت رحلة مرحة ··** ولم تتأثر بشيء اثناء الحرب ·· فلم تهاجمنا طائرة مصرية واحدة وكنا من باب التسلية نستمع الى راديو القاهرة الذي يردد أن القوات العربية العظمى وجيشها الذي لا يقهر يتجه صوب تل ابيب وأن ديان يختبيء الان في مخبأ ·· كنا نسمع ذلك ونضحك كثيرا ، فهم يتكلمون ونحن نحتل سيناء والضفة الغربية للقناة ، وكان بامكاننا الوصول الى القاهرة !··

كذلك لاحظت الباحثة أن **صحيفة نيويورك تايمز** » ، **ومجلة** « **تايم** » ركزت كل منهما على ان تفوق اسرائيل في الحرب يرجع الى التفكير الغربي والعلمي للاسرائيليين ·· والتفكير الغبي للعرب !

سلاح البترول والثقة بالنفس

واذا ما انتقلنا الى حرب ١٩٧٣ واثرها على تغير صورة العرب والاسرائيلين في امريكا من خلال تحليل مضمون الصحف والمجلات الامريكية ، فاننا نكشف ان هذه الحرب قد حسنت من صورة العرب ، حيث ظهر العربي في الصحف الامريكية كانسان واثق بنفسه ، وشجاع ، ومنظم ، ومتدين ، وقومي بينما أصبحت صورة الاسرائيلي في أمريكا هي مضطهد ، فاقد الثقة بنفسه ، يشعر بالدونية ، لديه احساس بالعزلة !··

فيكتب مندوب مجلة « **يو· اس· نيوز** » **من بيروت في ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣** فيقول ان المصريين يشعرون الان بالثقة بالنفس والفخر والكبرياء · ويجرى هذا المندوب حديثا مع احد رجال الاعمال العرب الذي صرح له بانه لاول مرة منذ مدة يمكنني الذهاب الى أوروبا دون الاحساس بانني يجب أن اخفي جنسيتي ، وانني عربي افتخر الان بعروبتي ··

وكتب هذا الصحفي مقالة اخرى في نفس المجلة في ٢٩ اكتوبر ، يعترف فيه بأنه قد ظهر شعور جديد بالفخر في الجيوش العربية ، واستعاد العرب ثقتهم



في القيادة ، وظهر ايمان جديد بالمستقبل العربي ، بل ان الجيش المصري استعاد ثقته بنفسه ، واظهر قدرته على أن يكون منظما ، وان يحافظ على السر كما اظهر قدرته ايضا على المناورات ··

وكتب « **الفين روزيفيلد** » **في ١٠ نوفمبر ١٩٧٣ يقول** ان احساس المصريين بأنهم حطموا اسطورة اسرائيل التي لا تهزم ، خلقت لديهم ثقة بالنفس ·

اما **مجلة** « **نيوزويك** » **فتنشر في ٩ فبراير ١٩٧٤** ان العرب استعادوا ثقتهم بانفسهم واحساسهم بالفخر ·

وتذكر **مجلة** « **ناشيونال ريفيو** » **في ١٣ يناير ١٩٧٤** أن المصريين حاربو بكفاءة عالية ، كانوا منظمين ، يتمتعون بدرجة كبيرة من الدقة ، على عكس ما هو معروف عن عدم قدرة العرب على النظام او التدريب ·

كذلك ركزت الصحف الامريكية على تدين العرب واعترت ذلك عاملا من عوامل انتصارهم ، بعد ان كانت تستخدمه من قبل في عام ١٩٦٧ لاتهامهم بالتعصب الديني !··

وفي هذا المجال يكتب « **جيرولد شايستر** » **في مجلة** « **تايم** » **في ٥ نوفمبر ١٩٧٣** ان الدبابات المصرية أثناء الحرب كانت مملوءة بنسخ من القران ، وان الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود اعلن في الجامع الازهر أن الحرب مع اسرائيل حرب جهاد ، ومن يموت في المعركة يذهب الى الجنة ··

وقالت **مجلة** « **نيوزويك** » **في ١٨ فبراير ١٩٧٤ تحت عنوان** « **زحف الاسلام** » ان الجنود المصريين اثناء اقتحامهم لخط برليف كانوا يهتفون « الله اكبر ·· الله اعظم ·· » ·

وركزت الصحف والمجلات الامريكية أيضا على تضامن العرب ووحدتهم أثناء المعركة ، بعد ان كانوا متفرقين ، اذ يكتب « **جوت لو** » **في مجلة** « **يو· اس · نيوز** » **في ١٩ نوفمبر ١٩٧٣ فيقول** : ان الحرب كشفت عن قدرة العرب على التضامن سواء في العمل العسكري المشترك او التعاون في استخدام سلاح البترول ، وكانت ذلك مفاجأة لاسرائيل التي لم تفكر جديا في أن العالم العربي يمكن ان يتحد ··

الشعور بالخجل في اسرائيل

واذا ما حاولنا التعرف على صورة اسرائيل في الصحف الامريكية بعد حرب ١٩٧٣ ، فسوف ندرك انها تغيرت كثيرا عن صورتها الاسطورية في عام ١٩٦٧ ، فعادت نفس الصحف التي تجنت على العرب لتصف الاسرائيلي بانه مضطهد · **فتذكر مجلة** « **ناشيونال ريفو** » في ٨ يناير ١٩٧٤ ان كل يهودي في العالم يحلم باسرائيل العظمى الامنة ذات الرخاء ، ولكن ما حدث في حرب الغفران ، يجعل اسرائيل تقف وحيدة تعاني الاضطهاد ·

كذلك تركز مجلة « **ناشيونال ريفيو** » **في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٣** على صورة الاسرائيلي كانسان فاقد الثقة بنفسه · فتقول : سوف تظل أسرائيل فترة طويلة بعد الحرب غير قادرة على التغلب على موت ٢٥٠٠ من ابنائها ، بل لقد ساد اسرائيل مناخ عام بفقدان الثقة بالنفس ، وفي القيادة حتى ان شخصية ديان المؤثرة فقدت جاذبيتها له من الشعب الاسرائيلي ··

ويكتب « **جوزيف بولوم** » **في مجلة** « **يو· اس· نيوز·** » **في ١٣ نوفمبر ١٩٧٣ فيذكر** ان هناك احساسا سائدا داخل اسرائيل بفقدان الثقة بالنفس · وشعور بان القادة الاسرائيليين اخطاوا — وان هناك فسادا منتشرا في كل مكان ، فحرب الغفران حطمت الاوهام التي عاش فيها الاسرائيليون منذ حرب الايام الستة ·

اما **مجلة** « **تايم** » **فتكتب في ١٦ نوفمبر ١٩٧٣ قائلة** ان الجيش الاسرائيلي فاقد الثقة بنفسه · وهناك احساس بالاحباط لدى الضباط الاسرائيليين ، وهناك ايضا احساس بالضيق في كل مكان ، نتيجة لوم الضباط بعضهم لبعض ··

وتذكر نفس المجلة **في ٢٣ نوفمبر ١٩٧٣ ، أن الجنود** في القوات المسلحة الاسرائيلية اصبحوا يشعرون بالخجل من السير في الطرقات لان الشعب كان **يسالهم** عما فعلوه في حرب ١٩٧٣ ·

وعن اسرائيل بعد حرب ١٩٧٣ :

لقد ساد اسرائيل مناخ عام بفقدان الثقة بالنفس وفي القيادة

إن الجنود في القوات المسلحة الإسرائيلية أصبحوا يشعرون بالخجل من السير في الطرقات

كذلك تشير **المجلات الامريكية** الى تزايد احساس الاسرائيليين بالعزلة نتيجة للحرب ، فيقول « **روبرت هينتز** » **في** « **نيويورك تايمز** » **في ٢٣ سبتمبر ١٩٧٤** ان الحكومة الاسرائيلية ساهمت في زيادة عزلة اسرائيل عن العالم الخارجي · كما ان المواطن الاسرائيلي شعر بالعزلة سواء كفرد في المجتمع او في علاقته بالعالم الخارجي ·

وتشير هذه المجلات « الى ازدياد عزلة المواطنين وشعورهم بعدم الانتماء الى المجتمع الاسرائيلي ·

كما تقول **مجلة** « **تايم** » **في** ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣ ، ان هناك احساسا لدى المواطن الاسرائيلي بالانعزال عن العالم الخارجي ، خاصة بعد اغلاق معسكرات اليهود السوفييت المهاجرين في النمسا ، وقطع العلاقات الدبلوماسية مع عدد من الدول الامريكية وازدياد تعاطف اليسار الاوروبي مع اللاجئين العرب ·

أمريكا وأنظمة الحكم

وخرجت الباحثة من دراستها لاثر تغيير نظم الحكم في المنطقة العربية ، وانعكاس ذلك على صورة العرب في أمريكا بأن هناك علاقة بين السياسة التي تتبناها أي دولة داخليا وخارجيا وبين تميز صورتها عند الشعوب الاخرى · فالنظام السياسي الاسرائيلي يركز على انه النظام الديموقراطي الليبرالي في منطقة الشرق الاوسط ، وانه واحة الحرية والتقدم ، ويضرب المثل بتوفر الحريات الحزبية وحماية الحريات الفردية والسماح بحق المناقشة والرقابة الشعبية في اسرائيل ·· واعطاء مثل هذه الصورة للشعب الامريكي خلق انطباعا بان اسرائيل دولة ديمقراطية بالفعل !··

وبعد حرب اكتوبر اصبحت صورة العربي هي : ليبرالي ، وواقعي ، ومحب للسلام ·· ثم ظهرت صورة اخرى للدول العربية الغنية بالبترول بعد « ازمة الطاقة » وهي صورة العربي كغني حرب !··

ماذا عن الصورة القديمة ؟

وتمضي الباحثة في الكشف عما توصلت اليه في دراستها العامة حيث تؤكد مجموعة من الحقائق العامة :

● ان الصحافة الامريكية تفرق بين ثلاث صور قومية فرعية للعرب · وهي الصورة العربية ، والصورة المصرية ، والصورة الفلسطينية ·· أي أن الامريكان لا ينظرون الى العرب باعتبارهم أمة واحدة ، وانما باعتبارهم قوميات متعددة ، متميزة بعضها عن بعض ·

● وأن تغيير صورة العرب في الصحافة الامريكية الى الافضل بعد حرب ١٩٧٣ ، لم تلغ كل جوانب الصورة القديمة المشوهة للعرب في أمريكا ، فهم مازالوا ينظرون للعرب باعتبارهم يميلون الى المبالغة والرومانتيكية ، كما انهم لا يحتفظون بالسر ، وشديدوا الحساسية لكرامتهم ، ويبالغون في تقدير ذواتهم ومتعصبون ، ومتقلبون !··

● وأن الصحافة الامريكية لا تفرق بين صورة اليهودي وصورة الاسرائيلي ، وكثيرا ما تستخدم الاصطلاحين كمترادفين او للاشارة الى معنى واحد ، ويعكس هذا الخلط المفهوم الصهيوني الخاص بالغاء التفرقة بين اليهودية والصهيونية ، بحيث تكون اسرائيل هي دولة كل يهود العالم والمدافعة عن الشعب اليهودي الى غير ذلك من افكار ومفاهيم صهيونية ··

● وان امام العرب فرصا كثيرة لاحداث تغيير فعلي في صورة العرب في أمريكا وتحسين هذه الصورة مستفيدين في ذلك بالتحسن النسبي لهذه الصورة بعد حرب ١٩٧٣ ·· وقد اكدت هذه الدراسة امكانية تحقيق هذا الهدف ، وخاصة أن الحركة الصهيونية نجحت في تغيير صورة اليهودي في أمريكا من مرابي جشع الى مقاتل وحامل لمشعل الحضارة في الشرق !

● وأن هناك امكانية لاستخدام الدعاية والاعلام العربي في تحسين الصورة العربية ، ولكن بشرط أن تكون الدعاية انعكاسا لسياسة جديدة في تحسين الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العالم العربي نفسه ، فالدعاية الناجحة ليست في حقيقة الامر سوى انعكاس لسياسة داخلية وخارجية ناجحة ··



العربي بن جلون

أبو حامد الغزالي
فيلسوف يهاجم الفلاسفة

العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا

طلبنا العلم لغير الله .. فأبى أن يكون إلا لله

على الدرب المحمدي سار الصفوة من جنود الله الذين اقامهم العلى حجة لحقه على خلقه فغذى قلوبهم بنور معرفته وأغرق أرواحهم في بحار محبته ، فهم الخواص والندماء ، وهم الضنائن الاصفياء الذين سجل لهم في كتابه الكريم محكم الولاء ، وبشر بما لهم عنده من جزيل العطاء ، وحسبك من العلم بهم أنهم قوم آثروا الله في كل شيء ، واستأثر بهم لنفسه شهودا لحضرته ولاسراره وتجلياته ثم أقامهم في خلقه شموسا موصلة الى جنابه الاعلى ٠

قمة القمة

على القمة الشامخة من منازل أولئك الخواص العارفين والائمة المحققين ، علم رفعه الله في علياء منازل المقربين ، هو حجة الاسلام وحامل لواء الفلسفة الاسلامية سيدي « أبو حامد محمد بن محمد الغزالي » الذي أجهد أقلام الباحثين وأخذ من أفكارهم وتأملاتهم القدر الكبير ، ومع هذا فما تزال شخصيته الى اليوم تشمل من الابعاد ما فوق متناول الافكار ٠

البداية : في قرية غزالة

ولد « الغزالي » في القرن الخامس الهجري بقرية « غزالة » ٠ وهي احدى قرى طوس بخراسان سنة ٤٥٠ هجرية (١٠٥٨ ميلادية) حيث كانت المنازعات الدينية على أشدها ، وقد كان والده فقيرا عاملا صالحا لا يأكل الا من كسب يده في غزل الصوف وكان في أوقات فراغه يطوف على المتفقهين ويجالسهم٠ وكان اذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله « أن يرزقه ابنا ويجعله فقيها واعظا » غير أن الاقدار لم تمهله حتى يرى ابنه ، فقد توفى تاركا أبا حامد لاحد اصدقائه ليربيه ويعلمه الخط والخطابة ٠

قضى أبو حامد فترة من الزمن في احدى مدارس العلم في طوس ولكن نفسه جنحت الى الاستزادة من العلم فهاجر الى « جرجان » ، ثم عاد الى طوس ، وأمضى ثلاث سنوات ، ثم رحل الى « نيسابور » وتلقى العلم من امام الحرمين ٠ وكانت نفسه تتقد حماسة لنيل المجد ٠ ولكن الله سلمه من فتنة الدنيا والبحث عن متاعبها بالعلم ٠ وفي هذا يقول الغزالي :

« طلبنا العلم لغير الله فابى أن يكون الا لله » ٠٠

الصوفية : طوق النجاة

للتعاليم الصوفية في بداية نشأة « الغزالي » الفضل في انقاذه من التكالب على المادة جنبت ثقافة « الغزالي » وتفوقه العلمي نظر « نظام الملك » ، فدعاه

الى بلاطه وعينه مدرسا بالمدرسة النظامية ولا يعرف الا النذر اليسير عن « الغزالي » في مدة الست سنوات هذه ، ويبدو أنه قضى جل هذه المدة في مناقشة العلماء وفي توطيد دعائم شهرته • وبعد أن امضى سنوات بالنظامية دانت له بغداد والسلجوقيين بالطاعة فاقبل عليه العلماء من كل جهة ينهلون من علمه ، وفوق كل ذلك كثر عدد خصومه وكان الغزالي يشعر بقيمة ميوله ، فقد أوتى ذاكرة عظيمة ، وذهنا يتقد ذكاء ، وقدرة مدهشة على العمل • وقد جعلته مواهبه هذه مغترا بنفسه احيانا ، وولدت فيه شعورا مفرطا بالتفوق فكان يستخف أحيانا بالغير ، وكان كذلك ميسور الحال ، مكفي الرزق • ومع كل ذلك كان يظهر حتى لمعاصريه قلقا • فقد عانى تحولا فجائيا في افكاره ومثله العليا • ويعبر عن هذا التحويل بهذه الجملة القصيرة التي رواها صديقه عبد الغافر ابن اسماعيل « **فتح عليه باب من الخوف بحيث شغله عن كل شيء وحمله على الاعراض عما سواه** » ••

وكان هذا التغيير الذي طرأ عليه شاملا ، بحيث شك في صحته كثير من الناس • وحتى عبد الغافر ظل مدة طويلة يظن ان الغزالي « متلفع بجلباب التكلف » على أن معاصرين اخرين كانوا موقنين بالتحول • وقام عبد الغافر بتحقيق شخصي في هذا المشكل اقنعه بأن الغزالي على خلاف المظنون ، وأن الرجل أفاق بعد الجنون « **ولقد زرته مرارا ، وما كنت أحدس في نفسي ما عهدته في سالف الزمان عليه من ايحاش الناس • انه صار على الضد وسلك طريق الزهد ، وترك الحشمة وطرح ما نال من الدرجة واخذ باسباب التقوى وزاد الاخرة واخذ في مجاهدة النفس وتغيير الاخلاق وتحسين الشمائل وتهذيب المعاش والتزين بزي الصالحين وقصر الامل وقف الاوقات على هداية الخلق ودعائمهم الى ما يعنيهم من امر الاخرة وتبغيض الدنيا والاستعداد للرحيل الى الدار الباقية** » ••

من الشك الى اليقين

واذا ما فحصنا ما قاله « الغزالي » عن هذه الحقبة من حياته ، يقول : « **لم ازل في عنفوان شبابي ، منذ راهقت البلوغ ، اتفحص عن عقيدة كل فرقة ، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة لاميز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع • لا أغادر باطنيا الا واحب أن اطلع على بطانته ، ولا ظاهريا الا واريد أن أعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا واحرص على العثور على سر صوفيته ، ولا متعبدا الا واترصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا الا واتجسس وراءه للتنبيه لاسباب جرأته في تعطيله وزندقته ، ولقد كان التعطش الى ادراك حقائق الامور رأيي وديني من اول امري وريعان عمري ، غزيرة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي ، ولا أختياري وحيلتي ، حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب سن الصبا اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء الا على التنصر ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم الا على التهود ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم الا على الاسلام ، وسمعت الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :**

« **كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، فتحرك باطني الى حقيقة الفطرة الاصلية وحقية العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين والتمييز بين هذه التقليدات ، واوائلها التلقينات ، وفي تمييز الحق عن الباطل اختلافات ، فقلت في نفسي : أولا انما مطلوبي العلم بحقاق الامور فلابد من طلب حقيقة العلم ما هي ؟ فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ثم علمت أن كل**

الرحلة الطويلة



**البناء الكبير بدأ من اول حجر والرحلة الطويلة تبدأ من الخطوة الاولى.
والبناء لن يكتمل والرحلة لن تتم الا اذا عرفت اين تضع الحجر الاول
وعرفت متى تبدأ الخطوة الاولى •**



لعل وراء إدراك العقل .. حاكما آخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه

على المرء ألا يرضى بغير الحق بديلا .. وكل ما سواه باطل

ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني ، ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة الا في الحسيات والضروريات ، فاقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات ، وأنظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها فانتهى بي طول التشكيك الى أن لا تسمح نفسي بتسليم الا بما في المحسوسات أيضا ، فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا فلعله لا ثقة الا بالأوليات ، فقالت المحسوسات لم تأمل أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات ؟

وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، فلعل وراء ادراك العقل حاكما آخر اذا تجلى كذب العقل في حكمه ، وعدم تجلي ذلك الادراك لا يدل على استحالته . فتوقفت النفس عن جواب ذلك قليلا . فلما خطرت لي هذه الخواطر وانقدحت في النفس ، حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر اذ لم يكن دفعه الا بالدليل ولا يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الاولية فاذا لم تكن مسلمة لم يكن ترتيب الدليل ، فاعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم المنطق والمقال ، حيث شفاني الله تعالى من ذلك المرض ، وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضرورات العقلية مقبولة موثوقا بها على امن ويقين ، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر »

هذا لب القصة كما كتبها « الغزالي » ولا حاجة بنا بعد هذا أن نبحث عن عوامل خارجية .

السياحة الوجدانية

وعندئذ غادر بغداد درويشا متزهدا في سوريا ، وفي فلسطين ومصر ، متنقلا بين دمشق والقدس والقاهرة والاسكندرية ، وأدى فريضة الحج ، ثم عاد الى دمشق فاستقر فيها يعلم ويعظ ويؤلف ، وقد ألف الغزالي في هذه الفترة التي تبلغ حوالي العشر سنوات معظم مؤلفاته بما فيها مصنفه الرئيسي : احياء علوم الدين (سنة ٤٩٩ ـ ١١٠٦م) . وعاد الى نيسابور والتدريس بمدرستها النظامية ولكن روحه التي ذاقت حلاوة الحرية لم تمكنه من البقاء هنا فلم يعد يشعر بالراحة وسط هذه البيئة .

حمل الغزالي لنفسه في حياته الجديدة بعض قواعد السلوك وسجلها في رسالة تقدم لنا خلاصة تفكيره الاخلاقي ..

الاعمال بالنيات

قد يمكن أن تعبد طريق جهنم بالنوايا الحسنة ولكن طريق الجنة لا يمكن أن تعبد بدونها . وعلى هذا يؤكد الغزالي على أهمية النية ويعتبرها قاعدة من قواعد السلوك مستشهدا بالقرآن الكريم والحديث تقوية لحجته .

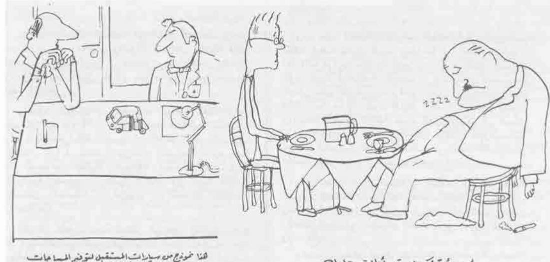
أما القاعدة الثانية فهي وحدة الغرض عبر عنها الغزالي بعبادة الله وحده وعلامة هذا التوحيد أن لا يرضى المرء بغير الحق بديلا وأن يرى كل ما سواه باطلا : « تعس عبد الدينار » . وبناء على هذا ينبغي على من يريد أن يعبد الله أن ينأى عن الشك الذي آمن الغزالي به معتقدا أنه الطريق الى الحق « **من شك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال** » تلك كانت شريعته لقد علمته الشكوك ان يناقش قبل ان يؤمن فلا يقنع بما علم بل يطلب المزيد ابدا . والشك سر عظمة الغزالي . لقد حمله على دراساته الكبرى ومحاولاته العظمى ، وعن طريق الشك وصل الى اليقين . فكان يقين القوى الواثق العالم الدارس لا ايمان المستسلم المقلد ، ايمانا اتاح له تلك الوثبة الروحية التي هيمن بها على عصره وعلى العصور التي تلته ، وكافح الغزالي شكوكه بقوة عزيمة توافة الى الايمان بحقائق ثابتة ترضى عقله وقلبه ..

والقاعدة الثالثة هي أن يكون المرء موافقا للحقيقة دائما ، وأن يخالف نفسه وذلك بأن يهجر الراحة ويترك الهوى ويصبر على النائبات .

ان هذا العدد الكبير من المذاهب الفلسفية المتضاربة أريك فكر « الغزالي » الذي يرى أن تباين **الناس في** المال ، ثم تباين الائمة في المذهب بحر عميق غرق فيه الكثيرون وما نجا منه الا القليلون · فضلا عن ان كل حزب بما لديهم يفرحون ، وبناء على هذا **يحثنا « الغزالي »** على التمسك بالسنة وأن نكون متبعين لا مبتدعين حتى ننأى عن الضلال ، **فانه لا ينجح من** يتبع الشريعة التي تمنتها له نفسه **ولا يفلح من اتخذ** نفسه وليا وهذا ما يجرنا الى **« القاعدة الرابعة »** فقد يصعب علينا ان نفهم أن مفكرا حرا **كالغزالي** يبشر بمبدأ يدعو الى تقليد العقائد المنقولة دون تكفير وهو المبدأ الذي رفضه « الغزالي » نفسه في حياته العملية ، ولكن ينبغي أن نذكر أن كلامه كان موجها للعامة ، هذا من ناحية · ومن ناحية ثانية كان يرى أن التقليد خير من الفوضى · وفي « القاعدة الخامسة » يبسط « الغزالي » شرور المماطلة ويحذرنا منها ، يدعونا الى أن نتحلى بالهمة العالية ، وفي « القاعدة السادسة » يذكرنا بأن نعترف بعجزنا عن آداء أي عمل الا بقدرة الله تعالى ، ولكن يحذرنا أن نتخذ هذا ذريعة للكسل وحجة التراخي ، وفي « القاعدة السابعة » يدعونا الى مذهب في الخلاص الروحي يقوم على الايمان ويسمى هذا بقاعدة الرجاء · وفي « القاعدة الثامنة » يوصينا بالعبادة والصلاة ، ويؤكد لنا أن من ينقطع عن الصلاة ، يحرم نفسه من موارد الله التي هي مصدر كل القوى الروحية · وتقوم « القاعدة التاسعة » على المراقبة · فمن داوم على مراقبة الله ونفى عن قلبه غير الله وجد الله ، ثم يترقى من المطالب الى السكينة ، الى اليقين ، بارادة الله وقدرته ، ثم يزيد تأمله ومراقبته حتى يصل الى عين اليقين · وهناك يفنى في ذات الله ، يقول : « **ما رأيت شيئا الا ورأيت الله القيوم على كل شيء بقيوميته ، وذلك الشيء القائم بقدرته على المشاهدة والمحاضرة ، والعلامة الظاهرة لهذه القاعدة ان يكون المرء مناديا مع الخلق منتقيا لاصحابه ··**

وتختص « القاعدة العاشرة » بالعلم الذي يستطيع الانسان بواسطته أن يرى الله · وعلى المرء أن يشتغل بهذا العلم بجد ، ظاهرا أو باطنا ، وعلامة هذا العلم الظاهر هي المواظبة على الطاعة لله ··

وختاما ، فمعذرة مني اليك يا حجة الاسلام اذا جاوزت قدري بالحديث عنك ، فما دفعني للاقتراب من ساحلك الا تعطش للاغتراف من مددك ، وما ساقني للتحدث عنك الا فرط حبي لك ، فلقد كنت وما زلت وستظل علما من اعلام الاسلام الخالدين ···



أرجو ألا أكون قد أطلت عليك

هذا نموذج من سيارات المستقبل لتوفير المساحات ولكن المشكلة أين نجد أناسا صغارا بهذا الحجم..؟

د. سعيد المهدى



تسببت الصناعة الحديثة في القرن العشـرين في تلويث البحار والانهار والهواء والارض بطريقة قتلت الاحياء المائية والبرية ، وهددت حياة الانسان بالخطر ولا زالت بعض دول العالم غير مكترثة وغير متنبهة لهذه المخاطر ..

واهتمت الهيئات الدولية بهذه الظاهرة فعقد مؤتمر هلسنكي في عام ١٩٧٤ بعد أن دعت له الامم المتحدة . وقد اتضح في ذلك المؤتمر أن العالم مهدد بكارثة مؤكدة ، اذا لم تتخذ الاجراءات السريعة اللازمة لمنع الصناعات الثقيلة والخفيفة واصحاب المشاريع الزراعية الضخمة ، والدول الكبرى من تلويث البيئة بالدخان والفضلات ، والزيوت ، والتجارب الذرية والصناعية .

ولا زال قانون البيئة العالمي في طور التكوين بعد كل الضجة التي أثيرت في الوقت الذي تزداد فيه مخاطر التلوث وتتعدد انواعه ومشاكله الاجتماعية والقانونية والاقتصادية ، وتتعدى آثاره كل الحدود الدولية .

ومن سوء الحظ أن القوانين الداخلية في الدول لم تلتفت ايضا لتلوث البيئة وبخاصة في العالم الثالث ، اما لانها قوانين تكثر بها الثغرات ، او لا تعالج مشاكل تلوث البيئة المتعاظمة المتجددة . ولم ينجح المجتمع العالمي حتى الان في وضع قانون عالمي ملزم لكل الدول للتقليل من مخاطر تلوث البيئة ، بعد أن عبر التلوث والادخنة السامة القاتلة حدود الدول وتركز في شكل سحب وغيوم ، ورياح ، وأمطار حامضة حموضة حامض الكبريتيك قيل انها هطلت في شمال النرويج فقضت على بعض النباتات والاحياء المائية ..

وقد تسببت الدول الصناعية المتقدمة في كل هذه الكوارث بفضل صناعاتها وفضلاتها ، وزيوتها ، ومداخنها ، وتجاربها الذرية في الفضاء وتحت الارض والقائها للبضائع ومخلفات الصناعة في اعماق البحار والمحيطات .

وقد عانت بعض الدول من تلوث شواطئها الرملية الهادئة الجميلة عندما تغرق احدى حاملات البترول الضخمة في البحار او تفرغ جزءا من حمولتها على

سطح ماء البحر أو المحيط فتحمل الرياح الزيت الى الشواطىء ، فتحيلها الى خراب ودمار تعجز الدول عن حماية نفسها منه ولو بأحدث الوسائل العلمية ·

استغلال بشع

وقد استغلت بعض الدول مبدأ حرية أعالي البحار استغلالا بشعا بالرغم من القيود التي يفرضها القانون الدولي · فعاثت في البحار افسادا وتلويثا ·

اننا يجب أن نعترف أن للملاحة البحرية دورا هاما في حياة الانسان ، وأن الطيران فوق الارض وأعالي البحار أصبح من أهم وسائل الاتصال بين الامم · ويترتب على هذا عدم الحاق اضرار بالبحار والفضاء ، ويجب أن تقيد الحقوق التي تمارسها الدولة سواء كانت حقوق ملاحة ، أو صيد ، أو أسلاك انابيب بحرية ·

ومما يتصل بهذا الامر ضرورة الحرص على عدم تلويث البحار والفضاء بالمواد الضارة بصورة تهدد الصيد والسلامة ، أو تعرقل استعمالها للملاحة · وتشمل هذه المواد المخلفات الصناعية ، والزراعية للدول الساحلية ، ومخلفات وقود السفن والمخلفات الاشعاعية ··

وقد بذلت الدول جهودا كبيرة لفرض أشراف دولي الهدف منه منع تلويث البحار · وقد ابرمت في لندن في سنة ١٩٥٤ اتفاقية خاصة بالقاء المواد الضارة وبصفة خاصة الزيت في البحار · وتطالب الدول ومؤتمر البيئة الذي عقد في عام ١٩٧٢ وعام ١٩٧٤ تحت رعاية الامم المتحدة بابرام اتفاقيات عالمية لمنع تلوث البحار ··

وقد عارضت دول كثيرة ما تقوم به بعض الدول الكبرى مثل فرنسا من استعمال أعالي البحار لاغراض اجراء التجارب الذرية ، فهذه التجارب ينتج عنها اشعاعات تضر مساحات واسعة من المحيطات قد تصل الى ٤٠٠ الف متر مربع ، وتجعلها غير صالحة للملاحة، كما تلحق اضرارا بالغة بالثروة المائية الحية في المحيطات والبحار ··

وعارضت بعض الدول ايضا العرف الذي جرت عليه بعض الدول من اقامة مناطق حظر في أعالي البحار لاجراء التمرينات الحربية كالتجارب على الصواريخ ·

وقد عرض هذا الامر على مؤتمر جنيف سنة ١٩٥٨ واصدر المؤتمر في ١٩٥٨/٤/٢٧ قرارين ، يتضمن أولهما احالة موضوع اجراءات التجارب الذرية في أعالي البحار على الجمعية العامة للامم المتحدة لدراسته ، أما الثاني فيقضي بتوصية « الوكالة الدولية للطاقة الذرية » بالتعاون مع المنظمات الاخرى ومع



الدول ، لتطهير أعالي البحار من المواد الاشعاعية · وقد منعت اتفاقية موسكو المبرمة في ٥ أغسطس ١٩٦٣ اجراء التجارب الذرية في أعالي البحار ·

ان التقدم العلمي والتكنولوجي في العالم له آثار سلبية عظيمة الخطر على البشرية وعلى المحيطات والفضاء ، والارض ، وثرواتها · وسوف يزداد الموقف سوءا عندما تبدأ الدول المتقدمة أو السلطة الدولية المقترحة في استغلال قاع أعالي البحار لاستخراج الثروات الطبيعية كالبترول والمعادن ·

التلوث والبيئة العالمية

ان البيئة المحلية والبيئة العالمية لابد من حمايتهما من الاضرار الناجمة عن الصناعة والزراعة والتجارب الذرية في الارض والبحر والفضاء ··

وفيما يتعلق بالبيئة المحلية صدرت قوانين في كثير من الدول لتنقية الدخان المنبعث من المصانع ، وفرضت قيود كثيرة على الصناعات والزراعة · وتعاقب القوانين المحلية اصحاب المصانع والزراعة على المخالفات التي يرتكبونها سواء كانت المخالفات ازعاجا أو اهمالا أو تقع تحت طائلة قوانين المسئولية المطلقة ·

ولابد الان من الالتفات للبيئة العالمية ككل نسبة لان أخطار التلوث لاتنحصر في منطقة واحدة اذ انها تعبر الحدود بدون تأشيرات دخول وبدون اذن اقامة ، فتقتل وتخنق وتفسد الصحة والزرع · وقد ذكر في كثير من المؤتمرات أن بعض المصانع في بريطانيا – انصياعا للقوانين المحلية – شيدت مداخن عالية لمصانعها ، فعبر الدخان السام الحدود واستقر في أقصى شمال أوروبا وفي شمال النرويج بالذات وتجمع هناك واختلط مع السحب ، وعندما هطلت الامطار احدثت اضرارا بالغة بالاحياء المائية ، والنباتات ،

التلوث يحطم اقتصاديات الدول النامية . الدول المتقدمة تلوث الفضاء والبحار بالغبار الذري القاتل

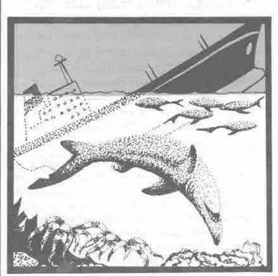
والمنشئات والناس ..

ويجب أن تستفيد الانسانية من الخبرات والقوانين المحلية في كفاحها لتنقية البيئة . ومن ضمن هذه الخبرات قوانين المسئولية التقصيرية – أي العمل غير المشروع ..

وفقا لهذه القوانين فان كل خطأ صادر من شخص يسبب ضررا للغير يلزم من ارتكبه بالتعويض .

ان الضرر الذي تسببه سفينة ألقت ببعض مخلفات وقودها في البحر لدولة ساحلية ، ضرر مادي فيه اخلال بمصلحة الدولة الساحلية ، وهذه المصلحة قد تكون ذات قيمة مالية . ان لكل دولة ساحلية الحق في السلامة والامن ، وسلامة حياة مواطنيها وسلامة اجسامهم وعقولهم . فالتعدى على شطئان البلدان الساحلية ضرر ، والتعدى على حياة مواطنيها ضرر ، بل هو ابلغ الضرر ، واتلاف عضو او احداث جرح او اصابة الجسم او العقل بأى أذى ضرر مادي . ويعتبر التعدى على الممتلكات ضرر ، واخلال بحق مالي . فاذا غرقت سفينة محملة بالنفط قرب ساحل دولة ما ، وتسرب منها النفط وغمر شواطئها ، فان في هذا ضررا واخلالا بحقوق الدولة الساحلية ..

وهناك حادثتان في السنوات القليلة الماضية غرقت فيهما سفينتان محملتان بالنفط ، احداهما قرب شواطىء بريطانيا الجنوبية ، والاخرى في مضيق دولي ملاحي في اندونيسيا ، وقد سال النفط غزيرا والحق اضرارا بليغة بالشواطىء والبلاجات والشاليهات ، كما انه قتل الاحياء المائية ، واضر بصناعة صيد الاسماك ، وافقد الصيادين مصدر رزقهم وهدد الامن في المنطقة التي لم تعد صالحة للملاحة أو الترويح لزمن طويل . واستطاعت بريطانيا كدولة متقدمة وصناعية وغنية ان تقضي على بقع النفط بتكاليف باهظة . اما دولة اندونيسيا الارخبيلية النامية فقد عانت الامرين وقاست مما لحقها وطلبت اندونيسيا من اليابان صاحبة السفينة الغارقة التعويض عن الخسائر المادية والادبية والبشرية التي لحقت بها ولا زالت المفاوضات جارية لتحديد قيمة التعويض . وفي كل هذا اعتمدت اندونيسيا على العرف الدولي الذي يلزم الدول التي تسبب اضرارا للشواطىء والبحار والممتلكات ، وبني الانسان بدفع تعويض عادل .



القواعد القانونية

بمرور الزمن تطورت قواعد قانونية محددة لحماية البيئة ومراعاة حسن الجوار وعدم ايذاء الجار . وتنحصر هذه القواعد القانونية المستقاة من القوانين المحلية فيما يلي :

- الازعاج ..
- الاهمال ..
- المسئولية المطلقة ..

وبنيت كل هذه القواعد على مبدأ العمل غير المشروع والمسئولية التقصيرية التي تلزم كل شخص يصدر منه خطأ يسبب ضررا للغير بتعويض ذلك الغير .. وطبقت ايضا نظرية التعسف في استعمال الحق (ABUSE OF RIGHT) لدرء خطر التلوث الدولي .

نظرية التعسف في استعمال الحق :

ان نظرية التعسف في استعمال الحق نظرية قديمة عرضها الرومان والفرنسيون وتشبع بها الفقه الاسلامي وقد اخذت بها التقنينات المحلية الحديثة .

والاساس القانوني لهذه النظرية هو المسئولية التقصيرية ، اذ التعسف في استعمال الحق خطا يوجب التعويض • فاذا بنى شخص حائطا ليمنع عن جاره الهواء والضوء كان عمله تعسفا في استعمال الحق ، ويجوز للمحكمة ان تقضي بهدم الحائط او بتعويض من لحقه ضرر •

ان للدول حقوقا في اعمال البحار والمضايق والقنالات الدولية ، ولكنها في استعمال حقوقها والرخص التي منحت لها يجب الا تنحرف عن السلوك المالوف للشخص العادي • فاذا انحرفت سفينة او طائرة دولة او تجربة ذرية لدولة ، خرجت عن حدود الحق المقر به لها والزمت بالتعويض اذا هي سببت ضررا محققا • وذلك لان الانحراف عن الحق لا يعتد به الا اذا قصد به الاضرار بالغير وحدث



الضرر فعلا وتحققت مصلحة غير مشروعة للدولة التي تعسفت في استعمال حقها ••

ان التجارب الذرية في اعالي البحار والفضاء وتحت الارض نوع من التعسف في استعمال الحق وخروج وانحراف من الحق والسلوك المالوف حتى ولو قصدت الدول التي تجرى التجارب الذرية تحقيق مصلحة مشروعة لنفسها ترجح رجحانا كبيرا على الضرر الذي يلحق بالدول الاخرى وباعالي البحار واحيائها وثرواتها ومياهها وبالفضاء المحيط بالكرة الارضية •

ان احداث التلوث ضرر يسببه صاحب الحق وهو يستعمل حقه ، ولذا يعتبر تعسفا ، وتصبح المنفعة العائدة على الدولة التي تحدث التلوث عاملا ثانويا بالنسبة لمصلحة البشرية جمعاء ••

وقد راينا في السنوات الاخيرة كيف حملت استراليا ونيوزيلنده على فرنسا بسبب اجرائها التجارب الذرية في المحيط الهادي ، وكيف طالبت الهند الدول المطلة على المحيط الهندي بجعله منطقة خالية من القواعد العسكرية ومن التجارب الذرية وتخزين القنابل فيه • وايد هذا الاتجاه الاعلان السياسي لمؤتمر دول عدم الانحياز (٨٥ دولة) المنعقد في كولومبو في اغسطس عام ١٩٧٦ •

ان هذه الدول تدافع عن حقها وتمنع الدول المتقدمة من تلويث المحيط الهندي ليحتفظ بنقائه وصفائه وجماله ورونقه واحيائه وثرواته الحية وغير الحية تراثا مشتركا للبشرية جمعاء ••

واكتسبت نظرية التعسف في استعمال الحق في هذا المضمار شانا عظيما ، وذلك بانها اصبحت احد المبادىء المعروفة الثابتة في القانون الدولي العام • وقد اشارت اليها محكمة العدل الدولية في العديد من احكامها ويمكن الاستناد الى هذه النظرية في حالة اي نزاع ينشب بين الدول فيما يتعلق بقانون البيئة وحمايتها ••

ان للامم المتحدة دورا بارزا في الحث على اصدار التشريعات لحماية البيئة اذ هي التي توحد جهود الدول في هذا المجال • وقد وجهت اهتمامها اخيرا للنواحي القانونية التي تتعلق بالتلوث وبخاصة مايلي :

- مسئولية الدول عالميا عن حماية البيئة ••
- مسئولية الدول عن الاضرار التي تلحقها بالبيئة والتعويضات الناجمة عن تلك الاضرار •
- الاعمال الضارة في الارض والبحر والفضاء التي تؤثر على البيئة المائية والفضائية •
- حماية الاجواء وجمع المعلومات ونشرها وتبادلها فيما يتعلق بحماية البيئة •

لقد ذكرنا أن مسئولية الدول عالميا عن حماية البيئة ترتكز على نظرية التعسف في استعمال الحق التي اشارت لها محكمة العدل الدولية في العديد من احكامها • ولذا اعتبرت من المبادىء النامية في القانون الدولي العام • وقد حاولت محكمة العدل أن تبلور هذا المبدأ حين اقرت بانه يفترض تقييدا لممارسة الحقوق التي لم تعد مطلقة ، كما انها تمنع ممارسة الحق بطريقة تحدث ضررا للغير أو للمجتمع • وقد

على بلدان العالم الثالث ان تحافظ على نظافتها ونقائها

بعض الدول تستغل مبدأ حرية أعالي البحار .. ببشاعة !

التجارب الذرية في أعالي البحار والفضاء وتحت الأرض .. نوع من التعسف !

ذكر الفقيه اوبنهايم (OPPENHEIM) بانّ التعسف في استعمال الحق يحدث عندما تمارس دولة حقها بطريقة غير مألوفة تسبب ضررا لدولة اخرى وهذا الضرر يمس مصلحة ذات قيمة مالية في نظر المجتمع الدولي .

ويمكن ان يقال بان هناك قانونا قد تبلور في هذا الصدد هو قانون المسئولية التقصيرية الدولي . ويتسع مجال هذا القانون كلما تطور العلم والاختراعات الحديثة وسببت الاضرار للدول الاخرى .

ان بعض الدول في استعمالها لحقها بطريقة تعسفية تحتمي وراء نظرية السيادة . غير أن هذا الاتجاه خطير نسبة لانه قد يحدث نزاعا مسلحا بين دولتين احداهما تصر على ممارسة حقوقها السيادية ، واخرى تدعى بان أعمال الدول الاخرى خرق لسيادتها وتعد صارخ على استقلالها ، مما يهدد السلام الدولي .

التلوث العابر للحدود

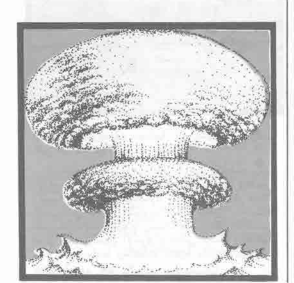
اشرنا فيما سبق الى أن التلوث لا يعرف الحدود الدولية سواء كان في البحار أو الانهار الدولية أو الفضاء . ولذلك ينبغي مكافحته بالتعاون والتعاضد الدولي الوثيق ..

فالتجارب الذرية في البحر أو الفضاء والقاء فضلات الصناعة في الانهار الدولية تعبر الحدود وتسبب اضرارا بالغة للدول المجاورة النامية والمتقدمة وفي هذا الصدد اتخذت الامم المتحدة في دورتها الثامنة والعشرين القرار رقم ٣١٢٩ الذي ينادى بالتعاون بين الدول في مجال البيئة وبشأن الموارد الطبيعية التي تتشارك فيها دولتان .

وقد أومأ القرار الى التركيز على التعاون الفعال المثمر بين الدول وذلك بصياغة ووضع معايير عالية نموذجية للحفاظ واستغلال الموارد الطبيعية المشتركة بين دولتين أو اكثر في نطاق العلاقات العادية بين تلك الدول .

ان المقصود من الموارد الطبيعية المشتركة بين دولتين أو اكثر قد يكون الغلاف الجوي المحيط بتلك الدول والاحوال الجوية والطقس ، أو موراد وثروات البحر وقاع البحر التي تقع بعد البحر الاقليمي والجرف القاري . ان هذه الموارد تراث مشترك لكل الدول . ان استغلال هذه الموارد يجب أن يتم بدون تلويث للبيئة سواء كان هذا الاستغلال في البر أو البحر أو الجو أو في الانهار أو في البحيرات والبحار الداخلية المغلقة ..

وتعتقد بعض الدول ان هذه الموارد المشتركة عند استغلالها قد تقتضي التنازل عن بعض سيادة الدول المتجاورة المستغلة لها ، لان السيادة على هذه الموارد قد تكون مشتركة بين تلك الدول . وينطبق هذا على الانهار الدولية التي تشق عدة دول كما ينطبق على البحيرات والبحار المغلقة والمفتوحة التي تشكل حدودا مشتركة للدول المتجاورة . وعلى كل دولة مطلة على نهر دولي أن تستعمل حقوقها فيه بطريقة



لا تحدث ضررا للدول الاخرى التي يشقها بعد تلك الدولة لان مثل هذا النهر مصدر طبيعي مشترك بين تلك الدول ·

واعتبرت بعض الدول المياه الساحلية للبحار المغلقة وشبه الحبيسة والمفتوحة مصدرا طبيعيا مشتركا لدولتين او اكثر بما في ذلك الثروات الحية الكائنة فيها · ودعت دول أخرى الى المحافظة على الغابات التي تمتد عبر حدود البلدان وحمايتها من التلوث العابر للقارات والحدود الدولية جوا وبرا وبحرا ·

خلاصة :

ان تلوث البيئة أصبح مشكلة انسانية دولية كبرى وقد تسببت الانهار الدولية التي تمر بعدة دول في تلويث سواحل البحار ومياهها · كما تجنت الطائرات والتجارب الذرية والمداخن على الجو · وصارت السيارة من أخطار أعداء الانسان بحكم استعماله لها وقربه منها وتلويثها للجو المباشر المحيط به في الشارع والمنزل والمكتب والمنتزهات · كما أن السفن والغواصات التي تمخر عباب البحر قد تجنت على صفائه ونقائه ولوثت مياهه الزرقاء الصافية الجميلة وقتلت احياءه ·

وقد قام برنامج الامم المتحدة للمحافظة على البيئة باجراء دراسات عديدة في الجو والبحر والبر وحاول اقناع الدول بضرورة سن التشريعات لحماية البيئة حتى لا تتسمم الارض ·

وفي اجتماعه الثامن والثلاثين في ١٩٧٥/٤/٢٥ وافق مجلس ادارة برنامج الامم المتحدة على وضع برنامج سلوكي تلتزم به الحكومات للمحافظة على البيئة بعد الاضرار البليغة التي لحقت بها من جراء استغلال المصادر الطبيعية والصناعية والزراعية ·

ان التعاون الدولي الوثيق لانقاذ البيئة مما لحق بها من اضرار واجب اساسي وشرط ضروري لمنع المزيد من التدهور في الاحوال والظروف البيئية · وينبغي على بلدان العالم الثالث التي لم تبلغ فيها درجة التلوث القاتل ما بلغته في الدول المتقدمة أن تحافظ على مواردها الطبيعية ونظافتها ونقائها · انها تستطيع أن تستفيد من تقدم العلم في انشاء صناعات ثقيلة وخفيفة « نظيفة » الدخان معقمة المواد الضارة ، والا آل الامر فيها الى ما آل اليه في الدول الغنية الصناعية المتقدمة التي يختنق الناس فيها في الشتاء من جراء الضباب المشبع بدخان المصانع السام والذي اطلق عليه مصطلح (SMOG)

١ ٢

بدون تعليق

○ سمعت

سمعت عن اطفال بعمر الزهـور يبحثون عن ابائهم في بيروت ..

سمعت عن امهات ثكلى يفتشن عن ابنائهم في الشياح ..

وسمعت ان خنادق تهاوت على رؤوس النساء والشيوخ في تل الزعتر ..

حين اسمع هذه الاخبار احس شيئا ما في داخلي يتمزق !..

اتذكر حين كنت اتامل وبحسرة ذلك المسافر الى لبنان بلد الجمال .. واليوم اتامل المأساة من ذلك المسافر القتيل الذي سار الى لبنان ..

صرخ وصراخي يبلغ عنان السماء ولا احد يسمع : لماذا يقتل العربي اخاه ؟..

استحلفكم بما تبقى لنا من مروءة العرب ان توقفوا هذه المجزرة ..

اوقفوا نزيف الدم العربي المنساب من اعالي الجبال الى وادي الموت المخيف !

اوقفوه من اجل السلام .. ومن اجل لبنان ..

شفاء لبيب التكريتي
العراق - بيجي



● ان سباق التسلح ادى الى استنباط انواع من الاسلحة المدمرة ، وان بعض الاحصاءات تشير الى ما يدبره سباق التسلح لهذا العالم من خطر يتمثل في الاتي :

ان هذا العالم نصف طاقته البشرية من العلماء لبحوث التسلح وتطوير السلاح ، وزيادة قدرته على الردع والابادة !..

وان في العالم حوالي ٤٠٠و٨٠٠ عالم ، نصفهم مشغولون بدراسات عن التسليح ، وتطوير السلاح ، وبخاصة الاسلحة النووية والهيدروجينية .

اما انفاق العالم على هذه البحوث فقد وصل الى مائتي الف مليون وعشرة الاف من ملايين الدولارات كل عام .. بينما عدد الاضافة السكانية يزيد على ٧٠ مليون كل عام !..

وسمعت ايضا ان الابحاث العسكرية حول اسلحة الدمار ، تتضاعف ثلاثة الاف ضعف الى عدد الزيادة السكانية !

وبتوزيع المبالغ التي تصرف على البحوث الحربية - مجرد البحوث - على عدد سكان الارض كلها ، نجد ان كل مواطن على هذه الارض يصيبه من هذا المبلغ قرابة خمسين دولارا كل عام .

اليس من المؤسف حقا .. ان يذهب نصيب كل فرد وراء البحث عن وسائل هدفها الفتك به ، والقضاء عليه ؟!..

احمد احمد خليفة الديك
مدرس مساعد - جامعة الاسكندرية - ٨ شارع محرم بك - الاسكندرية .
جمهورية مصر العربية

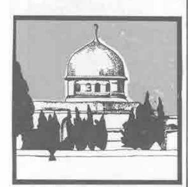
○ رأيت

● في خلال زيارتي الصيفية هذا العام الى منطقة فلسطين المحتلة ، قمت بزيارة خاصة الى المدينة المقدسة ، واغتنمت فرصة وجودي بها ، وذهبت لزيارة ذلك الاثر الاسلامي الخالد الذي تفتخر به المدينة المقدسة « المسجد الاقصى وقبة الصخرة المشرفة » . وعندما نظرت الى هذا الاثر الخالد ذهلت واصابتني الدهشة لما وصل اليه العرب المسلمون من تقدم وتطور في فن الهندسة العمرانية .

وقد رافق هذا الشعور ، شعور اخر هو « شعور بالنقمة » حيث راعني دخول اليهود الصهاينة الى هذا المكان المقدس ، باعداد كبيرة ، والاهم من « شبه عراه » !!

واخيرا كل ما اردته من ذلك ان اضع القارىء العربي في كافة ارجاء المعمورة على واقع الامر الذي تعاني منه اولى القبلتين وثاني الحرمين الشريفين .

محمود علي عطا الله
الجامعة الاردنية - كلية الاداب .
عمان - الاردن



قراءات

● قرأت أن الشيخ علي الليثي كان شاعر القصر في عهد الخديوي اسماعيل ، وقد كان مرحا خفيف الظل • وقد اراد احد باشوات قصر عابدين ان يجعل الشيخ علي الليثي تابعا له في رياسته ، وكان هذا الباشا يدعى (مصطفى العرب) ، فكتب الشيخ علي الليثي قصيدة القاها في حضرة الخديو ، قال في مطلعها :

الموت والجوع والافلاس والجرب

ولا يكون رئيسي مصطفى العرب

فطرب لها الخديو ، واستعادها من شاعره ، ثم قال لمصطفى باشا العرب :

ـ اياك ان تقترب من الشيخ علي •

واراد خيري باشا (المهردار) ـ وهو حامل اختام الخديوي ـ الانتقام من الشيخ علي الليثي ، فامر خطاط القصر بان يكتب ورقة يلصقها على باب غرفة الشيخ في قصر عابدين ، وكان مكتوبا عليها : « انما نطعمكم لوجه الله » ••

فرد الشيخ علي الليثي ، على خيري باشا (المهردار) بورقة مثلها كتبها خطاط اخر ، والصقها على باب غرفة خيري باشا ، وفيها بيتان طريفان •

عندنا طاحونة في البلد

لكن تقيلة على الحمار

دورت فيها التور عصى

دورت فيها المهردار

وكانت واحدة بواحدة •

حسين علي محمد
ديرب نجم ـ الشرقية ـ مصر طرف اجزاخانة ماهر
جمهورية مصر العربية



● اراد « جحا » ان يبيع حماره فذهب الى السوق ، واعطاه للدلال ليبيعه فاخذ الدلال يدور به وينادي : هذا حمار سريع السير ، متين التركيب ، واسع الخطا ، لا يشعر راكبه باي تعب • وبينما الناس يتزايدون على الحمار اعجابا بكل هذه المزايا ، قال جحا لنفسه : لابد ان الحمار به كل هذه الصفات وانا لا ادرى • وفي لمح البصر اندفع بين المتزايدين واخذ يتبارى معهم في رفع ثمن الحمار ، الى ان رسا عليه البيع ، فاخرج نقوده من كيسه ، ثم اعطاها للدلال ، وتسلم الحمار وانصرف عائدا الى البيت سعيدا بهذه الصفقة •

وفي المساء جلس يقص على زوجته نبا المزايدة فقالت له :

ـ وانا ساحدثك عن ما هو اعجب من هذا • لقد مر امام دارنا بائع القشدة فناديته ، واخذ يزن لي ، فغافلته ووضعت اساوري الذهبية في الكفة التي يضع بها المكاييل • وهكذا اخذت من الوزن اكثر مما استحق • فلما انتهى •• حملت الوعاء فورا ودخلت البيت ، دون ان استعيد الاساور ـ بالطبع ـ حتى لا يكتشف انني « ضحكت عليه » في الميزان !!••

قال لها « جحا وهو يغالب الضحك والسخرية

ـ بارك الله فيك • انا من الخارج • وانت من الداخل •• وبهذا يعمر البيت !!

خلف ابراهيم خليل سلامة
عمان ـ الاردن ـ معهد المعلمين ـ مدرسة التطبيقات
ص•ب : (١٧٠٥) •

● في كتابه « دع القلق وابدأ الحياة » قرأت لـ « ديل كارنيجي » : لا تخش ان يساء فهمك • ولا تضيع لحظة من التفكير في خصومك • احصر ذهنك في الامال الكبار التي تريد تحقيقها • وسوف تجد بمرور الايام انك تقتنص الفرص ، في غير وعي منك ، لتحقيق هذه الامال • تمثل في ذهنك صورة الشخص الناجح الذي تريد ان تكونه ، وستحولك هذه الصورة رويدا رويدا الى ذلك الشخص الذي تطمع في ان تكونه • ان التفكير في ارقى مميزات الانسان • وان تفكر تفكيرا صحيحا هو ان تخلق وان تبتكر • فكل الامال الكبار تبدأ رغبة • واننا اخر الامر سائرون الى المثل الاعلى الذي ترغبه قلوبنا وتشتهيه •

سعيد محمود عبد فيشاوي
جمهورية مصر العربية
مبنى الاتحاد الاشتراكي العربي ـ الدور الثامن ـ ميدان التحرير •

● لما نزل قول الله سبحانه وتعالى « ان الله لا يحب كل مختال فخور » ـ الاية ١٨ من سورة لقمان ـ اغلق ثابت بن قيس باب داره ، وجلس يبكي • فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بامره ، دعاه وساله عن سبب بكائه • فقال له ثابت :

ـ يا رسول الله •• اني احب الثوب الجميل •• والنعل الجميل • وقد خشيت ان اكون بهذا من المختالين •

وعندئذ اجابه النبي « ص » ضاحكا وراضيا :

ـ « انك لست منهم • بل تعيش بخير •• وتموت بخير •• وتدخل الجنة » ••

منيرة عبد الحليم ابو قصيصة
بواسطة : عبد الحليم ابو قصيصة
المحكمة الشرعية العليا ـ المكتب الفني ـ الخرطوم ـ السودان •

محمد جابر الأنصاري

فصول من تاريخ صحافة الخليج

قصة أول صحيفة سياسية جامعة

١٩٣٩ - ١٩٤٥

كانت المحاولة الصحفية الاولى ـ كما رأينا في مقالتنا السابقة « فصول من تاريخ الصحافة في الخليج : قصة المحاولات والبدايات الاولى : ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ » ـ تتمثل في اصدار مجلة ثقافية شهرية بالكويت ـ تطبع بمدينة البصرة ـ باشراف المصلح الكويتي المجدد عبد العزيز الرشيد ·· وهي المحاولة التي عاشت لمدة سنتين ونيف بين ١٩٢٨ و ١٩٣٠ ·

اما المحاولة الصحفية الثانية ، والتي هي في الحقيقة الاولى بمقياس الصحافة السياسية الاخبارية ، فستكون « جريدة البحرين » للاديب والصحفي البحريني المعروف عبد الله الزايد ، والتي ستصدر خلال الفترة الدقيقة الحاسمة من تاريخ العرب والعالم بين عامي ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ أي أثناء الحرب العالمية الثانية بكل ما تحمله من مخاضات وتفاعلات على الساحة الدولية والعربية والخليجية ·· وهكذا فاذا كانت الكويت هي السباقة ـ على يد عبد العزيز الرشيد ـ الى الريادة في حقل الصحافة الثقافية ، فان البحرين تسلمت زمام المبادرة ـ على يد زميله ورفيقه في مسيرة الكلمة عبد الله الزايد ـ في ميدان الصحافة السياسية الإخبارية ، فغدت اول بلد في الخليج تصدر به صحيفة ذات طابع سياسي تغطي مجريات الامور بالمنطقة وتنقل لقرائها أحداث الحرب العالمية وتطوراتها · وكانت البحرين ومنطقة الخليج عموما تشهد في تلك الفترة ظهور طلائع جيل المتعلمين في المدارس العصرية ، وهم الذين سيمثلون جمهرة القراء بالنسبة للصحيفة الجديدة ·

رسائل صحفية

وكان عبد الله الزايد قبل اصدار جريدته عام ١٩٣٩ قد زاول العمل في ميدان تجارة اللؤلؤ (قبل كسادها مع الازمة الاقتصادية العالمية أواخر الثلاثينات وبسبب ظهور اللؤلؤ الصناعي الياباني الذي نافس اللؤلؤ الطبيعي الخليجي واضر بتجارته اضرارا بالغا في الاسواق العالمية ، مما ادى الى حدوث ازمات اقتصادية ومعيشية خانقة في المجتمعات الخليجية لم يخفف من اثارها الا اكتشاف النفط في بعض أنحاء الخليج ، وخاصة بالبحرين حيث بدأ التصدير منذ ١٩٣٤ اي بعد مرور خمس سنوات على انكسار تجارة اللؤلؤ) ، كما ان « الزايد » اتجه الى النشاط الثقافي في « النادي الادبي » الجديد بمدينة المحرق ـ والذي تاسس عام ١٩٢٢ ـ واظهر ميلا الى نظم الشعر الوطني والاجتماعي بنزعة اصلاحية ، اضف الى ذلك ان اسفاره الى الهند ايام حركة « غاندي » ضد الانجليز جعلته يتأثر وينفعل بالحركة السياسية الهندية ويطلع على احوال الصحافة الوطنية هناك وكانت رسائله التي كتبها في تلك الفترة من الهند الى اصدقائه الادباء الاصلاحيين بالبحرين تنم عن وعي سياسي ووطني عميق لما يجرى في الهند ومصر والخليج ، لا بل على الساحة الدولية كذلك · وتكشف هذه الرسائل التي اطلعنا عليها بخط يده نزعة الى التحليل والتغطية الاخبارية وكأنه يكتب بالفعل رسائل صحفية ·· ولكن الى اصدقائه الذين كانوا يجتمعون في « المجالس » او « الديوانيات » للاستماع اليها والى

كان رئيس تحريرها يكتب "رسائل صحفية" إلى أصدقائه قبل أن يحترف الصحافة ..

سجلت الجريدة فترة الحرب الثانية ولم تستمر لتشهد السلام !

أول مشروع "لاتحاد الخليج" طرح ونوقش على صفحاتها..

سايرت دعاية الحلفاء .. ولكن تمسكت بالمطالب العربية.

ما فيها من جديد اخباريا وتحليليا ، هذا بالإضافة الى ما يضمنها من معلومات ثمينة عن احوال سوق اللؤلؤ بالهند واسعاره ومضارياته ، وهي معلومات لا تقدر بثمن لاولئك الاصدقاء الذين يزاولون تجارة اللؤلؤ (الطواشة) ويحسبون ارباحهم وخسائرهم في سوق الهند ـ اكبر سوق للؤلؤ في العالم ـ على اساسها . ان هذه الرسائل تكشف عن ميل مبكر لدى عبد الله الزايد الى الكتابة الصحفية التحليلية وتدل على ان دم الصحفي يجرى بعروقه قبل ان يزاول الصحافة كمهنة . ومن الهند جلب « الزايد » المطبعة التي ستمكنه من تحقيق حلمه الصحفي ، والتي استثمرها في الطباعة التجارية قبل ان يطبع عليها جريدة « البحرين » . ولم تكن اهتمامات الزايد محصورة بالهند رغم اهميتها عندئذ بالنسبة لمنطقة الخليج ، فقد كان دائم الاطلاع علي الصحافة الرصينة في العالم العربي كالمنار والمقتطف والهلال ، كما قام بزيارة ادبية الى مصر والشام عام ١٩٢٨ برفقة احد زملائه من أدباء البحرين ، حيث احتفت بهما الجمعيات الادبية هناك والتقيا بكثير من الادباء والصحفيين والسياسيين العرب في وقت كانت فيه سلطات الاستعمار البريطاني تنظر بحذر الى اي لقاء بين رجال الخليج واخوانهم العرب في الديار المصرية والشامية والعراقية

معاناة مشتركة

وعندما اصدر عبد العزيز الرشيد (مجلة الكويت) لم يكن عبد الله الزايد بعيدا بمشاعره واهتمامه عن المحاولة وبريقها ومتاعبها .. بل كان على صلة مستمرة بصاحبها يبثه لواعجه ويبادله الاراء والافكار بشان النهضة الفكرية ومشكلاتها . وعندما اصدر « الرشيد » المجلة بعث اليه « الزايد » بهذه التهنئة الشعرية التي تنقلها من ديوانه المخطوط (من المؤسف ان الباحثين في الخليج لم يتمكنوا بعد من طبع ديوان عبد الله الزايد رغم تزايد الاهتمام بطبع التراث الخليجي في السنوات الاخيرة) ـ يقول الزايد :

قم فقد لاح بريق الامل
مشرقا ينشر نورا من عل
وتدلت للعلى اسبابه
بعد ياس جذها كالمنجل
قم وجدد منزلا تملي به
وحي قلب كالزمان الاول
وابعث الشعر شعورا طافحا
يهمز النفس كهز الاسل
مرحبا بالادب الجم الذي
فاض منه منهل عن منهل
بالذي سير لي من شعره
عارضا سح .. فاروى غللي
بالذي يبعث لي من نثره

ذوب اكسير .. فيشفي عللي

وبنظم هو في تفصيله

سبل النور ، ونور السبل

والقصيدة طويلة يستذكر فيها « الزايد » مجد العرب الثقافي القديم ، ثم يعرج على هموم النهضة في تلك الحقبة الى أن يكاشف رفيقه بالعقبة الكبرى امام حرية الكلمة وارتقاء النهضة في الخليج عندئذ ، الا وهي سلطة الحماية الاجنبية ، فيقول بشعور متألم يفيض غيظا مكبوتا :

يالقومي من فناء عاجل

من عدا (انجلترا) المستفحل

فرقتنا .. ارهقتنا .. واغتدت

مثل داء قد سرى في العضل

لا نطقنا .. لا عقلنا .. لا ولا

قام منا قائم في محفل

على مثل هذه الخلفية السياسية والفكرية ، وبازاء هذه العقبات الكبيرة ، كانت المحاولات الصحفية بالخليج تضيء بين وقت واخر لتجعل قصة البداية في تاريخ الصحافة الخليجية موقفا وطنيا وقوميا وجهادا في سبيل النهضة الفكرية لا مجرد امتهان واحتراف للعمل الصحفي كما يفعل اليوم بعض الذين يمتطون الصحافة في سبيل الثراء أو الشهرة .

العوامل المساعدة

وفي ابريل (نيسان) عام ١٩٣٩ بدا عبد الله الزايد باعداد العدة لاصدار جريدة البحرين « يومية سياسية جامعة » على ان تصدر ـ مؤقتا ـ بصفة اسبوعية . كانت نذر الحرب قد بدأت تتجمع في سماء أوروبا عندئذ ، ولم يبق على اندلاعها سوى شهور عدة . وقد اخذ العالم العربي بما فيه منطقة الخليج يتأثر بالصراعات الدولية الجديدة بين الحلفاء ودول المحور، وظهرت تيارات مؤيدة للالمان في العراق منذ ١٩٣٦ ، الامر الذي جعل بريطانيا تخشى على وضعها الممتاز المنفرد بالخليج وتعد الخطط لمكافحة التهديدات الجديدة . ومن الخطط التي لجأت اليها ـ أو تظاهرت السياسة البريطانية بها عندئذ ـ خطة الانفتاح على شعوب المنطقة وافساح مجال حرية الراي واظهار التأييد للعرب وامالهم السياسية لكي تكسبهم الى جانبها وقت الشدة .

استفاد « الزايد » من هذه الظروف في وقت تراخت فيه القبضة الحديدية البريطانية ، فأصدر جريدته ، ولم يمانع البريطانيون في اصدارها محاولين شيئا فشيئا ـ بحكم سيطرتهم السياسية والاعلامية بالمنطقة ـ التأثير على طريقة تغطيتها للاخبار ونوعية تحليلاتها لتكون في صف دعاية الحلفاء ضد الدعاية الالمانية الكاسحة التي اكتسبت حينئذ انصارا كثيرين في الخليج والبلاد العربية ، لا حبا في النازية ولكن كرها للاستعمار .

في خضم الحرب الدعاوية

والواقع ان « الزايد » لم يستطع بحكم ذلك الضغط البريطاني ان يقف على الحياد فجاءت مقالاته السياسية عن الحرب اكثر ميلا لمعسكر الحلفاء وان اتصفت عموما بالطابع الموضوعي . ويجب الا ننسى ان قطاعات عديدة من الرأي العام التقدمي العربي وقفت مع الحلفاء املا في وعودهم للعرب وانتصاراً « لقضية الديمقراطية ضد النازية » كما كان يقال عندئذ . ويبدو أن « الزايد » كان يلقي احاديثه الاسبوعية في اذاعة البحرين القديمة التي اقتصر بثها على فترة الحرب ، ثم ينشرها كافتتاحية سياسية بالجريدة . وقد كتب يقول في ٥ فبراير ١٩٤٢ عندما كان التوازن القتالي مازال قائما بين المعسكرين المتناحرين ، والنتيجة الختامية لسير المعارك غير معروفة بعد : « احدثكم الليلة حديثي الاسبوعي المعتاد في السياسة العالمية والاحداث الحربية . وقبل أن ابدأ بحثي التفصيلي أرى أن استعرض لكم العالم اليوم بوجه اجمالي . ان العالم اليوم ينقسم الى قسمين رئيسيين ، القسم الاول ونسميه « قسم الحلفاء » والقسم الثاني ونسميه « قسم المحور » ففي قسم الحلفاء نجد أن الديمقراطيات ومن يتبعها اخذت تعد نفسها لحرب اجماعية ، وظهرت بنتيجة توحيد



الجهود الحربية بعض المشاكل التي اخذ الحلفاء بالتغلب عليها الواحدة تلو الاخرى ، ونجد في قسم المحور ان الدول المعتدية التي سبق لها أن نظمت احوالها وكيانها للقيام بحرب اجماعية تقوم اليوم بمحاولة بائسة للاستحكام والوقوف في المنحدر التي هي فيه ، فالمانيا اليوم تقوم بمحاولات كبيرة تبذل فيها أقصى جهودها لتحتفظ بما حصلت عليه الى حد الان كي تكون قواتها ومعداتها في مواقع ومواضع تستطيع اعادة هجومها منها عندما تسنح لها الفرصة من جديد ، وتقوم اليابان الان بعمليات حربية ترمي فيها الى احتلال المواقع والقواعد التي سيستخدمها الحلفاء عند مهاجمتها في المستقبل .. وهذا يعطينا فكرة اجمالية عن وضع العالم اليوم » . (انظر « جريدة البحرين » العدد ١٥٣ بتاريخ ١٩٤٢ ، ص١) ـ هكذا نرى أن التحليل على قدر لا باس به من الموضوعية ولكن « النبرة » بلا جدال لصالح الحلفاء . ولم يكن بمقدور « الزايد » في ذلك الحين أن يفعل اكثر من هذا . أما رأيه الحقيقي في السياسة الانجليزية فقد رأيناه قبل قليل في شعره . ولكن ذلك لم يكن من الميسور اظهاره على صفحات الجريدة .

وبالاضافة الى هذه التعليقات السياسية العامة كانت الجريدة تنشر اخبار الخليج المحلية والنشاطات السياسية والاجتماعية والثقافية التي كانت تشهدها بلدانه فترة الحرب ، كما كانت تنشر مقالات باقلام الكتاب وناشئة الادب في المنطقة تعالج القضايا الاجتماعية والتجديد الادبي .

وكان « الزايد » لا يترك فرصة المناسبات الدينية تمر دون أن ينتهزها معالجا موضوعاتها من زاوية تقدمية وحضارية وقومية ، محاولا ابراز معانيها العميقة التي لم يكن الجمهور في ذلك الوقت يدركهم بحكم نظرته التقليدية . ففي ذكرى المولد النبوي الشريف عام ١٩٤٢ نراه يكتب : « اليوم هو الذي قسم تاريخ البشرية الى قسمين : جاهلي وحضري . ظلم وعدالة ، عبودية وحرية ، استبداد وديمقراطية : اليوم هو الذي قضى مطلع فجره بابطال عبادة الاوثان وربوبية الانسان . في مثل هذا اليوم استيقظ الناس ومكة ساكنة هادئة ما احس اهلها بشيء ، ولا القى في روعهم امر ، لم يعلموا انهم في يوم ولد فيه افضل من اظلت السماء واقلت الارض . لم يعلموا انه ولد مجد العرب الذي لا يطال ، وعزهم الذي لا يندثر ، ولد منقذ العالم من الضلال ، ولد داعية التوحيد وهادم الشرك .. ابدلنا العلم بالامية ، والوحدة بالتفرق ، واوجد امة لم يقم التمدن الحديث الا على أساس ما انتجته عقول مفكريها ، وحررته انامل علمائها ، وجاءنا بكتاب مضى عليه ١٤ قرنا لم تبطل له قضية او تثبت ضده نظرية ، بينما لا يكاد يمضي على اي كتاب اخر ١٤ سنة حتى تتناقض الاكتشافات العلمية بعض نظرياته وتسخف الكثير من مقرراته .. » راجع « جريدة البحرين » العدد ١٦١ بتاريخ ٢ ابريل ١٩٤٢ ، ص ٣) .


عبد الله الزايد

وهكذا يستخرج من ذكرى الرسول الكريم معاني التقدم والديمقراطية ويشير الى دور العرب الحضاري وينبه الى ما يقوم بين الاسلام والعلم من توافق . وفي ذكرى استشهاد الحسين ينتهز المناسبة ليستخرج منها معاني الثبات على المبدأ والتضحية في سبيل الايمان : « .. ذكرى مجيدة يحف بها الجلال وتكسوها الروعة ، وتعلم المسلم كيف يكون الثبات على المبدأ وكيف تكون التضحية .. مجدوا هذه الذكرى ايها المسلمون ، ونزهوها عما يشينها وينقص من جلالها .. » (راجع « جريدة البحرين » العدد ١٥٢ بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٤٢ ، ص ٣)

اول معارك النقد

وتشهد جريدة البحرين على صفحاتها اولى المعارك الفكرية في الاجتماع والادب يشارك فيها ابناء من الخليج والجزيرة العربية قاطبة . وكان الشاعر عبد الرحمن المعاودة قد كتب قصائد قصيرة على نمط رباعيات الخيام اثار ظهورها جدلا ادبيا حول التجديد والتقليد بمطلع الاربعينات . فانبرى الاديب عبد الله بن محمد الرومي من الاحساء ينقدها بعنف مستخدما عبارات من هذا النمط : « قل لي بربك ايها الصديق القارىء ، ماذا تجد في الابيات ؟ معنى

مكرر معاد تحت أثواب مهلهلة من الالفاظ ، وهذه هي الميزة الوحيدة التي يمتاز بها شاعرنا بعد ان يبتر تراث الشعراء الاقدمين ٠٠ » ٠

ويتصدى لهذا الكاتب اديب اخر بتوقيع (ابن زيدون) ليوفق بين الشاعر المعاودة وخصمه بمقالة تشبه في روحها كتاب (الواسطة بين المتنبي وخصومه) ٠٠ فيقول : « ابن الرومي شاب تأدب على يد بعض رجال المدرسة الحديثة من تلامذة الدكتور ابراهيم ناجي واتباعه ٠ فهو لا يقيس الشعر بمقياس (فعولن مفاعلن فعولن مفاعلن) ٠٠ ولكن الشعر عنده اولا وقبل كل شيء احساس صادق يهز اعماق النفس ثم يخرج على اللسان شعرا يبقى صداه على الزمن أما مراعاة القافية عنده فامر ثانوي ٠٠ ومن هذا يتضح لك ايها الصديق القارىء ان الخصام بين ابن الرومي والمعاودة ليس خصاما شخصيا ضمن دائرة محددة بين شخص وشخص ٠ ولكنه ـ كما ترى ـ حربا قائمة بين مذهب ومذهب وجيل وجيل ، وكل منهما له مقاييسه ومعداته الادبية ونوع ثقافته ٠٠ للاستاذ المعاودة أنصاره ومحبوه ، وانا منهم طبعا ، وهم جميعهم يخشون على تراث الخليل ابن أحمد والشريف الرضي والبارودي وشوقي من أن تعبث به ايدي ناشئة اليوم على حساب تجديد الادب وترميمه ٠ ولابن الرومي انصاره ومحبوه هو الاخر ولا تستغرب أن اكون احدهم ٠٠ وكلهم يود النهوض بالادب العربي والتمشي به حسب مقتضيات هذا العصر وأوضاعه ٠ اما فكرة بقاء القديم على قدمه فشيء لا يمكن احتماله والصبر عليه ٠٠ » ٠

ويعلق الدكتور عبد الله المبارك في اطروحته عن « ادب النثر في شرقي الجزيرة » على هذه المعارك الادبية التي شهدتها صفحات (جريدة البحرين) في ذلك الوقت بقوله : « ٠٠ ورغم ما شاب هذه الحركة النشطة من تهجم عنيف ـ بعضه بالشعر التهكمي الساخر ـ فانها في نفس الوقت قد افادت في نشر بعض المفاهيم الطيبة ، مثل الدعوة الى ضرورة النزاهة في النقد ، والترفع عن البذاءة والتعرض الشخصي ومثل ورود ألفاظ ومصطلحات ـ لاول مرة في ادب الخليج ـ كالنقد الذاتي والنقد الموضوعي ٠٠ » ويبدو أن هذه المجادلات النقدية لم تتوقف بعد مقالة او اثنتين بل استمرت ما يقارب ستة اشهر على صفحات الجريدة ٠ وقد أحصاها الدكتور المبارك في بحثه حيث أشار : « قامت هذه المعركة الادبية على صفحات (جريدة البحرين) في سنتيها الثالثة والرابعة ، وبدأت بالعدد ١٣٧ في ١٦ اكتوبر ١٩٤١ ، وانتهت بالعدد ١٥٦ في ٢٦ فبراير ١٩٤٢ ٠ ويلاحظ أن الكتاب في هذه المعركة كانوا يستعيرون لانفسهم اسماء لكتاب عرب قدماء مثل (القالي) و (ابن العميد)

معركة كلامية بين اذاعة برلين وجريدة البحرين

● يبدو أن اذاعة برلين الهتلرية التي كان يشرف عليها يونس بحري لم يعجبها خط « جريدة البحرين » بالنسبة لمجريات الحرب والخطط الالمانية في الخليج فشنت هجوما يوم السبت ٢٦ اغسطس ١٩٣٩ مما اضطر الجريدة على الرد عليها بمقاله تحت عنوان « مناقشة هادئة » في العدد ٢٣ بتاريخ ٣١ اغسطس ١٩٣٩ ٠ جاء في المقالة : « طالعتنا اذاعة برلين مساء السبت الماضي باذاعة طويلة عن « جريدة البحرين » قالت فيها انها ما كانت تحب أن ترد على جريدة عربية ٠ وأن جريدة عربية تصدر في البحرين يجب ان تكون رمزا للاخلاص والوطنية ، وأن لا تجعل نفسها الة صماء في أيدي المستعمرين ٠٠ وقد دفعها خصب الخيال الى أن تقرأ في جريدتنا اشياء لم تكتب فيها ، واخيرا قالت : (اننا نقول لاصدقائنا أصحاب جريدة البحرين قولوا خيرا واسكتوا) ٠ وجريدة البحرين لا ترد على هذه الاذاعة بالتفصيل ولكنها ترد على النقطة الاساسية ، فتقول : ان على المانيا أن تفتش لها عن اصدقاء في غير بلاد العرب فتدافع عنهم لتكسب صداقتهم ٠٠ ولنا كلمة نوجهها الى المذيعين العرب في محطة برلين : لماذا تذكرون فظائع الانجليز والفرنسويين ، ولا تذكرون فظائع ايطاليا وهي كما تعرفون أدهى وأمر ؟ ٠٠

وعلى هذا النحو جرت المجادلة بين الجانبين وهي نموذج للمناخ الاعلامي الدعاوي أيام الحرب فترة صدور « جريدة البحرين » ٠

انظر كتاب « نابغة البحرين » لمبارك الخاطر « ص ٥٠ ـ ٥١ » ٠٠

و (ابن خلدون) و (ابن زيدون) او يتخفون وراء توقيعات عامة مثل (قارىء) و (احد القراء) وكاتب ٠٠ الخ ٠٠ » ٠ (راجع الكتاب المذكور ص ١٤٧) ـ وهذه اشارة الى ظاهرة الاسماء المستعارة في ذلك الوقت حيث كان الكاتب غير واثق من نفسه تماما ، أو يخشى من عواقب كتابته ، أو يتحسب لسخرية الاخرين وتهجمهم عليه في الجدال فيلجأ الى اسم من تلك الاسماء المستعارة ، وان كان من بينها ادباء معروفون وشخصيات بارزة ٠

ومن الطريف أن كتاب جريدة البحرين خاضوا معركة « المساواة بين الرجل والمرأة » الى جانب ٠٠ الرجل ، فهذه مقالة تؤكد تفوق الرجل الفطري على المرأة حتى في الذكاء : « ٠٠ العبقرية لا تصيب من النساء سوى امرأة واحدة في جانب ٣١ رجلا ومع ذلك فهذا العدد الضئيل من النساء لم يكن من العبقرية بحيث يمكن تأييد تفوقه الذهني ٠٠ ومما يلاحظ ان الفتى والفتاة يستويان في الذكاء مادامنا في المدرسة ، فاذا قارب كلاهما العشرين اخذ الفتى يتفوق ٠٠ وهناك اختلاف ايضا يلاحظ في نوع الذكاء الذي يتصف به كل من الفتى والفتاة ٠٠ فالفتاة تتفوق في المواد التي تحتاج الى ذاكرة فقط ، اما الفتى فذكاؤه يتجه نحو المواد التي تحتاج الى تفكير ٠ والفتاة بطبيعتها تحفظ وتقلد ، اما الفتى فيتساءل ويبحث ، ونموه الذهني يستمر بعد وقوف النمو عند الفتاة ٠٠ » ٠ (راجع « جريدة البحرين » ـ العدد ١٦٠ في مارس ١٩٤٢ ص ٢) ٠

من هو المثقف ؟

غير ان الجريدة تطرقت الى ايضاح بعض المفاهيم الجديدة وتحديد مدلولاتها العملية داعية الى ان تكون الثقافة واجبا اجتماعيا لا مجرد زينة كلامية ٠ ففي مقالة بعنوان (الثقافة) نجد التوجيه التالي : « يقولون فلان متعلم ، فلان مهذب ، وفلان مثقف ٠ ترى ماهي العلاقة بين هذه التعابير الثلاثة ؟٠٠ التعلم هو اكتساب المعلومات المتنوعة من مصادر مختلفة ٠ والتهذيب هو خلق عادات خلقية ونفسية واجتماعية الفها الناس وارتاحوا اليها ٠ والثقافة هي اثر لتفاعل العلم والتهذيب في النفس ٠٠ نعم لا يكفي ان يكون الانسان ملما بشتى العلوم والفنون يختار منها ما يوافق طبعه ومزاجه فينتقيه ويحسن التحدث عنه اذا تحدث ، وانما واجبه أن يخرج للناس شيئا جديدا ينتفعون به ويكون دليلا على ما وصلت اليه

من خلال ما عرف القراء بفن "القصة القصيرة" والنقد الموضوعي".

نفسه من الرقي والثقافة ٠ اما اذا احتفظ بثقافته لنفسه فانه يكون أخل بواجبه وقصر في حق الثقافة ٠٠ والخلاصة ان الثقافة هي صقل النفس صقلا يخلق فيها صفات ممتازة وعادات قوية طيبة وهي اتصال دائم بمظاهر المدنية الحقيقية وهضم تام لمختلف فنونها العقلية والادبية والعلمية » (راجع العدد ٢٠٤ ابريل ١٩٤٣) ٠

وكان لجريدة البحرين دور ايضا في التمهيد لنشوء القصة القصيرة في الخليج بما كتبته من مقالات حول اهميتها وما نشرته من نماذج مبكرة لاوائل كتابها ٠ (راجع الاعداد ٢٠٨ ـ ٢٢٥ ـ ٢٤٧ ـ ١٤١ ـ ١٤٦) ٠

محاور ثلاثة

ويمكن تلخيص مواقف عبد الله الزايد في جريدة البحرين في المرتكزات الثلاثة التالية : الاصلاح الداخلي ـ العدالة الاجتماعية ـ الدعوة لاتحاد الخليج ٠

فباعتباره من جيل الاصلاحيين كان يدعو الى الاصلاح المتدرج في الشؤون الادارية والتربوية وغيرها ، كما كانت له نظرات متقدمة في العدالة الاجتماعية وكان يمتلك حسا مرهفا تجاه القطاعات الفقيرة من المجتمع ٠ وفي أواخر فترة الحرب نشر في جريدته مشروعا متكاملا لاقامة اتحاد بين امارات الساحل العربي من الخليج وفتح حوله حوارا شارك فيه عديدون من رجالات الخليج ٠ ولكن يبدو أن رياح السياسة البريطانية عادت الى الاشتداد بعد الانتصار في الحرب ، فرجعت القبضة الحديدية و « العصا الغليظة » حتى لا يطالب العرب بتحقيق الوعود السخية التي بذلتها بريطانيا لهم أيام الحرب ٠ (راجع كتاب « نابغة البحرين عبد الله الزايد » تاليف مبارك الخاطر ، للاطلاع على فكر الزايد الاجتماعي ومشروعه عن اتحاد الخليج ٠٠ الخ ٠) ٠

وهكذا ما ان جاء عام ١٩٤٥ حتى تغيرت السياسة البريطانية ·

وغاب الصوت ·· وصاحبه

واضطر عبد الله الزايد الى ايقاف جريدته دون احداث أزمة حيث قال للقراء ان الجريدة ستتوقف مؤقتا « بسبب أزمة الورق » ·· ولكن الجريدة لم تستانف الصدور ، واتضح ان السبب يتعدى « ازمة الورق » ·· ولا نعتقد أن عبد الله الزايد قد فوجىء بهذا التوقيف ، فهو عليم كما تبين لنا من قبل بطبيعة السياسة الاستعمارية وتقلباتها · وبشاء القدر ان يكون عام توقف (جريدة البحرين) هو عام انطفاء حياة عبد الله الزايد · لقد رحل بعد توقف جريدته الرائدة بشهور وكأنه أحس أن دوره في الحياة قد انتهى بتوقف رسالته الصحفية والادبية · وكانت اخر قصيدة نظمها في حياته تلك القصيدة الحزينة التي رثى فيها نفسه قبل أن يموت باسابيع قليلة ، وكأنه كان يرثي مع نفسه اماله الكبيرة التي ذوت قبل الاوان :

ملك الحياة وكثر السهر
ورمت الممات وسكن الحفر
ففي الموت بعد عن النائبات
وفي الموت كسر لسيف القدر
هنالك من تحت سجف الظلام
وفوق فراش الثرى والحجر
ترى القلب بارح كل الهموم
وعاد الى رشده واستقر
لقد عفت كل اماني الشباب
ولما أعش مثل عيش الزهر
ومل فؤادي عراك الحياة
كاني شيخ رذيل العمر
ولم ال جهدا ولكنه
هو الدهر يا صاح فظ بطر
أروم الاماني وأسعى لها
فالقى سرابا وشؤما وشر



وداعا ·· ودعا نجوم السما
وداعا ·· ودعا حفيف الشجر

والقصيدة طويلة وكلها تتفطر الما ولوعة كما في الابيات السابقة ولا شك أن بيته القائل « أروم الاماني ·· الخ · » فيه اشارة الى التزامن بين توقف مشروعه الصحفي وسيطرة هذا الشعور النفسي عليه · وقد ارسل الشاعر بقصيدته هذه الى مسابقة اذاعة لندن للشعراء العرب ، فنالت الجائزة الثالثة ·· ولكن عندما وصلت قيمة الجائزة دخلت في تركته ·· لانه كان قد فارق الحياة ·

غير ان توقف جريدة الزايد عام ١٩٤٥ لم يمثل نهاية حياة الصحافة الخليجية ، بل على العكس من ذلك ، أخذت صحف ومجلات جديدة ، أنضر شبابا ، وأعمق نبرة تظهر في مناطق الخليج اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات ·· ولكن لذلك قصة أخرى ، نامل ان نذكرها في مناسبة قادمة ·

والان بعد هذا الكشف عن تلك المعاناة التي عاناها حملة الاقلام في الخليج ·· هل مازال البعض مصرا على رأيه بأن الصحافة ظاهرة مستوردة الى المنطقة من خارجها ؟!··

محمد جابر الانصاري



عبد الرحمن الابنودى

حامل الرباب وشاعر المستقبل وابن عروس

لكل منطقة شاعرها على الربابة . ابن عروس : يستحدث المربعات في الشعر الشعبي .

في مواسم الحصاد ·· يتضامن الفقراء ليأتوا بشاعر الربابة ·· وفي بعض الاعراس ·

الشاعر الشعبى لا أجر له ·· بل ان من يعجب به هو الذى يعطيه ·

ولكل منطقة شاعرها الذى تفخر به ·· فهى التى صنعته ·· اعطته من مالها المتواضع وضمنت له اسباب العيش والحياة ·· كما ضمنتها لابيه وجده من قبل · فلا يمكن لفلاح أن يقرر فجأة ان يصبح شاعرا شعبيا · ان الشاعر الشعبى في صعيد مصر مدرسة غزيرة العلم متعددة المناهج القاسية ·· تحتاج لدراسة كبيرة ووعي بالفن وتفرغ له ·· لا يتاح الا لمن عاش بيت الشاعر الشعبى وحياته · فمن حامل لرباب الاب ·· الى عضو في مجموعة الردادة (الكورس) الى مغنى ·

يكون عمره ثمانى سنوات حين يبدأ الخروج مع ابيه ·· ليبدأ الحفظ ·

يهيأ للوظيفة الخطيرة التي لا تقل اهمية عن واعظ المسجد بالقرية أو شيخ كتابها ·· من حيث العلم بامورها والاحاطة والمعرفة لكل جوانبها ··

يكنس الفلاحون ساحة القرية ويرشونها بالماء ويساهمون بسرائرهم الجريدية ·· ودككهم الخشبية ·· ويفرشون

الارض حصرا ·

يجتمع الرجال في الصدارة ·· وتلتصق الاطفال بالاطراف ، بينما تعتلي النسوة أسطح الدور الواطئة القريبة ··

ويأتي الشاعر ·· تزغرد النسوة ويحتفي به الجميع ·· وتكتشف ان الرجل يعرف جمهوره واحدا واحدا ·

الليلة قمرية ·· والرجال كانوا قد جمعوا واضاءوا كل الفوانيس بالقرية حول الشاعر ··

ويبدا الغناء ··

ينقضي الثلث الاول من الليلة في القاء بعض المواويل والاغنيات الفرحة القصيرة ·

يذهب الشاعر ومجموعته للعشاء ·· ويذهب الاطفال للنوم ، ليعود بفن مغاير لكل ما قال ··

طفل واحد هو الذي يذهب للنوم مثل الاخرين هو ابن الشاعر الشعبي ·· حامل الرباب وشاعر المستقبل ·

يبدأ الشاعر بمدح رسول الله

اول كلامي باذكر الله

وبعدين ·· بامدح نبينا

اله حي ·· ولا بيدي سواه

واللي خلقنا ·· متكفي بينا

وهنا يبدا استحسان الجمهور للشاعر وموافقته ، فالرجل يقول اني لا املك الا الله ·· لقد خلقنا وهو الذي يعلم لم فعل هذا ، وهو الذي بيده مصيرنا ، انها فلسفة الفلاح نفسه وكان الشاعر مد يده وانتزعها من صدره ، لذلك فرد الفعل لاشبهة عليه ولا شك فيه ·

في مديح النبي ازددت ·· شوق

بتمنع البلاوي المراضى ··

قالله الاله اندفن فوق ··

قال ·· امتى في الاراضي ··

فيضج الجمهور حب للنبي الذي رفض أن يدفن في السماء ، بل ضحى بالسماء ليدفن معهم في تراب امته ·· انه نبي جميل رائع ولابد وأن يكون فعل ذلك من أجلهم ·

ويظل الشاعر يمتدح نبيه ·· الى أن تصفو النفوس ·· وتهدأ السرائر ·· ليبدأ ليلته ·

هذا الشاعر محيط بحياة فقراء الفلاحين لانه منهم · لانه ليس قادما من بلد اخر ·· ولا يعيش واقعا اخر ·· فهو ان لم يكن يعرفهم جميعا بالاسم ·· فانه على الاقل يعرف أن حياة كل فرد فيهم هي تكرار لحياة الاخر · وكما حدثهم في امور « دينهم » فانه يبدا « الحديث » معهم في أمور دنياهم · وهذا ما ينتظرونه منه بالطبع ·· مساعدتهم على التوجع بصوت مرتفع ·

يبدأ الشاعر في غناء مربعات الشاعر الشعبي « المجهول » (ابن عروس) · وهو مجهول لانه ينتسب لمنطقتنا في الصعيد بمحافظة قنا دون أن يحدد أحد اين ومتى ولد ·· وكيف مات او عاش ··نسجوا حوله الاساطير ، وقالوا انه كان فارسا وقاطع طريق ارهب كل اهالي القرى المسالمين ·· وذات ليلة خطف عروسا بهودجها ليلة عرسها ·· وحين حاول الاختلاء بها ·· نبهته الى جمله الذي مد رقبته ليأكل من زرع غريب ·· وكانت تعقبه كما تعني جمله ، فهي مزرعة رجل اخر · وافاق ابن عروس من وحشيته ، وتاب على يديها ·· وأصبح ناسكا صالحا ·· وجلس بقية عمره يغني الحكمة والايام ، ويكشف عما في الحياة من متناقضات ·· ويسلط الاضواء على احوال البشر وصروف الزمان في شكل فني بسيط اسمع (المربع) لانه مكون من اربعة شطرات لبيتين من الشعر ، تتوحد فيهما قافية الشطرة الاولى والثالثة كما تتوحد الثانية والرابعة ، ويحصر البيتان بينهما حكمة شديدة البساطة والحدة ، مزعجة الصدق والحقيقية ، تبعث وتوقظ كل ذاكرة الفلاح وتاريخ معاناته الطويل مع هذا الزمان الكلب ·· فيصيح ويعشق شاعره الذي اجاد قراءة حياته واجاد التعبير عنها باخلاص ·

طبيب الجرايح ·· قوم ·· الحق

وهات لي الدوا اللي يوافق ·

ناس كتير ·· بتعرف الحق

ولاجل الضرورة توافق

انظر الى تشابه القوافي ·· وكيف خرج منها الشاعر المعنيين المختلفين ؟·· انه يحدث طبيبه ·· وليس للفلاحين الفقراء طبيب كما نعلم سوى الزمان ··فهو الذي يشفي الجراح ويمحوا البلوة ، انه يدعوه

ان يسرع و « يلحق » به حاملا دواءه الذي « يوافق » نوع جراحه ، ثم يقول أن الكثيرين في العالم يعرفـون اين يكمن « الحق » لكنهم كثيرا ما يبتلعـون كـذب الاخرين و « يوافقون » عليه لان هناك ضـرورات في الحياة تدعوهم لذلك .

في الدنيا لم لقيت ٠٠ بخت
ولا خل صادق ٠٠ قناني
جبت عند عذولي واتلبخت
جابولي الدوا ٠٠ في قناني

لم يجد « بختا » ولا حظا في الدنيا ٠٠ ولم يحافظ عليه أو « يعنه » أصدقاؤه الذين اخلص لهم ، وحينما زلت به قدمه وسقط أمام بيت عدوه واحتار (واتلبخ) فوجيء بأهل بيت عدوه يقدمون له الدواء في (قنينات) ٠٠ فما أغرب أحوال الدنيا ٠٠ وماذا ينتظر الفـلاح اكثر لكي يوافق على ما يقول هذا الرجل على ربابتـه النحيلة تحت أضواء الفوانيس الفقيرة ٠٠ ونسـمة الليل الحزينة ٠٠



العجيب في الامر ٠٠

أن ابن عروس لم يكن شاعرا مصريا ٠٠ ولا نزل بأرض مصر طوال حياته ٠٠ بل اكتشفت العام الماضي انه ولي من اولياء الله الصالحين ٠٠ كان تونسيا ، وعاش ومات بتونس ٠٠ وله خلوة بها ومزار لم يزالا قائمين حتى اليـوم ٠٠ وعثرت على كتاب قديم كتب عنه وطبع منذ تسعين عاما ٠٠ يؤكد انه هو الـذي استحدث هذا الشكل الفني الذي نطلق عليـه اسـم (المربعات) وانه اسـتعمله في نفس الوظيفـة ٠٠ اصطدام الابيات وخلق الحكمة . وعرفت لمـاذا تبنته منطقتنا في الصعيد .

أولا : لانها كانت منطقة المرور الوحيدة بين شـمال افريقيا ومدينة القصير على شاطيء البحـر الاحمـر حيث الطريق الى المشرق العربي للتجارة والحـج لبيت الله ٠٠

ثانيا : لقد اكتشف فلاح الصعيد الفقير ضـالته في هذا الشكل الفني الذي كان يحتاج اليـه تمامـا ليصرخ من خلاله معبرا عن بلواه ٠٠ فنسج عـلى منواله مئات (المربعات) ٠٠

وان كثيرا من الشطرات « العروسية » الحقيقيـة تتشابه مع نظيراتها عند ابن عروس المصري كمـا في المقطوعة السابقة التي تبدأ بـ (درت في الدنيا) .

فابن عروس التونسي يقول ٠٠

درت في الدنيا ماخليت
حتى « سبتة » ٠٠ الحصينة
انا مثل « بنزرت » ما رايت
الوادي وسط المدينة .

فبنزرت وسبتة مدن تونسية ٠٠ وبنزرت يقع واديها بداخلها ، ولكن تحس كم هي جميلة وراقية الفنية صياغة ابن عروس المصري الوهمي ٠٠

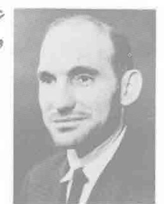
وبعد ان ينتهي شاعرنا الشعبي من سرد مربعاتـه يبدأ في رواية السيرة الهلالية ٠٠ فلا يمكن لشـاعر شعبي أن يعترف به أو يحصل على مكانته الا بقـدر ما يحفظ من فصول السيرة ٠٠ تماما كما يحصل امام مسجد قريتنا على منصبه واحترام الجماعـــة له بقدر ما يحفظ من القران والحديث والتفسير ٠٠٠

ماجد السامرائي

الفنان متأملا

حوار مع الفنان العراقي : شاكر حسن سعيد

عندما اكتشفت الايمان خرجت من الشرنقة الى العالم الأرحب وفجأة سمعت حفيف الورق وعويل المخلوقات !



بقدر ما يعمل الفنان شاكر حسن ال سعيد على أن يمد الجسور ، بينك وبين فنه ، فانك كثيراً ما تجد الطريق اليه مغلقا !··

ولان همه ، بالاساس « هم فكري » فهو ينقل « الفن » بكل مافي الفكر من تعقيد ، وتجريد ، وتقنية قد تكون غريبة على مشاهد لم يالف هذا النمط من « التفكير الفني مجسدا » ·· على الرغم مما في أعماله من خصوصية ·

وحين تقف امام أعمال هذا الفنان ·· متابعا ·· تجد أن التطور الذي حققه كان ، دائما تطورا نحو « الشكل » · أما « مضمون العمل » فهو ، في الغالب « حالة » · وقد خرق الفنان ، بهذا كل مفهومات اللغة التشكيلية السائدة ليبدأ « بحثا تشكيليا » من نوع فريد ·· اذا كان قد توصل الى مرحلة التثبت من بعض مفرداته ، فهو ما يزال مستمرا في « رحلة البحث » هذه ·

في هذا « البحث التشكيلي » الذي يواصله شاكر حسن ، الفنان ، نجد « التجريد » هو « الاسلوب » · وقد اصبح التجريد ، في أعماله الاخيرة ، يشمل الموضوع والشكل معا · وهو ، هنا ، يكثف نوعا من « اللغة التشكيلية » · تحدد الغاية ، وتعبر عن العلاقة بينه وبين عمله · ذلك انه يؤمن بفكرة اساسية ، مؤداها : « ان العمل الفني الكامل يأتي بعد سلسلة من المجاهدات والارهاصات بافكار ، يتناولها الفنان من جوانبها المتعددة » ·· ومن هذه الزاوية فان « العمل الفني لا يخرج عن كونه أثرا للفنان نفسه » ··

وهو يرى ايضا ، ومن ضمن حلقة البحث هذه :

ـ « ان أي عمل فني هو نوع من المغامرة طالما يقتفي (احتمالات مسألة الابداع) · وأنا شخصيا مولع بالتجديد الفني بكل معانيه ، التقنية والماورائية · ومن هنا يأتي ، في نفس الوقت ، معنى بحثي عن الحقيقة » ··

ولعل « حلقة البحث » هذه قد اتخذت ، عند شاكر حسن ال سعيد ، صيغة ايديولوجية ·· كان قد طرحها العام ١٩٦٦ من خلال « البيان التأملي » ·· الذي أشار فيه الى ان عملية التعبير الفني ليست عملية خلق وتكوين بقدر ما هي وصف شهودي للعالم ··

ومن هذه « النقطة المحورية » نبدأ الحديث مع الفنان ·· استقصاءا ومحاورة ، في المفاهيم والافكار ··



● في السنوات الاخيرة ، أصبحت كلمة « تأمل » تتردد عندك كثيرا ٠٠ سواء في ما تكتب ، أو في عناوين رسوماتك واعمالك الفنية ٠

حبذا لو نتوقف قليلا عند مفهومك للتأمل ٠٠ ما هي حدوده ؟ والى اية فكرة تريد أن تفضي ، بفنك ، من خلاله ؟٠٠

ـ في تعليق لي كتبت مايلي :

« التأمل ، في أساسه ، سلبية في الكشف عن الحقيقة ٠ أي أن الفنان يقف متفرجاً على الكون وهو في بكارته الاولى » ٠٠

٠٠ ربما كان هذا هو مفتاح التأمل عندي ٠٠

ولكي اكون اكثر فطرة في توضيح معنى التأمل أعود الى تلك الفترة الحاسمة في حياتي الفكرية ٠٠ واعني بها فترة تحولي (ما بين ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠) نحو الدين ٠٠

الواقع انني حينما اكتشفت معنى وجودي اخر الامر ، كان ذلك حصيلة انغماري في الحياة ، وتاكيدا على انسانيتي الذاتية ٠٠ وبالتالي : خروجي من هذه الشرنقة الى عالم كنت أجدني فيه متجها نحو الحقيقة ٠٠

من هنا ، فان معنى « التأمل » عندي مرتبط بتوجهي (انا الانسان ـ الذات) نحو الحقيقة التي تشتمل على انسانيتي وشيئية العالم ، في نفس الوقت ٠

بيد أن « التأمل » ـ كعمل فني ـ عندي يتشكل في صيغة هي أقرب ما تكون الى معنى الوصف المجرد للوجود بواسطة حرية الانسان غير المنحاز ٠٠ بل بحرية الانسان اللاانساني ٠٠ وقصة « اللاانساني » هذه ترتبط عندي ، بلا شك ، بتجاوزي لذاتيتي كموقف سيكون وليد نوع من المجاهدات التي كان لابد لي ان امر بها عبر رحلتي الباطنية ٠٠

وهكذا ٠٠ فان معنى « التأمل » هو ، بالاساس ،

الفنان متأملا

الفن ليس تعبيرا عن الذات .. بل عن الذات في العالم
بدأت من الفن الحضاري المحلي .. وانتهيت بفن الجمال الابهى

بشروط بموقفي من الفكر الاسلامي ·· ذلك أني لـم أكن لاصبح متأملا لو لم اؤمن بالله ·· أى لأنى - كانسان - جزء من معادلة الوجود ·· هذا الوجـود الذي لا ينفك عن التوجه للوصول الى الحقيقة ··

وما أهدف اليه في تأملي هو التعبير عن العلاقـة بين الذات والعالم الخارجي ·· ثم تجاوز هذه العلاقة نحو الحقيقة ·· نحو الله ·

هذا في المفهـوم ··

أما كرؤية فنية معينة ، فان التأمل عندي ينطلـق من استبدال موقف الفنان بموقف المشاهد ·· أي اني أعبر عن علاقتي مع الموجودات الاخرى في العـالم ، كما هو موقف المشاهد منها ·· مع فارق واحـد ، هو : أن المشاهد حينما يحقق حضوره امام الحقيقة في كل حين أثناء تفكره بما خلق الله ، يضع مسـافة بينه وبين الموجودات · أما أنا فالغي هذه المسافة فاشطح ، كما قلت ، محاولا وصف العالم واكتشافه وشهود الحقيقة من خلاله ·

القيم الجمالية اولا

● **في كلامك هذا تستوقفني عـدة أشياء :**

أولا : هذه « السلبية المطلقـة » تجاه الانسان ، كقدرة مغيرة ، فاعلة، ومؤثرة في طبيعة « الوجود المادي » ذاته ··

ثانيا : ان الحرية التي تنشدها حرية بعيدة ، في معناها ، عـن أن تكون مرتبطة بالوجود الانساني ذاته، ضمن واقعه المتحقق ، او الممكـن التحقيق ··

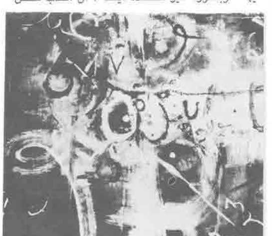
ثالثا : ان مفهومك ، هنا ، عـن الفن ، يطرح جانبا الصـراع في الوجـود ذاته ، مستبدلا اياه ، أو معوضا عنه بالصراع من أجل الحقيقة في وضعها التأملي (السلبي ، بمعنى من المعاني) · حصيلة هذه الملاحظات عندي : انك فنان تجمد الاشياء في واقعها من خلال منظـورك لها ·· وتهمك « القيم الجمالية » اكـثـر مما تهمك « القيم الانسانية » ·

- في تلك السنوات التي اعقبت استعادتي لايماني بالله ، بدت لي الامور أكثر عمقا ، واكثر صـلـة بحريتي · كنت ، فيما مضى - وخاصة بعـد أن تشبعت بالفكر الوجودي - اتخذ من انسانيتي وحريتي مقياسا لالتزامي الانساني · وكان ذلك يقنعني بقدسية الانسان ·· كالذي ينوه به « ابن عربي » حينما يقول :

وتحسب انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

بيد أن التصدع الذي حدث في رؤيتي تلك للوجـود اتى من علاقتي بالعالم ·· وبعـد أن كنت احسب أن « حريتي الذاتية » كفيلة بالمهادنة للموجودات ، وجدت انها كانت تهددني في مثل هذا المنطلق ··

ثم ·· ادركت أن حريتي هي أيضا حرية الاخرين · ولكـن ·· أي اخرين ؟ هنا أصبحت ، بصورة غير متقصدة ، انسج علاقتي مع العـالم ·· مع كل الموجودات · وقد استغرق ذلك مني فترة حـاولت فيها ، وبصورة غير متقصدة ايضا ، أن أنشذب مـن



العمل الفني حرية إنسان متجه نحو العالم وغير متقوقع
إنسانية اللوحة تتحقق بمقدار ما تصبح مرآة للوجود

ذاتيتي . كانت علاقتي بالناس تصطدم ، من طرف خفي ، بعلاقتي بالحضارة .. ولم اتعلم الفرنسية ، في حينه ، لانني كنت اجد صعوبة في التعود على « المنظور البلاغي » لهذه اللغة . ومع ذلك كنت أجدني منغمرا في انسانيتي التي سمحت لي بها ظروفي المجتمعية هناك . وكأي انسان معاصر لابد له أن ينطلق من ذاته وجدتني أصنع انسانيتي الحقيقية بأن اقطع صلتها بمنظورها الانساني البحت . شذبت عاداتي ، واقلعت عن التدخين .. وهكذا بدأت أحاصر نفسي لكي احميها منها . وقد كلفني ذلك ثمنا باهظا ..

وهكذا .. سرعان ما بدأت تلك « القوى الاخرى » تحتل من نفسي مكانا جديدا ..

وهكذا .. ففي مثل هذا الجو الذي لم يعد يعرفني على العالم من خلال ذاتي ، ادركت أن موقفي ، كفنان ، لم يقتصر على مجرد تثبيت رؤيتي للعالم . حتى ولا كمجرد طرح فكري معين . كنت فيما مضى ارسم بدافع التعبير عن « الطابع الحضاري المحلي » في الفن .. وقد جرني ذلك الى الاهتمام بالفن الشعبي، وبفنون الحضارات العراقية القديمة ، كما هو معروف عني في فترة الخمسينات . وكانت لرسومي قيمة انسانية واجتماعية ذات صلة بالاشكال الانسانية التي كنت أؤكد عليها .

أما عن معنى الحرية عندي ، فانا ما ازال أحددها بكونها انسانية . أي حرية انسان متأمل .. والانسان المتأمل هو الذي يحقق حريته من حيث كونها التقاءا ما بينه (هو بالذات) وما بين العالم (كبيئة وموجودات اخرى) . أو باختصار : اني أختلف في تعبيري عن الحرية كما هي في المفهوم الوجودي

وحريتي ، من ثم ، هي حرية انسان يتجه نحو الحقيقة، وكل انسان ، في الواقع ، مفطور على ذلك .. وكل شيء يستطيع أن ينطوي على الحقيقة ، في الفن وفي غير الفن . بيد ان ما يميز موقف الفنان عن سواه هو انه ، في تأمله ، يحقق حريته التي لا تكتفي بالتعرف على « شكل الحقيقة المادي » بل تتناولها بمعناها « ما بعد المادي » .

أما بصدد بحثي عن « القيم الجمالية » دون « القيم الانسانية » ، فانا في الواقع على الضد من هذا الرأي .

ـ لان القيمة الجمالية ـ أي جمال الحقيقة ـ لابد أن تنطوي على المعنى الانساني ايضا .

وهكذا ، فلكي اشجب خصوصية وايجابية الفنان غير الموضوعية (غير الانسانية) اتخذت موقفي الجديد: موقف المشاهد كمتأمل في العالم الفني . وباعتقادي أن انسانيتي تنبثق من هذا التبني لموقف المشاهد ، ذلك أن المشاهد مشروط بكونه انسانا مغمورا في الوجود ، وغير متطلع اليه .. أي بحكم سلبيته وحياديته من العالم .. فهو محاط بالموجودات (بالطبيعة ، والمصنوعات ، وبالاعمال الفنية) ، وتذوقه (تقييمه) لهذه الموجودات ينبثق من حاجته الراهنة لها من خلال التقائه معها .. في حين ان موقف الفنان كان يبدو لي موقفا أقل انسانية من موقف المشاهد .. فهو يمارس بوسائله التكنولوجية ، عملا معينا يفصله عنه ، ويطرح من خلاله ، وجوده بشكل اضافة .. كما يمكن أن يظهر من خلال الاهتمام بتكنولوجية العمل الفني . وهكذا ، فان استبدال مثل هذا الموقف بموقف المشاهد سيحقق له انسانيته بشكل أعمق ، واكثر صدقا .

الفعل العبثي للانسان

● **ان تأكيدك ينصب دائما على « فعل الانسان » .. وبالذات على فعله العبثي (التخطيط على الجدران .. الكتابة غير الهادفة .. الافعال اللامجدية) .. لا على الانسان بذاته ، أو على أفعاله المعبرة عن حقيقة وجوده . فما هو التبرير الذي يمكن أن تقدمه أمام هذا كله ؟**

ـ الاحظ انك تؤكد على الانسان ودوره في عملي الفني ، بالاضافة الى ذلك فان التزامي لما اسميته « الفعل العبثي للانسان » يكون جزءا اخر من التساؤل ..

اما عن الانسان ، فانا في هذه المرحلة أعبر عن « الانسانية » وليس عن « الانسان » .. وهو ، في جميع الاحوال ، متعلق بأمرين :

اولا : انسانيتي أنا في التعبير .

تأمل حــروفي ..





الموت للاستعمار ١٩٧٤



ثانيا - انسانية اللوحة نفسها

اما بالنسبة لموقفي ، فان انسانيتي ، كما اعتقد ، مشروطة برؤيتي الفنية التي سبق أن أوضحت بعض جوانبها بصدد تبنى موقف المشاهد في العمل الفني .. ولازلت اعتقد أن انسانية الفنان تتحقق بمقدار ما يتخلى عن ذاته ، وبمقدار ما يتيح للمشاهد حريته في الالتقاء مع الاعمال الفنية . وفي الاونة الاخيرة ، كما هو معروف ، اتجه الفن العالمي الى ان يحقق المعنى الانساني الجديد في الفن باشكال متوازية (اتخاذ الحركة ، أو الفضاء ، أو المحيط لعنصر من عناصر العمل الفني) اما انا فقد بدأت باستبدال موقف المشاهد وبالتالي الاشارة الى ان التذوق مرهون بتفكر الانسان بما يحيطه . هنا تتجلى منتهى انسانية الفنان والمشاهد ، على السواء ، في التذوق .

اما بالنسبة لانسانية اللوحة فان اللوحة الفنية ، باعتقادي ، هي انعكاس للعالم الخارجي .. ولكن بشرط أن يكون انعكاسا منطويا على الحقيقة .. فلا يكفي ان تشحذ اللوحة من شعور المشاهد بتكنولوجيا الابداع وطاقته التشخيصية على رصد الاشكال الانسانية .. بل ان تشحذ من قابليته على اكتشاف معنى الوجود الانساني ومنزلته من الحقيقة .

وعلى هذا الاساس ، فباعتقادي أن « انسانية اللوحة » تتحقق بمقدار ما تصبح فيه مرآة للوجود ..

الترف الفني

● **لكن .. هذه المفاهيم التي تعبر عنها ، والتي تعززها انجازاتك الفنية، وتوجهاتك الفكرية .. الا تعتبرها ضربا من ضروب « الترف الفني » الذي اجدك هنا ، تقف ضده ؟**

— ان فهمي للترف الفني هو كفهم العبد لمعنى حريته منذ مجرد التفكير بها . ومعنى ذلك أنه ليس بمجرد خصوصية العمل الفني ، لان أي عمل فني هو ، بطبيعة الحال ، يعتمد على مفردات معينة ، أو مفاتيح لابد لنا منها لكي نتوغل في العالم الفني . ومن دون مثل هذه البرازخ لن يكتشف الانسان انسانيته ، لانه لن يتاح له المجال لممارسة حريته ..

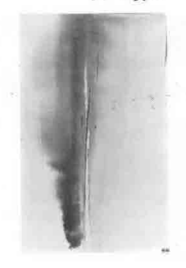
فالترف الفني عندي هو استقطاب لمفهوم العمل الفني وتحجره بكونه وسيلة اعلان عن واقع ، وصورة لمصادرة الحرية الانسانية باسم « الايديولوجية » .. ذلك أن الرصيد الحقيقي لاى عمل فني هو مدى كونه تجربة معاشة من حيث موقف الفنان ، ومن حيث طبيعة ذلك العمل . فالفنان غير المترف ، باعتقادي ، هو الذي يمارس عمله الفني كتجربة معاشة لا كمسرح يطرح افكاره . كما ان العمل الفني غير المترف هو الذي يمكن أن يكون « بيئة » قابلة لحرية المشاهد في التذوق ..

الفنان غير مترف حينما يعبر عن رؤية ما ، يبلور من خلالها وجوده ومفارقته لذاته نحو العالم .. نحو الكون .. نحو الحقيقة .. في حين أن الفنان المترف هو الذي سيقبع في ذاته .. والعمل الفني ، في جميع الاحوال ، مباءة لتفشي الحقيقة التي قد تظهر بمظهر الجرثوم بالنسبة للفكر التقليدي .

تامل حروفي ١٩٦٦



معراج عقودي



·· والموقف الفني



● انت ، من جهة تنشد الحقيقة ·· ومن جهة اخرى ترفض المنطق الايديولوجي · انا لا افهم وجود حقيقة ما ، في هذا الوجود ، منفصلة عن شروط تحدد ماهيتها ·· وهذه « الشروط » بالضرورة مرهونة بالفكر ، وهذا الفكر تشكل « الايديولوجيا » قانونه الاساس ··

ـ باعتقادي ، ان الموقف الفني هو ، بالاساس ، موقف غير فكري ·· ولتوضيح ذلك اقول : اني اعتبر العمل الفني ، في جميع الاحوال ، هو حرية انسان متجه نحو العالم ·

متجه نحو العالم بمعنى انه غير متقوقع في ذاته ·· واذا كان قد ظهر بمظهر المعبر عن ذاته في بعض العصور ، فلان مسيرة الوجود كانت تتطلب ذلك ·· ولاشبه هذا بتطور الكائن الانساني نفسه ، فاذا كان « الانسان ـ الطفل » يعيش حياته الطفولية بصورة اكثر عفوية من وجود « الانسان ـ السوي » ، فليس معنى ذلك أن طفولته هي التفسير الوحيد لانسانيته ·· وكذلك الحال بالنسبة للانسان المراهق ، أو السوي ، أو أي مظهر اخر من مظاهر الوجود الانساني ·

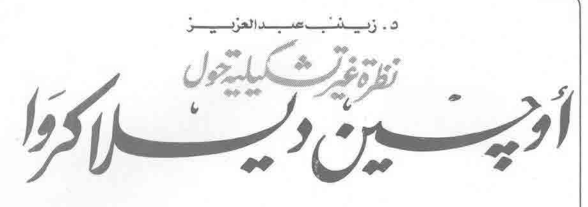
ان الانسان ، في جميع مراحل حياته ، هو في موقف معين ·· نسبي ، ولكن حقيقته الانسانية نفسها هي مطلقة بالقياس الى طبيعة المراحل التي كان يمر بها · وهذا الموقف الانساني الذي اعنيه هو الذي سيتفجر عنه الفنان ، لكون العمل الفني تجربة معاشة نسبيا ·· ولكنها تنشد الحقيقة ··

رؤيتي الشخصية

● اخيرا ·· هل هناك أن تلخص لنا مسار تجربتك الفنية ؟

ـ تعتمد تجربتي الفنية ، في شكلها الاخير ، على الطريقة التي التقط فيها علاقتي مع الموجودات في العالم ، وعلى توجيهي نحو المطلق · فهناك ، أولا ، بحث استغرق السنوات العشر الاولى من تجربتي ، عكفت فيها على توحيد حضوري الفني مع الحضارة المحلية التي أمثلها · وفي هذا السياق استلهمت الفن العراقي القديم والفن الاسلامي والشعبي ·· بالاضافة الى تمرسي بالاساليب الفنية الحديثة ·· وكنت انظر الى العمل الفني من منظور انساني بحت ، محاولا تحقيق رؤيتي الشخصية عبر أسلوب تجريدي مشرف بوعيه الاجتماعي عبر الاستعارات التشخيصية ··

ومنذ أوائل الستينات اعتمدت تجربتي الفنية على ايماني (ولنقل : ولادتي الجديدة) بالانسانية ، وليس الانسان ·· وبالتأمل الفني ، كمنظور أتوخى فيه الكشف عن الحقيقة في العالم ، لا في ملامحه كبيئة طبيعية ، بل في حقيقته كمظهر للجمال الالهي ··



١٧٩٨ - ١٨٦٣



كان اوجين ديلاكروا ، الفنان الفرنسي الذي توج زعيما للرومانسية في القرن التاسع عشر ، يتميز بعدة ملكات فنية . كان ينتمي الى تلك السلالة الشامخةاو الى تلك « المخلوقات النبيلة الكريمة » — كما اعتاد أن يطلق عليهم — والتي تدفع بعجلة التطور الحضاري عبر القرون .. الى اولئك الشوامخ من امثال « ليوناردو دافنشي » و « مايكل انجلو » و «وبليام شكسبير » وغيرهم الذين اشتهروا بتعدد المواهب وبقدرتهم الابداعية الفذة في عدة مجالات او في مختلف افرع المجال الواحد .

ومن الشائع أن تطفى شهرة فنان في مجال معين وتحجب ملكاته الاخرى التي لا تلبث أن تتكشف فيما بعد بنوع من التواضع أو الانزواء ..

ومن أهم الملامح التي كانت تكون شخصية أوجين ديلاكروا ، تلك التي تكشف عنه كاديب واسع الثقافة وناقد حاد الميزان .. وفي الواقع ، لم تكن هذه الجوانب وحدها تمثل كل ملامحه ، فقد تجاذبته الموسيقى ومارسها ، كما شدته السياسة الى كواليس احداثها . اي ان حياته تبدو وكانها تتفتح على تشعب واسع الافرع بين فنون التصوير والادب والموسيقى والسياسة .

بين التصوير والادب

الا ان الممارسة الفعلية لكل هذه الافرع ، وما تتطلبه من وقت رحب — يستوجب انتزاعه من تلك السويعات الاربع وعشرين — جعلته يغفل الموسيقى والسياسة مرغما ، فتساقطت فكرة ممارستهما وان ظلا يعتريان حياته بصور متفاوتة . ولعل تساقطهما في الحقيقة يرجع الى انه كان معروفا بموقفه السياسي المنتمي الى الملكية المحافظة — وذلك في عصر انتصار ثورة ١٨٣٠ واعتلاء البورجوازية الحكم . ومن جهة اخرى ، كان

كان لابد لاحدهما أن ينتصر على الآخر . الكتابة أو التصوير
كم أود أن أكون شاعرا .. لأرى كل شيء إلهاما
فاتني أن أكتب عن فن التصوير ، حتى أتحدث عن شتى الفوارق بين الفنون

يتخذ من الموسيقى الايطالي « نيكولو باجانيني » مثله الاعلى في مهارة العزف على الكمان • ولم تكن ظروف « ديلاكروا » لتسمح له بالوصول الى ذلك المستوى الفريد من نوعه ـ فترك كمانه في صمت ، وان ظل حبه للموسيقى وشغفه بها يلازمانه طوال حياته فكان دائم المواظبة على حضور مختلف الحفلات الموسيقية والاوبرالية •

وانحسرت الميادين التي تتجاذبه ليبقى حائرا بين مجالي فن التصوير والادب ، ومعرفة أيهما انسب ليعبر به عن نفسه • وكم من مرة احتد الصراع في اعماقه وهو يمارسهما معا اوتباعا • وفي عام ١٨٤٤ كتب الى صديقته مدام « دى فورجيه » يقول : « اخيرا •• لقد خمد صراع التصوير والكتابة في نفسي ! كان لابد لاحدهما أن ينتصر على الاخر •• وقد انتصر التصوير » • وكان في السادسة والاربعين من عمره انذاك •• ثم يستطرد « ديلاكروا » في نفس الخطاب قائلا : « لقد تخليت عن الكتابة في الوقت الذي بدأت اتعلق بها تماما •• لذلك تخليت عنها » •

ولا يعني هذا الحسم أنه كف عن الكتابة •• لكنه في واقع الامر قام بنوع من التحديد لكل من المجالين في حياته ، مقيما امكانياته الحقيقية في عالم الادب •• وبهذا التحديد قطع « أوجين ديلاكروا » على نفسه العهد بان يكون بمثابة « النفير المعلن عمن يقومون باعمال جليلة » • أي أنه اكتفى بكتابة المقالات والابحاث التي يقدم من خلالها اعمال الاخرين • ويرجع اخر مقال كتبه الى اول يوليو سنة ١٨٦٢ ـ قبل وفاته بعام تقريبا ـ وكان عن الفنان الفرنسي «شيكو شارليه» (١٧٦٢ ـ ١٨٤٥) ••

وهنا يتساءل المرء : لكن ما هي الاعمال الادبية التي سبق له أن كتبها ، أو هل له أعمال ادبية على الاطلاق ؟!•• وكم تعتبر الاجابة مفاجأة للكثيرين اذ أن الاعمال الادبية التي خلفها « أوجين ديلاكروا » تكفي لبناء مجد انسان كرس حياته لفروع الادب فحسب • وهي تشتمل على المؤلفات التالية : مراسلاته على مرحلتين في حياته ، وتقع في ثلاثة اجزاء • العامة ، وتقع في خمسة اجزاء ، و « يوميات » بدأها وتعتبر من الاعمال الادبية الاساسية في الحضارة الفرنسية • والعديد من « المقالات والابحاث » التي تضم اراءه في الفن أو في اعمال بعض معاصريه من الفنانين والادباء ، وتقع في مجلدين • بالاضافة الى عدة قصص قصيرة ومسرحية وبعض القصائد • وذلك بخلاف مالم ينشر بعد ، وهو يماثل ما تقدم من حيث الحكم • ومازالت مخطوطاته محفوظة في المكتبة الوطنية في باريس •

معظم الاشكال الادبية

من هنا نرى أن « اوجين ديلاكروا » قد مارس بالفعل معظم الاشكال الادبية • وكانت ريشته النضرة تنساب على الورق نثرا وشعرا بسهولة ملفتة للنظر ـ وكان هو اول المستغربين رغم امنيته الصادقة في ان يصبح من الادباء البارزين بفضل تمكنه من التصوير بالكلمة ، والوصول الى اعماق مختلف الاشكال الادبية • اما رغبته الدفينة فكانت أن يصبح شاعرا • وما اكثر التعبيرات التي تكشف صراحة هذه الرغبة في يومياته اذ نراه يتساءل مرارا : « لماذا لست شاعرا ؟ » أو « كم اود ان اكون شاعرا لارى كل شيء الهاما !•• » الا أن محاولاته في نظم الشعر قد ضمرت مع الزمن ••

ولم تكن رغبته في كتابة القصة بمثل هذا العمق • لقد حاول كتابتها في بداية حياته ، لكن فكرة القيام بعمل كبير ومترابط الاطراف والابعاد كانت تفزعه • ولم تخمد هذه الامنية رغم ما كانت تصيبه به من قلق بل نراها تلوح من حين لاخر في يومياته وفي مراسلاته • وكانت هذه الصعوبة تتمثل ـ في نظره ـ بمقارنة الكتاب باللوحة الزيتية • فاللوحة يمكن للفنان ان يراها اجمالا وفي نظرة واحدة مما يسمح له بالتحكم في تطورها بشكل متكامل • اما القصة أو الرواية فلا يمكن ادراكها اجمالا بنظرة واحدة بل

أوجين ديلاكروا



ولا حتى بالصفحة او جملة جملة ، وانمـــا تدرك بمتابعة كلماتها كلمة كلمة ·· مما دفعه الى القـول : « لابد من قوة خارقة لكي يستطيع الكاتب الالمـــام بكل اجزاء عمله واتمامه بلباقة ودراية تامـــة خـلال مختلف مراحل تطوره الذي لا يتم الا تدريجيا » ·

اما الاشكال الادبية التي مارسها بشكل اكثر انتظاما فهي كتابة المقالات والابحاث التي نشرها في جريدة « مونيتور » و « بلوتارك فرانسية » ومجلة ريفـو دي دو موند » · وقد جمعت هذه المقالات فيما بعد ونشرت في مجلدين · وأهم ما يميز هذه الكتابات أنها تكشف عن « أوجين ديلاكروا » كناقد فني وأدبي ، كمـا انهـا تتضمن اراءه في الفن وفي القيم الجمالية ·

وتظل فكرة تاليف عمله الادبي ، بمعنى ذلك العمل الرصين الراصخ بين شوامخ المؤلفات ، تنبـــض في صمت ·· وترجع بوادر هذه الفكرة في ذهنه الى بداية شبابه · ففي السادس والعشرين من شهر اغسطس عام ١٨٢٤ كتب يقول : « فاتني أن اكتب انني اتمنى أن



أعمل فيما بعد ما يشبه المذكرات عن فن التصوير ، حيث انه يمكنني التحدث عن شتى الفوارق بين الفنون » · وظلت هذه الرغبة تطارده طويلا اذ لم يضعها في حيز التنفيذ الا في بداية عام ١٨٥٧ ، بعد انتخابه عضوا بالاكاديمية الفرنسية ·

وبعد فترة تردد بين مختلف الاشكال استقر رأيه على اختيار شكل « القاموس » · ذلك لان كتابة القاموس تتميز بسهولة تكنيكية معينة ـ اي انها لا تحتاج الى مهارة فائقة للربط بين الافكار والفقرات · كما ان القاموس في نظره « ليس كتابا عاديا وانما اداة عمل ·· أداة تساعد على كتابة الكتب والابحاث ، وهدفه الرئيسي هو ان يقدم للباحث ويوضح له مبادىء اساسية محددة ويوضحها له ·

ويرجع اصراره على كتابة قاموس عن الفنون الجميلة الى أن معظم الذين يكتبون عن الفنون لم يمارسوا الفن · لذلك تمتلىء كتاباتهم بالافكار غير الصائبة أو ببعض الاحكام العشوائية · غير ان ظروف عمله وكثرة الاشغال الرسمية التي عهدت بها

نظرة غير تشكيلية حول

أوجين ديلاكروا

يجب أن أتحدث عن العمل، وأنسى الشخصية
إن الاسترسال في عملية الوصف .. إنما هي علامة عقم!

الحكومة اليه في مجال التصوير ، لم تمكنه من التركيز لانجاز هذا القاموس · فقرر كتابته على سجيته وراح يضمنه يومياته اول باول كلما صادفته كلمة في مجال فني معين · لذلك تزخر اليوميات بمثل هذه الملاحظات المتنوعة التي تعتبر بمثابة « عملية تجميع » ·

وكان « ديلاكروا » يلجا الى هذا الاسلوب في العمل لسهولته التلقائية على أمل ان يجمع كل ما كتبه بعد ذلك وينشره ككتاب مستقل · الا ان العمر لم يمتد به ليتم هذا المؤلف الذي لم يظهر الى النور سوى في السبعينات من هذا القرن ، عندما تولت دار « هاشيت » جمع هذه الثمار ونشرها في كتاب بعنوان « قاموس الفنون الجميلة » بقلم اوجين ديلاكروا ·

النقد الحيوي البناء

اما « أوجين ديلاكروا » كناقد ادبي وفني فيبدو اكثر تعقيدا في الوهلة الاولى الا ان القارىء سرعان ما يدرك نوعية المدرسة التي ينتمي اليها والتي يقودها القلب والعقل معا ·· اي انه ينتمي أساسا الى مجموعة النقاد التاثيريين ـ حيث انه كان يرفض أيه قوانين تقيد فكره وتحد من انطلاقته ·· فان أحب قالها صراحة وان كره اعلنها بوضوح ··

ومن خلال كل ما كتبه ، يبدو ان « ديلاكروا » كان يهتم بتدوين ذلك اللقاء الفوري أو التلقائي الذي يتم بينه وبين العمل الذي يتأمله · فكان يسجل انطباعاته الذاتية بطريقة واضحة وبسيطة ـ حتى وان بدت هذه الملاحظات متناقضة مع ما سبق ان قاله · لكنها تكون في الواقع مكملة لبقية الجوانب التي يتعرض لها بالشرح والتعليق · ورغم اعتماده على مشاعره وانطباعاته في التقييم ، الا انه كان دائما يحبذ النقد الحيوي البناء ، الذي يرمي الى فتح مزيد من الافاق · واكثر ما كان يعنيه هو تقديم العمل نفسه وبلورة الاضافة الحقيقية التى ساهم بها الفنان بعمله وليس ما قام به في حياته الخاصة ·

وفي مجال الادب كما في أي مجال اخر ، كان « اوجين ديلاكروا » يعلق اهمية كبرى على تواجد أو تضافر مختلف العناصر الخاصة او المكونة لهذا المجال لكي يصل ذلك العمل الى وحدة متكاملة المعنى والتاثير · فاذا ما لفت نظره كثرة الاسترسال مثلا في رواية ما كتب يقول : « ان الاسترسال في عملية الوصف المنتشرة في الاعمال المعاصرة هي علامة عقم : فمما لا شك فيه ان وصف الثياب وخارج الاشياء أسهل بكثير من المتابعة الدقيقة لتطور الشخصيات ومن تصوير العواطف الدفينة » ·

ومهما كانت نوعية العمل الذي ينتقده فقد كان دائما يشير الى ما يحتوي عليه من جوانب مميزة بالاضافة الى ما يبدو له من مواضع نقد · ومثلما كان ديلاكروا لا يتقبل الثرثرة والتطويل بلا رابط ، كان يعلق أهمية كبرى على ما يطلق عليه « الانطباع الاول » والفكرة الاساسية التي يقوم عليها ذلك العمل ، والوحدة الجمالية فيه · اذ أن أهم ما في العمل الفني ـ في رايه ـ هو ما يعبر عنه في تكامله وما يتركه من انطباع في الانسان ·

وفي الموسيقى كما في الادب ، كان « ديلاكروا » دائما محدد المعالم وواضح الموقف من الشخص الذي يقدمه ـ سواء اعجابا أو رجما · ومن المعروف عنه تاريخيا انه كان سباقا في تقديمه الموسيقى « فريدريك شوبان » كعازف ومؤلف وفي التعريف بجوانب تفوقه ، مثلما كان سباقا في اعترافه بقيمه الاديب الفرنسي « ستندال » ـ وذلك في وقت كانت شهرتهما لم تبزغ بعد ··

ولعل قراءة جزء من مقال كتبه « أوجين ديلاكروا » عن احدى لوحات الفنان « دومينيك انجر » ، ليعطي فكرة واضحة عن أسلوبه · و « دومينيك انجر » يعتبر نده وزميله اللدود ـ ان امكن القول ـ اذ كانا على خلاف دائم شكلا وموضوعا · فقد كان « انجر » يبجل الخط والرسم فى حين ان « ديلاكروا » كان نهما في

شوبان



مايكل انجلو



شكسبير



حبه للون والحركة • ويقول « ديلاكروا » :

ـ « يجب ان اتحدث عن العمل وانس الشخص نفسه •• انني اعرف جيدا ان السيد « انجر » يتهمني بانني مغرور وتافه ، وانه يطرد تلاميذه اذا ما عرف أن لديهم أي ميل للالوان • لكنني لا اريد ان اعرف عنه شيئا عندما اتحدث عن لوحاته •• ان الاب انجر قد عمل قدر استطاعته لكي يكون ملونا • لكنه يخلط بين التلوين والاحساس باللون • هل لاحظت ان في لوحة « ستراتونيس » نوعا من البذخ اللوني المتصنع ، الشديد البريق ، وانه مع ذلك لا يعطي اى احساس باللون ؟!•• انها تلمع كالمرآة وفي وسع الواحد منا ان ينظر فيها ليحلق ذقنه !•• .

« وبرغم كل الالوان المستخدمة فان الارضية افلتت منه ، فلم يكن بحاجة الى ملايين الخطوط الصغيرة ، ومع ذلك فقد حاول نثر بعض الاضواء •• فوضع أضواء الشمس حيث كان يجب ان توضع ، بدقة ، واني لواثق من انه سعيد بذلك !•• انه يعتقد أن الضوء قد خلق ليجمل الاشياء ولا يعرف انه موجود ليضفي الحيوية • لقد درس بعناية فائقة أقل انعكاسات الضوء على الرخام ، والحليات المذهبة ، والاقمشة • ولم ينس الا شيئا واحدا : الانعكاسات • نعم •• الانعكاسات • فهو لم يسمع عنها من قبل ولا يدرك أن كل شيء في الطبيعة ليس سوى انعكاسات وأن اللون ليس سوى تبادل الانعكاسات •

« كما ان لوحته ليس بها اي شمس او ضوء او هواء ، لانه لم يبرز أي عنصر في هذه اللوحة الجميلة الغريبة التافهة • لقد اهتم بان يكسو موضوعه بالالوان كما يكسو الطاهي الحلوى المخبوزة جيدا بالاصباغ • فقد لون الوسادة بالاحمر ، ووضع قليلا من الاخضر هنا ، وبعض الازرق هناك • ثم شيء من الاحمر القاني هنا ، وبنفسجي في غاية النضارة بجواره أزرق سماوي • انه متمكن من علم ترتيب الثداب ، لكن الالوان التى تشوبها خضرة الموت ، الداكنة ، والتي تعلو احد جدران « رمبرانت » هي اكثر ثراء من هذا الاستعراض اللوني الغامق حيث تظل الالوان منكسة ، وباردة ، وصارخة •• ولاحظ ان الصارخ دائما باردا !••

انهم يعتقدون « امثال انجر » انهم قد اخترعوا أو على الاقل قد اكتشفوا الخط • اي يعتقدون أنهم يمتلكون خط التحديد الخارجي ـ لكن خط التحديد الخارجي هذا يهزا منهم ويوليهم ظهره •• انظر الى احد اطفال روبنز : ستشعر وكانه عبارة عن قوس قزح مندمج في انعكاسه على سطح الجلد وهو يضيئه ويتخلله بالاضافة الي ما به من نضارة وبروز وحيوية ونبض •• كان الحياة تنبثق من اللوحة •

« ان اتباع « انجر » قد حاولوا تغيير الطبيعة ، فجعلوا من الانسان لوحا من الاردواز المقصوص • ولكي لا يتشكك احد فيما عملوه ، فهناك من لم يعد يعمل سوى لعبة الظلال الصيفية بالوان مفلطحة علي خلفيات من الذهب !•• انني اعترف بأن هذه وسيلة ما لتبسيط الفن •• لكن •• كانت هناك وسيلة أضمن ، هي الا يقربوا الفن بتاتا !•• » •

●★●

من الواضح أنه لا يمكن اغفال الجانب التهكمي أو الساخر في هذا المقال ، ولا تعمقه الواضح في تحليل اللوحة • فبخلاف تلك المهارة التكنيكية البراقة ، فان كل ماسي الحياة ورجفاتها تتقصى أعمال « انجر » • ولا يوجد ما هو أهم من هذه العناصر بالنسبة لديلاكروا •• تلك العناصر التي تحتوي الحياة وتمثلها ـ كالشمس والتراب والضوء والهواء والحرارة والنبضات والطمي •• اي كل ما ينجم عن الحياة في خضم صراعها وانفعالاتها •• وقد لخص « ديلاكروا » مفهومه عن نجاح العمل الفني في قول له اعماقه اذ ان ذروة نجاح الفنان ـ في نظره ـ هي « ان يمنح الحياة •• » ان يمنح الحياة ، ويخلق ، ويبدع ، ويستخلص ما تحتوي عليه الاشياء ذهنيا وعاطفيا •• وليست هذه بالمهمة السهلة على من يجسر على اختيارها •••



رحمة وأمير الغابة المسحورة

مسرحية من أربعة فصول

تأليف : الفريد فرج



الفصل الاول :

المنظر : قاعة في قصر امير المدينة ، يغلب على عمارتها وزخرفها الاسلوب الخيالي ، الذي يميز الملابس والحركة بوجه عام • من شباك القاعة الكبيرة في قاع المسرح تبدو المدينة ببوتها وتماثيلها الجميلة • في أسفل المسرح عازفتان بين ايديهما آلتي هارب وقد بدأتا العزف قبل رفع الستار ولا يتوقفان بعد رفع الستار الا لحظة أن يتكلم الامير الذي يجلس على عرش خيالي ولا تتعدى سنه السادسة عشرة • يقف من حوله الوزير والفارس والامين وجندي ورجال ونساء يمثلون أهل المدينة •

الامير : سادتي ، الوزير والفارس ، والامين ، شيوخ ونساء ورجال مدينتي ، أهلي واصدقائي •• جمعتكم اليوم لاحدثكم في أمر خطير •

الوزير : سيتحدث أميرنا في امر خطير ، وعلى ذلك فلنصغ السمع •

الامير : قدم تقريرك ايها الفارس •

الفارس : لقد أحاط الغزاة الاجانب بمدينتنا وينتظرون • لم يعد فلاح يستطيع الخروج الى حقله ، لم يعد تاجر يستطيع السفر بتجارته ، اما سكان الاطراف فيعيشون تحت تهديد الاختطاف والقتل • اعداؤنا أقوى منا واكثر عددا ويتصفون بالقسوة •

الامير : كانت هذه مدينة سعيدة عاش فيها أجدادنا واباؤنا وعشنا بها حياة سعيدة بمقدار ما نتذكر من السنين • هل كان احدكم يشكو من شيء ؟

الوزير : هل كان لاحدكم شكوى لم يقدمها للامير ؟••

الامير : ما كان حال الطعام في بيوتكم ؟••

رجل : وفير يا سمو الامير •

الامير : والحقول التي كان يزرعها الفلاحون ؟••

رجل ٢ : كانت مزدهرة ومثمرة في كل موسم وأوان •

الامير : وانوال النسيج ومعامل الادوات ؟••

رجل ٣ : كانت على خير ما يكون •

الامير : ومساكنكم ؟••

رجل ٤ : عامرة كانت بالمرح والسعادة

الامير : هل في مدينتنا ظلم أو حرمان؟

رجل ١ : لا ••

الامين : نقولها لا ••

الامير : شر أو حقد أو طمـــع او اعتداء ؟··

رجل ٢ : لا ··

الفارس : تقولها لا··

الامير : هل يعاقبنا الله على شـيء في مدينتنا شرير او غير مستقيم ؟··

رجل ٣ : لا ··

الوزير : تقولها لا ··

الامير : ومع ذلك وقعت الحوادث واحدة اثر اخرى ·· اشـــرح ما حدث أيهـا الامين ··

الامين : كنا نحسبها اول الامــــر نهشة حيوان جائع ، لما رأى الفلاحــون ذات صباح ركنا من حقولهم مــــتروع الاشـجار · ولكـن بعد ايام قتل احد الرجال بضربة على الرأس ·

الفارس : قبضنا على احد الاشــرار الغرباء ·

الامين : وفي التحقيق قال قــــولا تعجبنا له ! قال انهم من ورائه قادمون جحافل الاشرار !··

الوزير : هل كان سهلا ان نصـــدق قولا قاله شرير ؟!··

الامير : ولكن كلمة قالها الشـــرير اثبتت صـــحتها بعد ذلك ! الان ·· جحافل من الاشرار يحيطون الجبـــل · احرقوا قرى جيراننا في الســـــفح ودمروا محاصيلهم ·· ويتطلعون دائما الى قمة الجبل ، نحو مدينتنا · لقـــد صدق الشرير !··

الوزير : ومع ذلك هل كان سهلا ان نصدق قولا قاله شرير ؟!··

الامير : هدوءا مع ذلك · لقـــد استدعيت حكيم الخير وساحرنا منـذ ثلاثة ايام لهذا الاجتماع · وعلينا ان ننتظـر ·

(يحط نسر هائل على الشباك في قاع المسرح ، فاذا هو الساحر بنفسه · عجوز جدا · يشهق الجميع لمرآه يضم جناحيه ويخلع قناعه ويدخل) ··

الساحر : السلام على الامـــير والمجتمعـــين ··

الامير : وعليك السلام ·

الساحر : استدعيتموني لتسالوني · ماهــو السـؤال ؟··

الامير : نريد ان نسالك فيما شاهدناه ورايناه ·

السـاحر : لقد رأيت مثلما رأيتم ، واكثر مما رأيتم · لبست جلد القـــط وتجولت بين مجموعهم واكلت مـــن فضلاتهم وسمعت حديثهم · ولبســت جناح النسـر وطفت فـــوق جحافلهم واحصيت عددهم · فما هو السؤال ؟

الامير : عندما أجدبت حقولنا فمـاذا فعلت ؟··

الساحر : كان الامر بسيطا ، علمت ان الارض بلى سطحها فصنعت لكم المحراث لتقلب تربتها مع كل زرع ·

الامير : ولما اشتد علينا الحر سالناك · ماذا فعلت ؟··

الساحر : كان الامر بسيطا · صنعت لكم انوال النسيج التي عوضتكم بالكتان والقطن والصوف عن جلود الحيوان ·

الامير : حتى عندما داهمنا الملل ذات شتاء سالناك · ماذا فعلت ؟··

الساحر : ليتني لم اصنع لكم شيئا !·

الامير : ماذا تقول ؟! أتندم انك صنعت لنا الات الموسيقى وعلمتنا الغناء ؟!··

الساحر : كل شيء صنعته كـان لـه خطره الذي لم نحترز منه ·

الامير : اغانينا لها خطر ؟!··

الساحر : والمحراث والانوال والرخاء كان لها خطر · كل ما صنعت ، والاغاني·

الامير : حتى الاغاني ؟!··

الساحر : كان الاشرار يمرون بسفح الجبل فيقولون ان كان سكان مدينة الجبل يغنون بهذه السعادة فلابد انهم يتغـذون جيدا ، وعندهم ثروات افضل ممـا عنـــد سكان القرى تحت الجبل · راقبوا طـرق التجارة وراوا وتاملوا ·· قالوا : لمـــا لا نصعد لنرى ما عندهم فوق ، نقتـلهم ثم ناخذ ماليديهم · هكذا قال الاشــرار بعضهم للبعض ·

الامير : ماذا يريدون ؟··

الساحر : كل شيء !··

الامير : ولكن هذه المدينة ملك اهلهـا الذين لم يبخلوا على ضيف او جـــار بشيء !··

الساحر : كما كانت بغداد واحرقهـا التتار · كما كانت عكــا وبيت المقدس ودمرها الصليبيون ·

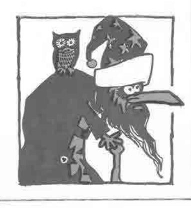
الامير : ان ما تقوله ابشع مما علمنـا قبل حضورك ·

الساحر : ستتعلم يا بني الكثير ··

الامير : ماذا نتعلم ؟! الخوف ؟!··

الساحر : لا ·· بل ستتعلم من خـلال الخوف !··

الامير : أي شيء سنتعلم من خـلال الخـــوف ؟··



الساحر : ستتعلم انك لا تستطيع ان تحمي شيئا له قيمة في عالم بلا قيم ، وانك لا تستطيع ان تبني مدينة سالمة في غابة غير سالمة ، وانك لا تستطيع ان تبني مدينة امنة في زمن غير مامون ·

الامير : ما افظع ما تقول ··

الساحر : اما ان تعيش في خرائب لا يطمع فيك احد ، وأما ان تجمل الحياة من حولك فتتعرض لما نتعرض له اليوم ·

الامير : حكمة مريرة !··

الساحر : هذه هي المرارة بعد الحلم يا ولدي !

الامير : واذن ما العمل ؟

الساحر : هذا هو السؤال ·

الجميع : ما العمل ؟··

الامير : أيمكن ان تصنع لنا سلاحا قويا نغلبهم به ؟

الساحر : مهما كان سلاحك قويا ، فان قلبك هو الذي يقاتل ·

الامير : اصنع لنا شيئا لتكون قلوبنا قوية !··

الساحر : فاقصمت كل موسيقى ، وبدل ملابس الاعياد ، البسوا ثياب النمور والضباع والذئاب · واذا كان مقدرا لنا أن نعيش في غابة متوحشة فلنكن اقوى وحوشها · استلوا من قلوبكم كل رحمة واغرسوا بها شوكة الاعتداء ·

الامير : فظاعة !··

الساحر : بعصاي السحرية هذه وبكلمة موافقة منكم ، باللمسة وبالكلمة ساحيلكم شجرا وحشيا ونمورا وفهودا ·· مساكنكم كهوفا وصخورا ، وليكن اميرنا اسد الغابة الذي تتحدث بضراوته وقسوته الاشرار للاشرار ·· لا ترددوا ·

الامير : ان ما تقول شنيع !··

الجميع : ما يقوله شنيع !··

الامير : معناه اننا كنا في احلامنا واوهامنا نعيش ونحب عالما قبيحا ليس فيه رحمة !··

الساحر : بلى · ان في العالم رحمة ·· وعندما تهدا العاصفة ستكون اشارة تحول الزمان خمسة افعال من افعال الرحمة ، وعندئذ سيبطل مفعول سحري ، ويرتد كل شيء كما كان ·· وتعود الغابة مدينة ·· في تلك اللحظة المباركة التي تقع فيها الرحمة الخمسة ! وافقوا على ما اقول · ودعوا حياتكم البشرية ·· قولوا نعم ·

الامير : (لمن حوله) اي مصير تختار ؟!··

الجميع : اختر لنا يا امير !!

الامير : اذن الوداع يا بيوتنا ومسراتنا ، الوداع حتى يبطل السحر خمسة افعال رحمة ··

(يلمسهم الساحر بعصاه فيتحولون اشجارا وحيوانات متوحشة ، كما تتحول معالم المنظر الى غابة غريبة · وذلك في استعراض غنائي راقص واضواء متغيرة) ··

الجميع : (يغنون) ··

الوداع ··

يا ثيابي البشرية ·

يا حياتي المدنية ·

الوداع ··

يا نتناسى بصحابي ·

وغنائي لحبيبي ·

في الليالي القمرية ·

الوداع ··

لغة النطق النبيلة ··

وبساتيني الجميلة ·

واحاسيسي الوضية ·

الوداع ··

(يتحول الامير الى أسد ·· يزار وسط المسرح فينتهي الفصل) ·

ستار

الفصل الثاني

المنظر : كوخ راع فقير ·· رحمة صبية جميلة تضع اطباق طعام مغطاة على المائدة ، وتنظم حولها زهورا برية ·· الفتاة صبية سمينة وكسولة جالسة الى جانب من المائدة وتاكل باستمرار · بينما المراة وهي أم الفتاة جالسة ترقب رحمة وهي تشتغل بهمة ·

المراة : هل غسلت الاواني يا رحمة ؟

رحمة : نعم يا أمي ·

المراة : لست أما لك ! هل نظفت المنزل يا رحمة ؟

رحمة : نعم يا خالة ·

المراة : لست خالة لك ! هل غسلت ملابس ابنتي يا رحمة ؟

رحمة : نعم يا ·· شيخة ·

المراة : لست شيخة يا لئيمة · الا تعرفين اني مازلت صبية ؟! هل جئت بالماء من البئر يا رحمة ؟

رحمة : نعم !··

المراة : ماذا بقى اذن ولم تفعليه ؟

الفتاة : اسقني ماء ! عطشانة ! اسقني ماء !··

المراة : (تنهض من جلستها منزعجة وتضرب رحمة فوق ظهرها) البنت تصرخ عليك مرتين قبل ان تتحركي ؟! يا حاقدة !··

رحمة : لم تطلب الا الان ·

(تخرج رحمة لتلبية الطلب)

الفتاة : كلما طلبت منها شيئا تتذمر ·· تكرهني !



المرأة : لا بأس عليك يا ابنتي !لا بأس عليك يا حبيبتي !

الفتاة : (بصوت باك) تكرهني !

المرأة : لم يشفني ضربها ولا شتمها · ماذا افعل ؟

الفتاة : واذا جاءني العريس غدا ورآها ؟··

المرأة : نعم يا حبيبتي افهم ·

الفتاة : كل شاب اتى ليتزوجني يراها فتسحره ·· لا أحد يريدني ·· كل من يدخل بيتنا ينظر اليها هي ·

المرأة : (مشفقة) لا يا حبيبتي انت تتوهمين ، فانت اجمل منها بكثير ، وانت ابنتي ، اما هي ··

الفتاة : اطرديها !

المرأة : سيغضب ابوك ·· ماذا افعل يا ناس ·· هو الذي اتى بها يوم الحريق قبل ان تولدى ·· الناس تاتي لبيوتها بقطة مسكينة او كلب حراسة أمين ، وهو اتى يومها بضرة لي ولابنتي ·

(تدخل رحمة حاملة كوز الماء للفتاة تعطيه لها في رقة)

رحمة : اشربي يا اختي ·

الفتاة : لست اختك !··

المرأة المسكينة معتلة ، ودائما عطشانة ، تملأ بطنها بالماء ، بينما انت دائما في صحة جيدة ··

رحمة : لانها تاكل اكثر مما يكفيها بينما انا اخدم ·

المرأة : تحسدينها ؟!··

رحمة : لا اقصد شرا ·· الطعام الكثير يضر الصحة · والعمل يفيدها ·· لا يضر الصحة غير الطعام والكسل·

المرأة : كذابة ! لعلك تسرقين طعامها من وراء ظهري !··

رحمة : أسرق ؟!··

المرأة : نعم ·· كما تريدين ان تسرقي خطابها ·

رحمة : أسرق خطاب اختي ؟··

الفتاة : لست أختك !··

المرأة : والا فلماذا كلما أتاها شاب يخطبها يطلبك انت ؟

رحمة : يطلبني انا ؟!··

المرأة : تصنعي البلاهة ·



رحمة : يا حسرتي !

المراة : حزينة لذلك ولست سعيدة ؟

رحمة : صدقيني ·

الاخت : ساحرة وكذابة !

رحمة : تمنيت أن يفتح الله قلوبهم لك ·· صدقيني ·

المراة : اذا كنت صادقة فما عليك الا ان تثبتي ذلك ·

رحمة : ليتني استطيع ·

المراة : (تتظاهر باللطف) هل تحبين حقا أن تكون اختك جميلة في اعين خطابها ؟··

رحمة : نعم ··

المراة (تتظاهر بالحنان) انا ياحبيبتي عندما كنت صغيرة وصحتي حسنة احضرت لك شيئا وغسلت به وجهك فصار جميلا وجذابا ·· اما الان فابنتي المسكينة في حاجة اليه وانا صحتى ضعيفة ولا أقوى على احضاره ·

رحمة : مهما كان انا أحضره لها ·

المراة : (تغمز ابنتها بعينها) آه لو كنت تستطيعين !

رحمة : مهما كان ساحضره لها ·

المراة : (تتظاهر باللهفة والشفقة) اذا كنت لا تخافين ··

رحمة : من أجل اختي لن اخاف ·

المراة : (جانبا للفتاة) ساخلصك منها ·· (لرحمة) لا تخافين من اي شيء ؟··

رحمة : لا ··

المراة : لا من ظلام ولا من وحش ؟

رحمة : من اجل اختي لن اخاف الظلام ولا الوحوش ·

المراة : (جانبا للفتاة) سنرتاح منها يا حبيبتي ·· (لرحمة) عجبا من هذه البنت الشجاعة ! لا تخافي حتى من الغابة المسحورة ؟!··

رحمة : لا أخاف الغابة المسحورة ·

المراة (بغبطة) يا حبيبتي الشجاعة مع ان كثير من الناس يخافون ·

الفتاة : (ملهوفة) ولكن اختي لا تخاف يا امي ·

رحمة : من اجل اختي لن اخاف ·

المراة : حتى لو طلبت منك الذهاب الى غابة المدينة المسحورة ؟

رحمة : اطلبي ما تريدين لتكــــون اختي جميلة ·

المراة : وفي هذه الغابة اسد كبير جدا ومتوحش جدا وليس في قلبــــه رحمة ·

الفتاة : (تستحثها) ولكن اخـــتي رحمة لا تخافه يا أمي ·

رحمة : لن اخافه من اجل اختي ·

المراة : وفي وسط الغابة نخـــلة طويلة جدا ·

رحمة : (مكررة) العنزة البيضـــاء التي كانت تعزف الموسيقى ·

المراة : تحلبيها في هذا الكوز وتأتين بلبنها تغسل به اختك وجهها فيصـــير جذابا وجميلا ·· عندما كنت شـــابة فعلت لك نفس الشيء يا حبيبتي (تغمز لابنتها بعينها) اذا كنت تذهبين ·

رحمة : اذهب ··

المراة : الليلة ··

رحمة : الليلة ···

الفتاة : الان ·

المراة : الان ··

رحمة : الان ··

المراة : قبل أن ياتي خاطب اختك في الصباح ·· (تدفع لها الكوز) اذهبي !

(تخرج رحمة ·· المراة والفتاة تضحكان بسرور) ·

الفتاة : سياكلها الاسد !



المراة : (يبدو عليها القـلق فجاة) وابوك ·· ماذا نقول له ·

(ينظر كل منهما للاخر ـ يدخـــل الراعي)

الراعي : مساء الخير يا حبيبتي ·

الفتاة : مساء الخير يا ابي ·

المراة : مساء الخير يا زوجي العزيز·

الراعي : واين رحمة يا حبيبتي ؟

المراة : هي بالخارج ·

الراعي : اين الزهور التي قطفتهـــا رحمة لي ؟

المراة : ها هي ·

الراعي : واين الطعام الذي طبختــة رحمة لي ؟

المراة : ها هـــو ·

الراعي : هل اطعمتك رحمة يا ابنتي العـــزيزة ؟

الفتاة : نعم يا ابي ·

الراعي : هل ساعدتك رحمة في عملك يا زوجتي المحبوبة ؟

المراة : نعـــم ··

الراعي : (يجلس الى الطعــــام) باركها الله وبارك فيها ·· ما الذ طعامها وما الطف صورتها وفعلها ·· اتذكـــرين يا زوجتي يوم عثرنا عليها طفلة تائهة ؟ كان العالم مليء بالشرور ، الغـــابة المسحورة مليئة بالحرب والرعب ، وسفح الجبـــل مليء بالاشــرار واللصوص ·· يحرقون القرى والزرع ·· بين الحرائق راينا طفلة ضالة تصرخ وتقول : رحمة ! رحمـــة ! ·· لعلها سمعت الفلاحـــين المذعورين يصيحون فصارت تقلدهم في قولهم الرحمة ! وعجبا من ان الطفلة كانت تمشي فتنعكس الريـــح وتبتعـــد عنها النار ·· كانها ليست انسية ! ابنة الغابة ·· ابنة الحريق ·· سيدة الرياح ·· رحمة · سميتها رحمة ! آويتها في بيتي فرزقت بابنتي ، واتاني الخير ·· صارت غنمي اكثر · في وجهها طمــــانينتي ومسرتي ·· تساعد زوجتي وابنـــتي وترزقني · لذلك سميتها رحمة · ايـــن هي يا زوجتي ؟ تبكين ؟!·· (المـــراة تبكي) هل مسها ضرر ؟!·· هــــل طردتها ؟! تكلمي !··

المراة : ســامحني ! لم تخطيء البنت في حقي ، ولكني كنت اغار منها لانهـــا اجمل من ابنتي ·

الراعي : ماذا فعلت ؟··

المراة : ارسلتها للغابة ·

الراعي : يا شريرة ! لم تخطيء في حقك ابدا ·· ايها العالم الشـــرير ! (يندفع خارجا)

المراة : اين تذهب ! لهفي عليـــك ! ما بالي ؟! االنا حقا احبه الى درجـــة ان القي بنفسي وراءه في الغابة رحمة به ؟

الفتاة : لا تتركيني يا امي ·

المراة : لا استطيع ·· لهفي عليـــه ! رعاك الله ! (تندفع خارجة) ··

الفتاة : يذهبان الى الغابة وراءهـــا ويتركاني وحدي ؟ ولكن ما بالي اشـــفق عليهما بدلا من ان اسخط ؟ اانا حقـــا احب ابوي الى درجة ان القي بنفسي وراءهما في الغابة بلا خوف رحمـــة بهما ؟! امي ! ابي !··

(تندفع خارجـــة)

ســــتار

الفصل الثالث

المنظر ـ مدخل الغابة ·· يمين أسفل المسرح يقف (السهم) ، وهو ممثـــل ذراعه علي هيئة علامة طريق مكـــتوب عليها (غابة المدينة المســـــحورة) ومرسوم تحتها سهم · وفي قاع المسرح عند مدخل الغابة تماما يقف (المنذر) وهو ممثل على هيئة لافتة مرسوم عليها جمجمة وعظمتان ومكتوب عليها (لا تمر ·· خطـــر مميت) بينما ذراعاه احمران يحركهما دائما ليرسم علامة (×) تدخل رحمة وتلتفت حائرة ·

رحمة : اين انا ؟·· اخشى ان اه الطريق فلا اصل بلبن العنزة المســحو

قبل الصباح ·· لابد من أن اسأل عن الطريق ·· الدنيا ظلام (تصطدم بالسهم فترتد) ما هذا ؟··

السهم : (صوته معدني حاد) احم ! غبية !··

رحمة : آه انت الذي تدل الناس على الطريق ؟··

السهم : نعم ·· (يحرك ذراعه ليلفت نظرها)

رحمة : (تتعلق به) دعني اقرأ ·

السهم : (يبعدها) لا تحركيني والا فقدت الاتجاه ، وضلت الناس الطريق اقرأي من عندك ·

رحمة : لا ارى المكتوب من عندي · قل لي انت ·· ما المكتوب عليها ؟

السهم : كيف اعرف انا ؟ وهل اقرأ واكتب انا ، أو ذهبت الى المدرسة ؟! انا يكتبون علي فقط ، والمارة يقراون ·

رحمة : دعني اقترب لاقرأ ·· الدنيا ظلام ·

السهم : انتظري للصباح ·

رحمة : لا وقت عندي ·· يجب ان اعود قبل الصباح ·

السهم : غبية !··

رحمة : (تتعلق بذراعه) لا تكن ثقيلا وارني ·· (تقرأ) (غابة المدينة المسحورة) هي ما اريده · اين ؟

السهم : (يحرك ذراعه مشيرا لها)

(تتردد) انا وحيدة ، وخائفة واخشى ان اضل الطريق ، ولا وقت





عندي ·· هل تأتي معي ·

السهم : غبية ! كيف استطيع ؟ انا في الخدمة ·

رحمة : يجب ان اذهب واعود في غاية السرعة ، قبل ان يأتي خطيب اختي في الصباح

السهم : تعرف ! اين تذهبين ؟··

رحمة : للعنزة البيضاء النائمة ، والتي كانت تعزف الموسيقى تحت النخلة الطويلة ، وسط الغابة المسحورة·

السهم : لا تضحكيني ·

رحمة : لم تضحك ؟

السهم : ليس في الغابة عنزة بيضاء تعزف الموسيقى ، وانما فيها أسد مرعب وضباع متوحشة ونمور ليس في قلوبها رحمة ·

رحمة : لا تخيفني ! لابد ان اصل هناك ، رحمة باختي ·

السهم : اذهبي كما تشائين · (تتقدم فتكاد تصطدم بالمنذر) ·

رحمة : ما هذا ؟··

المنذر : (يحرك ذراعيه فوق وتحت ليرسم علامة (×) ، ويتقدم نحوها بخطى ثقيلة وهو يتكلم بصوت معدني غليظ) : خطر مميت ! خطر مميت !··

رحمة : (تتراجع) اخل لي الطريق ·

المنذر : (مازال يتقدم ببطء) خطر مميت !··

رحمة : يجب ان امر حتى اصل الى النخلة الطويلة وسط الغابة واجد تحتها العنزة البيضاء النائمة والتي كانت تعزف الموسيقى ، احلب لبنها في هذا الكوز لتغسل به اختي وجهها ، قبل ان يأتي خطيبها في الصباح ، لتبدو في عينيه جميلة ·

المنذر : (بغلظة) قلنا لك خطر مميت !··

رحمة : (بتصميم) اخل لي الطريق !

المنذر : (متذرعا بالصبر) يا بنت الناس ·· واجبي يمنعني ان اترك خدمتي لاتكلم مع فتيات حمقاوات مثلك، ولكن من باب الشفقة اقول لك ان بالغابة اسد مرعب يأكل كل غريب يقتحم ارضه ·· هيا ابتعدي ، هيا ·

رحمة : يجب أن اصل لما اريد ·

المنذر : بلهاء لا تفهم ·

رحمة : انت الابله ولا تفهم ·

المنذر : (غاضبا) اف ! خطر مميت !··

رحمة : (للسهم) لماذا انت واقف هنا ·· لا نفع لك ·· (تشير الى الطريق) وهذا يقطع الطريق ·· ما نفعك انت ؟ واذا وجدوك بلا نفع سيفصلونك من الخدمة ويوفروا اجرك ·

السهم : (مستفزا) دعها وشأنها ·· افسح لها الطريق ·

المنذر : (محركا ذراعيه) خطر مميت !··

السهم : لا شأن لك ·· تنح عن الطريق !··

المنذر : (مصمما) خطر مميت !

السهم : الولد يتعلثم ! طيب · خذ ! يدفعه بذراع السهم فيلتوي ذراعه) آه !·· آه !·· ذراعي ! ذراعي الذي اشير به ·· لم اعد اصلح للخدمة ·· سيفصلونني !·· قضى علي !··

رحمة : لا تبك ·· ارجوك ! (تشده من ذراعه فيعتدل) ·

السهم (في غاية الانشراح) آه !·· شكرا لك ·· كيف استطيع ان اشكرك ؟

رحمة : اجعله يفسح لي الطريق ·

السهم : لا ·· هذا لا ·· ما كل مرة تسلم الجرة ·



رحمة : (تبكى) ماذا افعل ؟ (تغترف بكوزها بعض الطين وترش المنذر فتخفي علامته وتطمسها ٠

المنذر : الله ! ماذا تفعلين ! اه محت اسمي ورسمي ! (يفقد الذاكرة ويقف حائرا) ماذا حدث ؟٠٠ من انا ولماذا انا هنا ؟ (رحمة تسللت خارجة)

المنذر : (يتجه للسهم) اسمع يا رجل هل تعلم من انا ؟

السهم : والله ٠٠ انا لا اقرا ولا ذهبت للمدرسة ٠

المنذر : الم ترني قبل اليوم ؟٠٠

السهم : بلى رأيتك ، ولكني لا اعرف اسمك ٠

المنذر : (يكاد يبكي) من يدلني على اسمى ! اه ٠٠ هاهو شخص ياتي

(يدخل الراعي) ٠

الراعي : هل راى احدكما فتاة صغيرة تمر من هنا ؟٠٠

المنذر : نعم ذهبت من هذه الناحية ولكن تمهل أرجوك ٠٠ هل تعرف من انا؟

الراعي : لا ٠٠ من تكون ؟

المنذر : ألم ترني قبل اليوم ؟

الراعي : لا اذكر ٠٠ لا وقت عندي ٠٠ (يخرج بسرعة) ٠

المنذر : سيدتي ارجوك ٠٠ (تدخل المراة) ٠٠

المراة : ارايتم رجلا يمر من هنا ؟

السهم : (مشيرا بسهمه) نعم من هذه الناحية ٠

المنذر : سيدتي ٠٠ هل رأيتني قبل اليوم وتعرفين ما وظيفتي ومن آكون ؟

المراة : لااعرف (تخرج) ٠٠

المنذر : (بياس) يا أهل الله ٠٠ (تدخل الفتاة) ٠

السهم : هذه لا تقرا ولم تذهب للمدرسة فلا تضيع وقتها ٠ نعم يا بنت ٠٠ ابوك وامك مرا من هذه الناحية ٠٠ اسرعي !٠٠

المنذر : لن ادعها تمر ٠٠ (يمسك بها فتضربه على صدره فتمسح بذلك الطين عنه وهي تتملص منه) ٠

الفتاة : دعني !٠٠ دعني !٠٠

المنذر : هل تعرفينني يا بنت ؟ كنت موظفا في مكان ما ، ولا أعلم اين هو ٠ اقوم بعمل لا اذكر ما يكون فهل تصادف ان رأيتني ٠



الفتاة : دعني ! دعني !٠٠ (يثوب الى وعيه لحظة تتضح علاماته فيفلتها لتخرج) ٠

المنذر : اه ٠٠ ها هو ! تذكرت ! انا ٠٠ (بصوته الرتيب المعدني وحركة ذراعيه) خطر مميت !٠٠ اه ٠٠ تمام ٠٠ خطر مميت !٠٠

ستار

الفصل الرابع

المنظر : عمق الغابة ٠ في الوسط نخلة طويلة جدا ومن حولها شجرة زنبق وشجرة موز وشجرة ياسمين تلتف هنا وهناك ٠٠ فضلا عن شجرة قرنفل وشجرة قطن وغيرها ٠٠ القمر اشد سطوعا ٠ الاشجار تغني همسا وتتمايل على ايقاع الاغنية بينما يرتفع الستار ٠

الاشجار : (تغني) هس ٠٠ههس ٠٠ هس ٠

وقع اقدام غريبة ،
تتعثر ٠٠
تتكسر ٠٠
وقع اقدام قريبة ٠
ولماذا جاءنا ،
عاثر الخطو هنا ؟
في صميم الغابة ٠٠
انصتي !
وقع اقدام غريبة ٠٠
تتعثر ٠٠
تتكسر ٠٠
وقع اقدام قريبة ٠٠

هس !٠٠ ههس !٠٠ هس ـ (تدخل رحمة منهكة) ٠

رحمة : (لنفسها) مشيت معظم الليل ولم أجد العنزة البيضاء النائمة ، والتي كانت تعزف الموسيقى ٠٠ آه يا خيبتي !٠٠ تعبت ٠ (تجلس على حجر وتمسح دموعها) ٠٠

النخلة : (تميل اليها) ماذا بك يا ابنتي ؟

رحمة : جوعانة !

النخلة : (تميل اليها اكثر) ارفعي يديك الاثنتين واقطعي من بلحي ٠

رحمة : (ترفع يديها وتقطف وتاكل وهي تضحك مسرورة) ٠

النخلة : هل شبعت ؟٠٠

رحمة : نعم ٠٠ بارك الله فيك ! (ثم تطرق) ٠٠

شجرة الزنبق : ماذا بك يا اختي ؟

رحمة : عطشانة !

- شجرة الزنبق : اقتربي يا حبيبتي ·· قربي شفتيك اسقيك مما جمعته في كؤوس من ماء المطر ·

(تميل كؤوس الزنبق لترتشف منها رحمة الماء)

رحمة : (تشرب ويتساقط عليهـا المـاء تضحك مسرورة)

شجرة الزنبق : هل رويت ؟

رحمة : نعم ·· بارك الله فيك ! (ثم تطرق)·

شجرة الموز : ماذا بك يا حبيبتي ؟

رحمة : بردانة !··

شجرة الموز : تعـــالي يا حبيبتي ·· ادخلي في حضـــني اكسوك من أوراقي ثوبا ·· تعالي ·

(تضمها في حضنها فتختفي ثم تظهر لابسة ثوبا بديعا من أوراق الموز ·· تدور حول نفسها وهي تضحك مسرورة) ·

شجرة الموز : هل دفئت ؟··

رحمة : نعم ·· جزاك الله خيرا ··

الاشجار : ما اجملها ·· تعـــالي يا حبيبتي اكسوك من يا سميني ·· تعالي يا حلوة اعصر عليك قرنفلي ·· (تتبادلها الاشجار بفروعها وبزيننها بالعقـــود والزهور والاشرطة) انظري الان الـى جمالك ·· كيف ترين جمالها ؟··

الاشجار : (تغني) ما اجمـــلها ما احلاها ·· اطعمناها وسقيناها ·

سنسميها زهرة !

رحمة : (معترضة) اسمي رحمة !

الاشجار : (تغني) ما اجملهـــا ما احلاها ·· بنت الغابة ·· سميناها ·

زهـرة ·· سكر ··

رحمة : اسمي رحمة !··

الاشجار : (تغني) ·· لا ·· ياسمينا ·· ما اجملها ·· ما احلاها ·

رحمة : اسمي رحمة !··

(ينفجر زئير الاسد فيتجمـــد كل شيء في لحظة) ·




الاشجار : (تتبادلها بالافرع لتخبئها) الاسد القاسي !·· اختبئي هنا !··

رحمة : (تتملص من الافرع) انـــه يبكي !··

الاشجار : (لا تريد ان تفلتها) لاشان لك ! ابتعدي !··

اختبئي !·· اهربي !··

رحمة : (تتملص) هو يبكي !

الاشجار : لا تتملصي ! لا تتقدمي !··

رحمة لا·· لا ·· المسكين يبكي !··

(تجد الاسد وجها لوجه معها

(بحذر) ماذا بك يا أمير الغـــابة ؟

رحمة : نعـــم ··

الامير : ومن الاتي معك ؟

رحمة : لا احد ·· جئت وحدي ·

الامير : (آمرا) تقدم هنا ! ارنا وجهك

(يبرز الراعي من خلف الشجرة ·· مترددا)

: من انت ؟

الراعي : انا ابو رحمة ·

الامير : ماذا جئت تفعل هنا ؟

الراعي : جئت انقذها واعيدها للبيت ، رحمة بها ·

الامير : رحمة ثالثة في هذا العالم ؟! ومن الاتي معك؟

الراعي : ليس معي احد ·

الامير : (بصوت امر) اخـــرج مـن الاغصان يا من هناك !·· تقـــدم !··

ارنا وجهك !··

(تبرز المراة من خلف الشـــجرة خائفة)

: من انت ؟

المراة : انا زوجة الراعي ياسيدي ·

الامير : وماذا جئت تفعلي هنا ؟

المراة : انقذ زوجي واعيده للبيت ، رحمة به ·

الامير : ما شاء الله ! ايمكن ان تتم المعجزة في هذا العالم برحمة خامســـة تحل السحر ؟! (يتلفت فجاة) من المختبيء هنا ·· اخرج !

(تبرز الفتاة من بين الاشجار وهي مذعورة)

- من انت ؟·

الفتاة : (لاهثة) انا ابنة الراعي ·

الامير : وما اتيت تفعلين هنا ؟

الفتاة : ابحث عن امي وأبي ، رحمـــة بهما !··

الامير : (ماخوذا) اهذه هي العلامة ؟ رحمـة خامسة ؟!·· (يصيح) ايهـــا الساحر الحكيم !··

(اصوات مختلطة ·· يهتز الشـــجر ويهبط النسر فينزع قناعه وأجنحته فاذا هو الساحر) اهذه هي العلامة ؟!··

الساحر : لا ·· العلامة هي انـــك اشعلت حربك ضد الاشرار ·· النضـــال تربية للقلوب · النضال يصنع لكل قلب



الاسد : (يزوم ويقيسها بناظـــرية متحفزا) ··

رحمة : انت عطشان ؟··

الاسد : (زئير مظذر) ··

رحمة : انت بردان ؟

الاسد : (يقبض عليها بيده ويقربهـا اليه) ··

رحمة : انت جوعان ؟··

الاسد : (يفتح فمه وهو يزار ليلتهمها)

الاشجار : (تهتف من ياسها) رحمة !

الاسد : يلتفت حواليه ويفلتها من يده)

رحمة : ما هذا الدم على يدك ؟ ارني (تمسك يده) يا للمسكين ! في يـــده شوكة كبيرة · لهذا كان يبكي ·· دعني انزعها لك · (تجذبها بجهد وهو يزوم) آه ·· دم كثير ! اليست هنا شجرة قطن لاضمد له جرحه ؟ (تتقدم منها لشــجرة القطن بحذر) ها هي ·· (تلتقط مـن قطنها وتضعه على الجرح) ·· انتظـر حتى اربط جرحك بشريط (تنزع شريطـا اخضرا من شعرها وتربط الجرح) الان · هل تستطيع ان تمشي ؟

الاسد : (يدور متثاقلا ليختفي خـلف شجرة الموز) ··

(يدخل الامير من الناحية الاخرى من خلف شجرة الموز ويده مضـــمدة بالشريط) ·

رحمة : من انت ايها الشاب ؟

الاشجار : من الشاب ؟!··

الامير : (كالمستيقظ من نوم طويل) ·· من انت ؟

رحمة : انا رحمـــة ··

الامير : الا تخافين الاسد ؟

رحمة : ولكنه كان مريضا وقد شفيته ·

الامير : ولماذا اشفيته ؟

رحمة : لانه كان يتوجع ··

الامير : افي قلبك رحمة لاسد متوحش ؟

رحمة : نعـم ··

الامير : هذه الغابة لم يدخلها احــد منذ زمن ·· لماذا دخلت الغابة ؟

رحمة : لاحلب لبن العنزة البيضــاء النائمة ، والتي كانت تعزف الموسيقى ، لتغسل اختي وجهها بلبنها فتبدو جميلة في عيني خطيبها ، الذي ياتي في الصباح·

الامير : افي قلبك رحمة ايضا لاختك ؟ عينيه ، ويمنحه القدرة · هكذا تهيـا قلبك لاستحقاق الرحمة بالقدرة عـلى حمايتها في عالم شرير · انتها قـلب الراعي الذي يحبها ، وزوجتـه التي لا تحبها ، وابنتهما التي تغار منها ·· لانقاذ بعضهم البعض · هذا يوم من ايـام التاريخ ·· يوم استحقاق الرحمة !··

الامير : امضت اذن تلك الايام الدامية ؟

الساحر : لا ·· فالاشرار يتربصـون ·· الا اننا صرنا افضل ·· وهذا هـو الدرس الكبير !

الامير : باي ثمن كبير قد تعــلمنا الدرس الكبير ؟!

الساحر : كل درس يساوي ثمنه !

الامير : انقش الان على الجـدران والاشجار ، واحفر على الصـــخور ، والاحجار واكتب الكتب والاســفار ·· واعلن درسك ·

الساحر : كنا نحيا حياة ضـعيفة بلا قوة ·· كنا نحيا حياة عاجـزة عن الرحمة · الان عرفنا القوة وعرفنـــا الرحمة ليقوم العمران بالطين والمـاء في الغصن الاخضر الواحد ، بالقــوة والرحمة في القلب الواحد الحر ·

الامير : سطروا الدرس رسائل يحملها البريد والحمام والبرق الى جهات الارض الاربعة · والان يا رحمة · (يتجه اليها) وعلى يديك تتم المعجزة وينحل السـحر ·· نطلب اليك بكل استحقاق ان تكوني لمدينتنا مواطنة واميرة ·

رحمة : ولكن اين هي المدينة ؟

الساحر : (يدير عصاه في كل اتجاه) هاهي ذي المدينة ! فافرحوا بلقاء الحياة البشرية !

(اصوات هرج ·· تحول الغابة الى مدينة ، والشجر الى بشر في استعراض غنائي راقص ليعود قصر الامير كمـا كان في الفصل الاول بكامله)

الشجر والبشر : (يغنون اثنـــاء الاستعراض) ··

مرحبـــا ··
مرحبـــا ··
بحياتي البشرية
بثيابي المدنية
بائتناسي بصحابي
وغنائي لحبيبي
في الليالي القمرية
مرحبـــا ··

●★●

رحمة احلى امـيرة
للامير الحر في عيد المدينة
هو في الحرب قوى كالسباع
وهو في القصر رقيق الاستماع
ولطيف القول والامر ·· مطاع
مرحبـــا ··
رحمـة احلى امـيرة ··
للمدينـــة ··

(صار العرش مزدوجا ليجلس عليـه الامير ورحمة ومن حولهما الفارس والامين والاهـــالي والراعي وزوجتـــه وابنته وعازفتا الهارب · بعد تمام الاستعراض يجمد كل شيء في صورة ثابتة لا تتحرك فيها غير العازفتين ويسمع عزف الهارب نصف دقيقة بلا اي صوت معه) ·

ســتار الختـام ··

شعر : مصطفى سند

البكاء على أبواب غرناطة الإفريقية

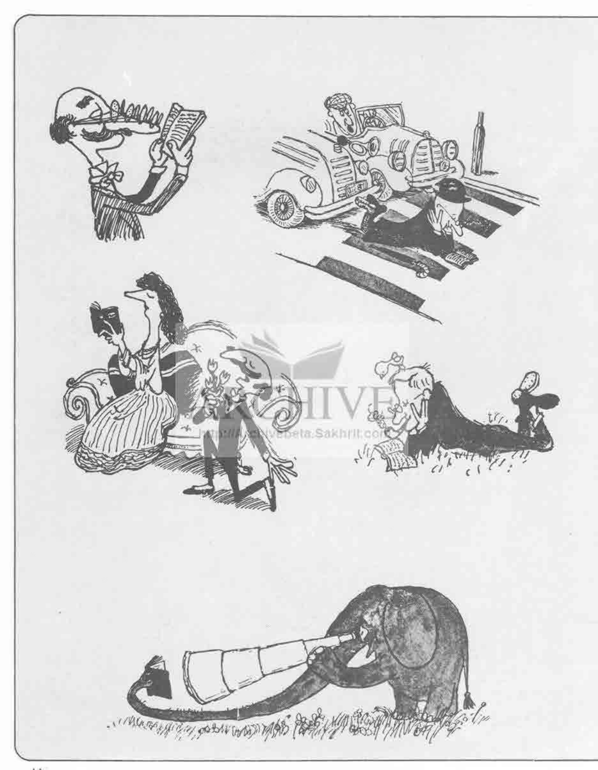
ايقاع •• طبـل يجرح قلب الليل ،
قواف ذهبيات
من نهـر الشمس تصب على شفتى ، فأذهل ،
يومض في عيني بريق المطلق ، يصبح بهو
الحضرة والفردوس على خطوات
ايقاع •• طبل مس جرار الحس •• تفجـر عبر
الدرب الاوسط بين الساحة والميناء
اياك أحدث عن بحرين امتزجا ،
عن جرحين اختلجا •• ساعة مجد لا تتهيأ
للاموات المنسيين ولا تتكرر للاحياء
اياك أحدث ، كان بريد الجاه يفوح ، اذا مـا
قيل الشاهد عاش مناخ العز ، تنفس عطر
الجنة ذات مساء
أو قيل من الحجاج تطل بنات البحر السابع ،
تحت القمر الاخضر والاضواء
يحملن دنان الشوق الصاير ، يا سلطان النشوة
خذنا فوق البيعة يا سلطان
تثريك فنحن بريق البن الاخضر •• شمع النحل
المترف •• ريش نعام شال سواد الليل
ومدد وجه الروعة في الالوان
يهمسن • ولكن لا يتبدل وزن الدرهم حين يكال
بوهم الطيش ، يظل النجم الثابت في الميزان
اياك أحدث كان الصيف اذا ما جاء
يمـد ذووك خوان الرحمة ينطلقون بكل مكان
يرعون المعدم والمقهور

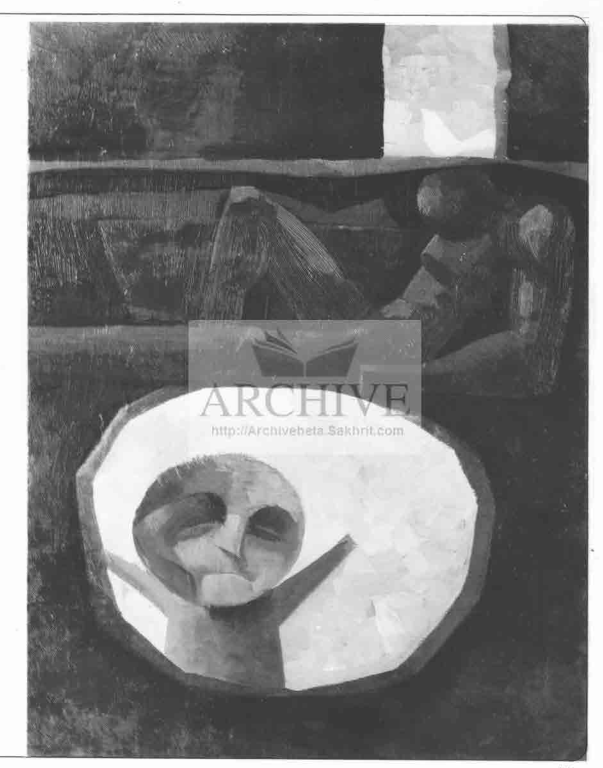
يخشون الله على شيئين ، الذمة والتوحيد
ولا يتأخر حين يحين جهاد البيعة غير العاجز
والمعذور
يفنون العمر على سجاد كان يرق ويصفو
حتى ينبع منه النور
وسمعت · أخالك كنت تلملم همس الشارع
حين تسير وتسمع ما يرويه الشجر الواجم
في الطرقات
كانوا سر الله ويوم ارتحلوا ضاع السر الاكبر،
ضاع رنين الذكر العاطر ، شدو السيرة
والدعوات

●★●

يا حطب الذكر تشرنق في الليلات المنسيات ،
تلولب غيم دخان .
واركز · يا نفحات ذوى المذكورين وزغرد
فوق النار
ان كنت سمعت فاني أعرف ماذا تحكي هذى
السحب الفضيات وماذا تهمس من اسرار
ان كنت سمعت فاني أعرف كل السيرة والاخبار
كانوا في عينيك · وكانوا ·· ثم اهتز القوس
وراحوا ذات نهار
يلوون عنان الصبوة نحو القطب الاسطوري
ويرتادون بحار العسجد حيث الشمس تنام
بحضن الموج الدائر والتيار
يمضون ·· وتبقى الريح تحك بظفر الموت الاحمر
بطن الجرح ، فيبكى الليل ويبكى النهر وتبكى
الغابة والامطار ··


الكتاب
كاريكاتير
هوفنغ
Hoffnung's





باب السنط

قصة بقلم : سعد الدين ابراهيم

بكى منزلنا كثيرا الناس والاشياء ، بكى (جرقاس) الكلب الابيض الكبير · وبكت القطة السوداء ، وكلنا كنا نبكي ، حتى السماء شاركتنا فكانت تمطر باكية الا (باب السنط) فقد ظل في شموخه ، ولو ان ازيزه صار مثل اغنية حزينة ·

كان (جدنا) الذي ابكانا موته معارضا جدا ومستعدا للتضحية بالدم حتى لا يتبدل (باب السنط) · عندما كان يحتضر كانت اخر كلماته قبل الشهادة : « لا تزيلوا باب السنط ، ساغضب في قبري ان استبدلتموه باخر ·· لا تزيلوا باب السنط ·· لا تزيلوه » · كان جدنا يقول هذه الوصية بطريقة هتافية ، كان يقولها بكل ما في حنجرته من قوة ، ولكنها تخرج مهموسة · وظلت لحظات موته مثل الحوادث التي تحدث في الاحلام مبهمة ولكنها مثيرة محزنة ·· عميقة ·· مات جدنا ومازال باب السنط بيننا ·

اعدنا تصليح المنزل ، بنينا طابقا ثانيا · (المهندس) اشار الى حتمية ازالة (باب السنط) ولكنها كانت معجزة المعجزات ان يزال الباب · تمشدق (المهندس) بكلام كثير عن الجمال الكامن في تناسق الاشياء ، وعن التطور والتحضر ، فلم يتمكن من اقناعنا ، لكن الدكتور « محمود خير السيد » وهو كبير اسرتنا ، يحمل نصف قرن على كاهله ونصف صلعة على رأسه ·· و « كرش » كاملة الاستدارة تتقدمه ، وعجيزة كاملة الاستدارة تحد من تقدم هذا « الكرش » · اقتنع (محمود) بكلام المهندس ولم نستغرب لهذا الموقف لاننا كنا نتابع انبهاره الشديد بكلام (المهندس) ·· ولكن هيهات ، وقفنا كلنا بشدة ضد القرار · صحنا في صوت واحد : لن نبقى في هذا المنزل اذا تم استبدال باب السنط ·

كانت وقفتنا حازمة ·· (سميرة) حزمت حقائبها استعدادا لترك المنزل ·· (عاطف) قرر ان يرحل ·· (نفيسه) قالت انها سترسل خطابا لزوجها المقيم (بالمملكة العربية السعودية) ليبعث لها بتذكرة السفر حيث انها لن تطيق المنزل بغير (باب السنط) ·· « كامل وياسر وسوسن » دخلوا في عملية رفض تام للكلام وللطعام ·

كان « محمود خير السيد » قد بدا يعبر عن انسحابه عن رايه عندما قالت له « سوسن » ان المهندس يريده على الهاتف فرد عليها : قولي له انه انتحر · قولي له انه ذهب الى الاخرة بلا عودة · ولم يرد عليه · وهنا انتهز « كامل » الفرصة فساله بحدة ماذا قررت ؟ هل ستزيل الباب ؟ فرد عليه : اتركوا لعب الاطفال هذا ، وخرج من المنزل متجهما ·

كان (باب السنط) مثار تعليق الناس ، وما من ثلة من المارة تعبر واجهة المنزل حتى تبدا في التعليق على المنظر · وفعلا · فقد كان المنظر يبدو غريبا ومثيرا ·

مرة زار حينا سائح اوروبي يبدو انه من الاثرياء فقد كانت الفخامة تبدو عليه ، جاء « الخواجة » الى منزلنا وابدى لنا اعجابه بباب السنط ، وكان « محمود » قد وجد فيه مجالا خصبا لاستعراض لغته الاوروبية المتينة ، حقيقة اننا كلنا فرحنا ، لم يقطع علينا فرحتنا الا الاندهاش الذي بثه فينا السائح عندما عرض علينا شراء الباب ورفضنا بيعه ببساطة شديدة واقترحنا على السائح ان يذهب ويشتري مثل هذا الباب ووعدناه بمساعدته في الحصول عليه · اصر « الخواجة » على شراء هذا الباب بالذات ، ولكننا رفضنا هذه العملية ، ازداد اصرار السائح ، احمر وجهه الاحمر ، وصار يعلن انه سيشتري الباب ، وصار يعرض في

الاثمان ، وكان باب السنط مطروح في مزاد علني ، والسائح يزايد نفسه الف ·· الفان ·· ثلاثة الاف ، ذهلتنا وافقنا ، فصرفناه برفق شديد ، وما كان يدهشنا لدرجة الحنق موقف السائح الذي بكى كثيرا · وظل اسبوعا كاملا ياتي الى حينا ويظل يتامل الباب ، عيره أطفال الحي بالجنون · وصاروا يزفونه : المجنون ·· المجنون ·· لكنه لم يفهم ، بعد هذا الاسبوع صار السائح وموقفه شارة اعتزاز بالباب ·

عام مر ··

« نفيسه » كانت قد سافرت الى زوجها، « كامل » التحق باحدى جامعات (الاتحاد السوفيتي) ليدرس الطب · « ياسر » هو الاخر سافر الى (لندن) ليدرس الفلسفة في احدى الجامعات الانجليزية ·· والمهندس عاد لصحبة « محمود » ، وظل يستحثه على ازالة باب السنط ويبدو انه قد تمكن من اقناعه هذه المرة اقناعا تاما وايجابيا تحمل الينا قراره بازالة الباب كامر نهائي · بكينا له ، تشفعنا له · حتى خادمنا « الامين » بكى له ، حتى تورمت اجفانه ولكنه اصر على ازالة الباب ·

وفي صباح اليوم التالي للقرار وكانت الكابة تملؤنا ، جاء عامل مفتول العضلات يبدو انه يتقن مهنة التدمير جيدا ، وامسك بالمعول ليتاكد من سلامته ، او ليعلن لنا بداية عملية الهدم الحزينة · امسك بالمعول وضرب الضربة الاولى في الحائط ، فقد كان الباب راسخا ولابد من تهديم حوائطه واعمدته حتى يتسنى اخذه من مكانه · وجاءت ضربة العامل في الحائط · انغرست في الجدار وفي اعناقنا · بينما العامل يستعد ليضرب ضربته الثانية ، كان (جرقاس) الكلب الابيض الكبير قد هجم عليه ومزق سرواله وعض قدميه · ولولا ان تدخل بعض المارة فنهروا الكلب ورموه لكان (جرقاس) قد مزق الرجل شر ممزق وقبل ان يفيق الرجل من ذهوله كان قد بدا عملية الهروب ·

ولما كان « محمود خير السيد » مصرا هذه المرة فقد احضر عاملا ثانيا كانت عضلاته أشد فتلا من عضلات زميله السابق ، وكانت تبدو عليه ثقة هائلة بنفسه ، عرفنا هذا لانه كان يدندن باغنية لم نفهم كلماتها ولكن لحنها كان راقصا ، حمل المعول وضرب ضربة في مكان الضربة السابقة ولكنه قبل ان ينزل ساعده كانت القطة السوداء قد ارتطمت بوجهه وقامت بتشليخه فوقع والدم ينزف من وجهه ·

عندما علم « محمود » بهذه الحقيقة قرر ان يحسم الموقف فيقتل القطة ، ظننا انه يمزح وانها فورة غضب اخرجته عن طوره ولكنه احضر قطعة من الحديد ووجهه يتطاير منه الشرر وظل يبحث عن القطة ، كان منفعلا لدرجة انه كان يرفع الاحذية والمناضد باحثا عن القطة ، وكل تصرف يبدر منه يفوق تصرفه السابق حماقة ، اخيرا اهتدى الى القطة فرماها بقطعة الحديد الضخمة ولكنها افلتت ،



حمل القطعة مرة أخرى وظل يتربص بالقطة ، ظل يجري خلفها بكرشه المزدحم مما يثير الضحك حتى أطفاله الصغار ضحكوا عليه حتى ظهرت نواجذهم وكان هو يظن أنه استطاع أن يلحق بالقطة · كان يرميها بقطعة الحديد وكانت تفلت من الضربة وكنا لا نملك ازاء هذا الا ان نصفق للقطة ونزداد ضحكا عليه · تعب محمود واخذ يلهث فلعن القطط وجلس واخذ يهدأ تدريجيا بين ضحكنا وضحك أطفاله · قرر أن يترك القطة في حالها وأن يترك باب السنط كما هو ·

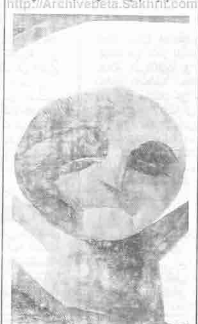
في ذلك اليوم كانت اسرتنا في رحلة ، لم يكن بالمنزل سوى الخادم (الامين) ·· جاء رجال مسلحون ، هدموا الجدران عندما عدنا وجدنا باب السنط قد ازيل ووجدنا على الارض بابا من الحديد أنيق الشكل فاقع الطلاء ذهلنا : بحثنا عن الخادم فوجدناه مقيدا · وجدنا « جرقاس » ميتا بضرب شديد · ورأينا القطة تتلوى أمام قطع من اللحم المسموم فهي ايضا قد اغتيلت ، قمنا بحل وثاق الخادم وسالناه بعد أن افاق ولكنه لم يرد على استفسارنا بل صاح مذعورا : (باب السنط) ، وخرج جاريا ، وجدنا الخادم قد سبقنا الى مخفر الشرطة وأدلى بأوصاف الجناة · قيد البلاغ ضد مجهول وعدنا الى بيتنا ·

الفراغ والوحشة ديكور منزلنا الدائم بعد (باب السنط) · لكم اشتقنا لازيزه الحالم ، لم نتعاطف مع هذا الباب الجديد ·· قبعنا داخل المنزل لاننا نكره أن نقابله عند الخروج · وهربنا منه لاننا نكره ان نقابله عند الدخول · لم يكن يعجب بهذا الباب سوى « سلام » طفلنا الصغير · لم يشهد زمن باب السنط السمح وكان يردد مزهوا وعلى الدوام : (بابنا أجمل ابواب حينا) اما (الامين) الخادم فقد كان اكثرنا وحشة فترك المنزل منذ أيام لا نعرف عددها ولا نريد ان نعرف ، ولابد ان يكون جدنا قد غضب في قبره بشدة ·

سنوات اربع مضت ولم يكن فيها سوى الحنين الى (باب السنط) · وفي ذات مرة وعندما كان الاصيل يزور حينا والاحياء المجاورة وقفت عربة (كارو) امام المنزل وكان يقود العربة « الامين » خادمنا الامين ، وقفت امام بيتنا ، أسرع الطفل « سلام » وكان اول من رآه ينبيء الاسرة بوصوله ، كنا كلنا أمام المنزل في استقباله ، دهشتنا اتسعت عندما حاول « الامين » انزال الباب (باب السنط) · جرينا نساعده وحملناه معه بشوق كبير وانتماء ، حملناه كالحمامة الوديعة ، ادخلناه البيت نتأمله ونلمسه · انه نفسه ــ نفس بابنا · ذاته هو · ونسأل « الامين » : اين عثرت عليه · فكان يرد ضاحكا : عثرت عليه في آخر السماء ، ويصر على أن يكون هذا رده مهما الححنا عليه في السؤال ·

وللحق كان « محمود خير السيد » نفسه فرحا · وكان يبدو كأنه اكثرنا اشتياقا للباب ·· اقمنا احتفالا وغنينا له ، وشاركنا شباب الحي الابتهاج ، حقيقة انه قد فرح كل سكان الحي بعودة الباب فهم ايضا قد افتقدوه ·

وجاء موعد تركيب « باب السنط » محل « الباب الجديد » · واحضرنا عاملا وكنا



نتأمله بحب وهو يشرع في ازالة الباب الحديد · لم نكن في تلك اللحظة نذكر « سلام » طفلنا الصغير ، كان قد تسلق حائط الطابق الثاني · التفتنا اليه فجأة لانه نبهنا بصياحه كان قد صعد الى قمة المنزل وصار يصيح متشنجا باكيا : اذا ازال هذا الرجل الباب فسأسقط نفسي من هنا ·

لم يكن أمامنا الا أن نوقف العامل وصرنا نعد الطفل باننا لن نهدم الباب وعليه ان ينتظر ، تجمع المارة داخل وخارج المنزل يتطلعون وبمساعدة رجال المطافيء استطعنا انقاذ الطفل · لما سالناه عن الاسباب التي دعته لفعل هذا اجاب باقتضاب عنيد : لا يمكن ان يعود الباب القديم محل الباب الجديد · شرحنا له قيمة الباب الاثرية والتاريخية ، لكنه رفض حتى الاستماع لكلامنا ·

اقتنعنا اخيرا بانه يكفينا تأمل هذا الباب وصرنا في كل امسية نضع اسرتنا ومقاعدنا قرب (باب السنط) ونظل نتسامر ونحكي الحكايات عنه وعن جدنا ، ظل الخادم (الامين) في ذروة النشاط والانبساط وفرحنا جميعنا لكن الطفل « سلام » كان يسب باب السنط دائما ·

في صباح هاديء احسسنا برائحة حريق تنبعث من مكان ما في البيت ، ثم رأينا دخانا يتصاعد فهرولنا نحو مكان الحريق · وجدنا النار تشتعل في « باب السنط » والطفل (سلام) واضعا يده اليمنى على خاصرته وفي يده اليسرى (سيجارة) مشتعلة وعلى ثغره ابتسامة باهتة ومتحدية · وقفنا نحدق في هذا المشهد ببلاهة · افواهنا مفتوحة ولا نقوى على الحراك ، وما شرخ علينا ذهولنا الا الخادم (الامين) فقد تقدم صوب « سلام » وبادره بضربة قوية على وجهه فوقع الطفل فركله بقدمه على وجهه وكاد يقضي عليه ، لولا أن تدخلنا في آخر لحظة · وهرب الخادم بعد أن كاد سلام أن يموت ·

الخادم هرب ·· ومن قبل ماتت القطة السوداء ·· ومات (جرقاس) الكلب الابيض الكبير ·· ومازال (باب السنط) يحترق ·



« فى مقالين سابقين فى هذا الموضوع شرحت السمات الاساسية للاستعمار البرتغالى والفترة التى شهدت أوج شراسته وانتصاراته فى الهند كما فى الخليج حتى سنة ١٥٢٩ حين فشل فى اخماد ثورة البحرين ، وسمينا فترة العقدين الرابع والخامس من القرن السادس عشر بفترة بداية النهاية ، ثم عرضنا للاحداث الناتجة عن تعاظم قوة العثمانيين البحرية وتلاحم السكان الوطنيين معهم مما حقق انتصارات آذنت بأفول نجم أولئك البغاة النهابين الذين لم يشهد تاريخ الاستعمار الاسود مثيلا لهم فى القسوة والتعصب وسفك الدم » .

ولا تخلو المصادر الغربية من روايات موضوعية عن سير الاحداث فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، وشتان بين مجموعة المعلومات المقتضبة التى يوردها لوريمر عن حملة القائد التركى على شلبى ضد البرتغاليين عام ١٥٥٣ ، والتى يصف فيها القائد العثمانى بأنه قرصان متبجح وبين الوصف المثير لهذه الحملة وعلى الاخص فى مقال مجلة الجمعية الجغرافية لآسيا الوسطى ، ودعنى أنقل بالحرف الواحد ماجاء فى المجلة المذكورة بهذا الصدد « وبحلول النصف الثانى من القرن السادس عشر اصبح الاتراك يتحدون بقوة عنيفة سيطرة البرتغاليين فى الخليج ، فلم تكن الآمال الجياشة فى صدر السلطان سليمان القانونى بأقل من مطامح البرتغاليين بل قد كان يخطط لطردهم من كل المناطق الاسلامية امتدادا من الخليج وحتى غربى الهند وقد كان سليمان على حق فى تلك الآمال الواسعة فقد كان الاتراك أقرب الى قواعدهم من أعدائهم ، وكانوا أقل تأثرا منهم بعوامل المناخ والارض ، وكانت مشاعر المسلمين فى منطقة الخليج تتجه اليهم بالود والمساندة ، ولم يكن مضى على حكمهم طويل وقت بحيث تكون لهم أخطاء تنفر الناس منهم بعكس البرتغاليين الذين كانوا يستأثرون بأكبر قسط من البغض والغيظ .

السلطان علي شلبي

ثم يأتى المقال على ذكر على شلبى الذى يتجنى لوريمر عليه فيقول « وفى عام ١٥٥٣ عين السلطان سيدى على شلبى أميرا للاسطول التركى وأمره باستنقاذ السفن التركية التى كانت جنحت تجاه البصرة أيام بيرميك . وكان على انسانا ممتازا وشاعرا ومؤلفا فى الشئون البحرية ومقاتلا فذا ، ولحسن الحظ فقد ترك كتابا عن رحلاته ومخاطراته فى البحر . وقد توجه

من حلب الى البصرة بالطريق البرى الطويل ، وتسلم امرة الاسطول التركى من مراد بك حاكم القطيف السابق ، وبعد ان استكمل تجهيز السفن تحرك من البصرة فزار موانىء بوشهر والقطيف والبحرين ومكث فى الاخير فترة من الوقت حيث استضافه الرئيس مراد ، الذى كان يحسب حسابات كثيرة لرضا البرتغاليين ،وقد حاول جهده أيضا فى استرضاء على شلبى وطاف به على الينابيع العذبة المتفجرة من البحر المالح ، ولكنه كان يراوغه اذا ما سأله شلبى عن معلوماته بشأن أسطول البرتغاليين • غير انه بعد أن فصل من البحرين مالبث ان تأكد من تجمع قوات البرتغاليين البحرية قريبا من مسقط فى أربع وثلاثين سفينة غير ان على لم يبال بالتفوق العددى الكبير للبرتغاليين ، فاقدم بكل شجاعة المحارب المؤمن على مهاجمة سفن الاعدام ، وفيما كان يتلقى قنابلها ويقذفها بمثلها كان يندفع نحوها ببسالة نادرة ، وحين أصبحت المسافة الفاصلة بين المتحاربين مسافة قصيرة راح المحاربون يتبادلون التراشق بالسهام والحراب ، واخيرا التحم الفريقان التحاما تاما ودارت معركة رهيبة بالسيوف والاسنه خسر فيها الفريقان خسائر دامية جدا، وقد حطم للاتراك خمس سفن ، ونزل بعض جنودهم على الساحل فتلقاهم اخوانهم من المواطنين العرب بالاحضان وبذلوا لهم كل عون ممكن ، ثم عاود الاسطول التركى تجمعه وواصل مسيرته باتجاه الجنوب فى الخليج.

ان الامر الذى يتجنبه معظم مؤرخى هذه الفترة هو الاشارة الى ظاهرة الاخوة الاسلامية ، والحوافز الجهادية فى قتال البرتغاليين سواء من جانب الاتراك أم العرب ناهيك عن التعمد المقصود فى بعض الروايات الغربية لقلب الحقائق فى وصف الابطال الذين وقفوا بشموخ وعزة فى وجه العدوان البرتغالى • وانه لصحيح أن الهجمات التركية البحرية على رغم ما اتسمت به من الشجاعة لم تستطع أن تجلى البرتغاليين عن الخليج ، ولكنها مع ذلك كانت أساس التحدى الذى انبعث فى المنطقة مجددا للخلاص من وبأ البرتغاليين وعلينا فى هذا المجال أن نشير الى حقيقتين هامتين أولاهما أنه كان على الدولة العثمانية أن تتصدى للعدوان الصليبى على شمال افريقيا ، اذ أنه لولا ذلك التصدى لما كان سقوط غرناطة وخروج المسلمين من الاندلس هو خاتمة المطاف فى مأساة الجناح الغربى لدولة الاسلام •• لقد كان مسرح الصراع اكبر بكثير من رقعة الخليج الضيقة بالغة ما بلغت أهميتها • لقد أبرز الدفاع عن المغرب بطولات بحرية عثمانية ، وكان ذلك الدفاع جديرا بأن يلاقى حظا أوفر من النجاح من جراء الكثافة السكانية الاسلامية فى شمال افريقيا ، وكونها أقرب الى تركيا من رأس الرجاء الصالح والمحيط الهندى وبحر العرب والخليج ، بل ان الاتراك فى الحقيقة لم يشكلوا تحديا واضحا للبرتغاليين الا حين وطدوا مركزهم فى اليمن من الجنوب وركزوا وجودهم فى البصرة وشمال الاحساء فى شمال الخليج • وعلينا أن نذكر أن الاتراك لم يكونوا أمة بحرية من قبل كما كان البرتغاليون وأنه كان عليهم الاعتماد على تعاون المسلمين معهم فى البلدان التى امتد اليها نفوذهم ، كما علينا أن نذكر أن البرتغاليين كانوا قد تمكنوا من ترسيخ أقدامهم فى الهند وأنشأوا فى جوا حكومة نائب ملك ، وغلغلوا فى مناطق غنية وواسعة من افريقيا الامر الذى جعل رقعة الصراع معهم واجبة الامتداد الى قطاعات واسعة من المحيط الهندى تشمل سواحل افريقيا الشرقية وسواحل الهند ومداخل الخليج من ناحية عمان ، كل هذا وهم لا يملكون وراء البحر الاحمر أية قواعد بحرية •

غارات مفاجئة

من أجل هذا كله كان اقصى ما يستطيع الاتراك تحقيقه هو شن غارات مفاجئة أو انتقامية اتسمت دائما



على شلبي الذي تجني لوريمر عليه !
غارات مفاجئة اتسمت دائما بالشجاعة.

بالشجاعة والمجازفة وكان منها قبل نهاية القرن السادس عشر غارتهم عام ١٥٨١ على مدينة مسقط قادمين اليها من ميناء مخا باليمن . والواقع انه لو قدر للوجود العثماني في الخليج أن يتبدىء ولو بمدة ربع قرن قبل الزمن الذى حصل فيه لانتهت الامور الى شيء مختلف جدا ، ولكن مجيء العثمانيين بنشاط ملحوظ بعد الثلث الاول من القرن السادس عشر انما تم بعد أن أنشبت البرتغال أظفارها في اقوى الممالك الاسلامية البحرية في الخليج الا وهى مملكة أو سمها ان شئت مشيخة هرمز التى كانت تبسط نفوذها على عديد من الجزر الهامة المجاورة واهمها قشم فضلا عن قسم كبير من ساحل عمان، ويمتد نفوذها عدا على البحرين شمالا بعيدا على ساحل مكران شرقا ، ولو ظلت تلك الدولة سلطة لكانت جديرة بأن تسند جهد الدولة العثمانية فى طرد البرتغاليين طردا حاسما مبكرا من الخليج . لكن البرتغاليين كانوا منذ سنة ١٥٠٧ في قدومهم من ناحية الساحل الافريقى قد حطموا شعبة هامة من الاسطول الهرمزى أمام جزر كوريا ـ موريا فى غارة مفاجئة انتهت بحرق حوالى أربعين سفينة لهرمز كما انهم قبل التوجه بخططهم الى هرمز الحصينة كما ذكرنا من قبل ارجعوا وحرقوا سلطوا ارهابهم الفظيع على الساحل العمانى التابع لهرمز ولا سيما موقع قريات الهام حيث أحرق فيما أحرق هناك اربع عشرة سفينة وكذلك حصل لمسقط رغم الامان الذى أعطاه البوكيرك للسكان المسلمين حيث لم ينج من الحرق لا مساجد المدينة ولا دورها ولا السفن الراسية فى مينائها ، وكذلك حصل لخورفكان ، ولم ينج غير صحار التى لم تتلكأ فى الاستسلام المباشر بعدما رأت ما حل بمسقط ، وبذلك أصبحت هرمز مقصوصة الجناحين كما قد يقال ، ولولا مقاومتها الباسلة باشراف « خوجا عطار » ذلك الرجل المحنك الشجاع الذى كان بيده زمام السلطة لما تفهم البرتغاليون منطق الحل الوسط فى هرمز الى أن جاء دور الشاه اسماعيل الصفوى فى التفاهم مع البرتغاليين مقابل اطلاق يده فى البحرين لكن هؤلاء الاخيرين كما رأينا بعد أن أفادوا من الاتفاق مع الشاه في احكام قبضتهم على هرمز ، فنالوا منها ما لم يكن نالوه بالحرب ، تقدموا الى البحرين ليحتلوها ويبنوا فيها قلعتهم المعروفة فى المنامة ، وليواصلوا جملة النهب بضرائب باهظة يفرضونها ، ويوقف عمل السفن الوطنية فى الخليج ، وبحمل الناس على شراء البضائع التى تجيء بها السفن البرتغالية ، وبفرض أتاوات وجزى باهظة ، وهى أمور أدت الى سلسلة الثورات المحلية فى كل من هرمز وساحل عمان والبحرين، والتي أعيد بسببها تدمير مدينة صحار ، واستعمار هرمز استعمارا مباشرا ، وفشل حملة البرتغاليين على البحرين الثائرة كما ورد تفصيل ذلك فى صدر هذا المقال .

واذا كانت جهود العثمانيين المتكررة والسكان العرب المحليين الذين سقطت مملكتهم البحرية الاولى فى هرمز للبرتغاليين قد فشلت في زحزحة البرتغاليين زحزحة حاسمة عن الخليج ، فما الذى أدى بتلك الامبراطورية الظالمة الى السقوط ؟ لقد اثبتت تجارب التاريخ فى فلسطين ايام الحروب الصليبية انه اذا ما تمكن الاخطبوط الاستعمارى الصليبى من انشاب مخالبه بعيدا وراء سواحل المسلمين البحرية فان رد الفعل القادر على زحزحتهم ينبغى أن تتجمع له قوى فى عمق الوطن الاسلامى ، ومن المعروف أن بداية الهجوم الاسلامى المعاكس الناجح قد ولدت فى اتابكية الموصل التى مالبثت أن امتدت حتى احتوت عمق البلاد السورية ثم مدت نفوذها فى مصر واكملت القوس الداخلى للمقاومة الناجحة التى بدأت زحفها من العمق الداخلى متقدمة



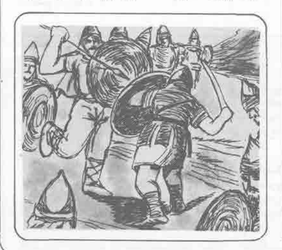
قيام الوجود البرتغالي على القهر العسكري، كيف طرد البرتغاليون من منطقة الخليج؟

بثبات الى الساحل حتى تمكنت من تحطيم سلسلة الدويلات اللاتينية في فلسطين وسواحل سوريا • كذلك كان لابد من قيام دولة في عمق عمان تستطيع أن توحد القوى في داخل البلاد وتوجهها الى العدو الواحد المشترك الا وهو البرتغال والحقيقة ان الآلام الرهيبة التي قاساها العمانيون على أيدي البرتغاليين سواء بتهديم المدن الساحلية ونهبها وحكمها واضطهادها ، أو بسبب التوقف المميت للتجارة العمانية التي ما فتئت هي العمود الفقري للاقتصاد العماني ، أقول ان هذه الآلام كانت جديرة أن تفرز على المدى الطويل الظروف الكافية لانجاح أماني العمانيين في طرد الواغلين على بلادهم ومصادر رزقهم • وكان هذا الذي أفرزته الآلام هو قيام دولة اليعاربة على أسس اسلامية محضة ، فان الاسلام كان وما يزال هو الدافع الاقوى والحاضن الامين لثورة المسلمين على الظلم والاستبداد • ويطول بنا الحديث كثيرا جدا لو تكلمنا عن مراحل نشوء الامامية اليعربية التي خلفت الدولة النبهانية التي كان العمانيون يعتبرونها ملكا عضوضا • ويجدون لذلك من الطبيعي أن تساوم البرتغاليين على عزة المسلمين ومصالحهم ومبادئهم الاساسية استبقاء لحكم كسروي هرقلي لا يحرك وجدان الفرد المسلم الحريص على دينه • واتما كان الحال فقد أجمع علماء البلاد وأهل الحل والعقد على مبايعة رجل أثبت تمتعه بشخصية فذة يدعى ناصر بن مرشد جعلوه اماما ورأوا فيه أملهم في توحيد البلاد ثم مناجزة أعدائها من البرتغاليين • والحقيقة ان هزيمة عمان أمام البرتغاليين كانت قد أضرت بسائر أجزاء ذلك القسم الواسع والهام من الوطن الاسلامي فقد كانت كل من الرستاق ، والنخل ، وسمائل ، وسمد ، وعبرى ، وأزكى وحصن الجابي ،ومنح، ومقنيات وغيرها ، بل سائر أقاليم البلاد ، بل حتى كل مدينة أو قرية كبيرة تحت حكم أسرة متنفذة فيها لا تقر لاحد سيادة عليها ، أما مناطق الساحل في صحار وقريات وصور ناهيك عن مسقط فكانت ترزح تحت الحكم المباشر الرهيب للبرتغاليين •

بل ان الامام اليعربي كان عليه أن يحارب داخل الرستاق نفسها بغض النظر عن اجماع علمائها على مبايعته للامامة ، ومن هناك راح يتقدم لضم داخل البلاد اليه منطقة بعد منطقة وبلدا بعد آخر ، ولقد يضطر لمعاودة جهده بعد انتقاضه من جراء قيام الثورات عليه من خلفه فيما هو يتقدم الى أمام نحو غايته في توحيد البلاد • وقصته في ذلك طويلة ومتعبة وتحتاج الى أن يفرد لها غير فصل واحد لسردها واستنتاج ما ينبغي استنتاجه منها ، وايما كان الحال فقد استطاع الرجل أن يجمع شمل قبائل عمان كلها تحت لوائه قبل أن يتوجه ناحية البرتغاليين •

وقبل أن نتحدث عن انتصارات الامام ناصر بن مرشد اليعربي على البرتغاليين تلك الانتصارات التي حققت في نهاية الثلث الاول من القرن السابع عشر وضعا أصبح فيه البرتغاليون يدفعون الجزية لامام عمان ينبغي أن نتحدث عن الظروف والتطورات التي أدت الى تدهور مكانة وقوة البرتغاليين عموما •

لقد سبق دفع البرتغاليين الجزية للعمانيين نصف قرن كامل مليء بالاحداث • ففي البرتغال نفسها ظهر التناقض الواضح بين مصالح القصر الحاكم ، ومصالح البرتغاليين كافة • لقد كانت حصة الاسد من الاستعمار تعود الى ملك البرتغال الذي كان يحتكر لصالحه الشخصي المتاجرة في قائمة السلع الاغزر ربحا الامر الذي جعله على المدى الطويل يفتقر الى قاعدة عريضة لها مصلحة في استمرار استثماراته بحكم المشاركة فيها • ولعل هذا الوضع كان مما سهل اندماج البرتغال مع اسبانيا في دولة واحدة في العام ١٥٨٠ أن لم يكن في البرتغال جماعة ترى مصالحها مهددة بذوبان الذاتية السياسية للبرتغال في اسبانيا •• بيد أن اسبانيا هذه تعرضت لحادث غير منتظر أسقط هيبتها تماما في اوروبا الغربية عندما جهزت اسطولا هائلا لغزو بريطانيا التي اصبحت





قلعة من قلاع البروتستانتية تهزأ بجبروت اسبانيا حامية الكثلكة فى وقت أصبح الصراع الدينى فيه بارزا فى اوروبا بعد مرور جيل على حركة مارتن لوثر ٠

وهكذا فان الوجود البرتغالى كله كان قائما على القهر العسكرى والقوة الباطشة سواء فى علاقاته بالشعوب المغلوبة فى افريقيا والهند والخليج ، أم فى داخل الكيان البرتغالى نفسه ومثل هذا الوجود المفتقر حتى الى مجرد الزعم بالاخلاقية أو الشرعية يظل وجودا عابرا وعرضيا ، وما كانت البرتغال بأشد شكيمة من التتار مثلا ، فقد ذاب أثرهم من قبل بسرعة لا تتناسب مع قواهم العسكرية ٠

ويمكن القول ببساطة ان الجيل الثانى من قادة البرتغال العسكريين وجدوا بكل بساطة ان أمر دولتهم كله أمر نهب وغصب ، ولهذا سارع الانحلال والفساد الى تصرفاتهم ، وانه لعجيب ان تتاخر مثل الشكوى المريرة التى نوردها آدناه على لسان أحد البرتغاليين حيث يقول فى فترة احتضار النفوذ البرتغالى فى الخليج ، ان دمار أحوالنا نابع من احتقار كبرائنا لصغارنا ، ومن طمع صغارنا طمعا أعماهم عن دعوة الوطن والشرف ٠ ان البرتغاليين قادرون على استرداد ما يخسرون ولكنهم عاجزون عن استبقائه ، وذلك هو بيت القصيد ، فانه اذا جاء الطالع الحسن بالغنيمة ، فان الحكمة هى التى تستطيع صونها » ٠

اذا قد كانت هناك ثلاثة عوامل جوهرية قد تبدو متباعدة ولكنها فى حقيقتها مترابطة ، وأدت رسالة واحدة هى اخراج البرتغال من مركزها الممتاز فى الخليج كمرحلة اولى ، ثم طردها نهائيا من هناك ٠ لقد بدا ضعف البرتغال كما ورد آنفا حوالى عام ١٥٣٠ ثم بدأ انحدارهم حوالى ١٥٨٠ ثم انتهوا الى مذلة دفع الجزية للقوى المحلية سنة ١٦٣٣ ولم يبق بعد ذلك الا الفصل الاخير وفيه نرى البرتغاليون يتشبثون بالحياة ، ويتوددون حينا الى القوى المحلية فى المنطقة ، وقد تبدر منهم حينا بوادر قوة ما تلبث أن تنتهى الى الهبوط ٠

أما هذه العوامل المحلية الثلاثة فهى الى جانب ما أشرنا اليه من قيام الامامية اليعربية فى عمان ، ونشاط العثمانيين البحرى المتقطع ، ظهور قوى أوروبية مستجدة فى المنطقة متمثلة بالتحديد فى كل من هولندة وانجلترة ٠ وقد كان كل من هذين البلدين بحريا ، يتعامل مع البحر ومع التجارة البحرية ٠ وربما عزى ظهورهما على مسرح التجارة فى البحار الشرقية الى سبب مباشر واحد هو هزيمة اسبانيا المذلة فى القنال الانجليزى عام ١٥٨٨ فى معركة الارمادا الفاصلة ، حين تمكنت السفن الانجليزية الخفيفة السريعة من النيل من اسطول اسبانيا ذى السفن الضخمة الثقيلة ، واحباط هجومها على الساحل الانجليزى ، وحين عملت رياح المحيط العاتية التى هبت بعكس الاتجاه الذى كان يتمناه الاسبان فأعانت

ورق الكتابة له تاريخ

● عرف الصينيون الورق سنة ١٠٥ م وكان يصنعونه من الخرق والقنب وشباك الصيادين وبعض النباتات والقطن ٠٠ وبقيت صناعته سرا لا يعرفه غيرهم من العالم طوال ستة قرون ٠ ثم عرفه عنهم أحد امراء سمرقند الذي انشا مصنعا للورق عام ٥٧١م وفي عام ٧٩٣ استقدم هارون الرشيد ببعض صناع الورق من سمرقند الى بغداد فاسسوا اول مصنع للورق هناك ٠

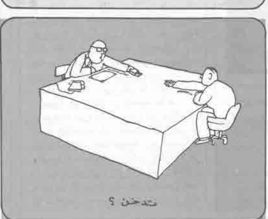
ثم انتقلت الصناعة الى دمشق التي صارت تورد للعالم الغربي كل ما يحتاج اليه من الورق ٠٠ ثم دخلت صناعة الورق الى مصر وحلت محل البردي ، ومنها انتقلت الى شمال افريقيا ، والاندلس حيث انتشرت بها عام ١١٠٠م ومن هناك سارت ببطء الى اوروبا فدخلت ايطاليا عام ١٢٧٦ وانشىء أول مصنع للورق في المانيا عام ١٣٩١ وفي فرنسا عام ١٤٩٤م ٠

– كثيرا على تحطيم اسطولهم ، وتشتيته وتحطم الكثير من سفنه على السواحل الصخرية فى غير مكان واحد من السواحل الانجليزية ·

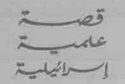
بعد ذلك الحادث انحلت عرى الارتباط بين الاراضى الواطئة الهولندية وبين اسبانيا التى كانت تتولى حكمها على كره من سكانها البروتستانت ، واشتد طمع الدول البحرية الاوروبية فى منافسة اسبانيا وزحزحتها من مكان الصدارة فى شئون التجارة · وقد كان مسرح التنافس بين هذه الدول الثلاث أوسع وأرحب من مجرد رقعة الخليج أيا كانت اهميتها فقد بدأ أول اصطدام بين الهولنديين والاسبان فى مناطق الملايو فى بداية القرن السابع عشر ، وبعد صراع دام أربعين سنة تقريبا أقرت البرتغال رسميا عام ١٦٤١ بأنها لم تعد تدعى لنفسها حق احتكار تجارة التوابل فى البحار الشرقية وفى ذلك الوقت كان التجار الهولنديون قد أنشأوا لهم وجودا تجاريا فى الخليج ، كما كان الانجليز قد فازوا فى أول صدام بحرى بينهم وبين البرتغاليين قرب جاشك عام ١٦٢٠ ، علما بأن أولى شركاتهم التجارية الشرقية لم يكن مضى على تأسيسها اكثر من سبع عشرة سنة ، وان كان طلائع رجالاتهم الباحثين عن تلك التجارة قد وصلوا الى الشرق ، وجاسوا خلال المنطقة منذ الوقت الذى ضمت فيه اسبانيا البرتغال اليها قبل عشرين سنة من ختام القرن الثامن عشر ·

لقد كانت القوى البروتستانتية الجديدة فى الشرق أعمق ادراكا لمصالحها التجارية ، وأحسن تأهيلا للتعامل مع سكان البلاد الشرقيين ، وكانت لها منذ البداية مخططات قائمة على الدراسة وبعد النظر ، وليس فى ظاهرها على الاقل شىء من عنف البرتغاليين وشراستهم ، ولا من تعصبهم وغطرستهم واندفاعهم · وكانت على الرغم من التنافس فيما بينها تدرك جيدا المواعظ المستفادة من تجارب البرتغاليين ومن تجاربها على السواء ولعل من الاصح والاكثر امتاعا أن ندخل الفصول الاخيرة من وجود البرتغاليين فى الخليج ضمن حديثنا عن الوجودين الانجليزى والهولندى فقد عمل كل من الانجليز والهولنديين على تصفية البرتغاليين بالتعاون مع القوى المحلية فى فارس وعمان على السواء · وسيرد اهم ما بقى من هذا البحث الوجيز عن تاريخ البرتغاليين فى الخليج ضمن حديث أطول بالضرورة عن تقدم الانجليز وسياستهم المحكمة التي أدت على المدى الطويل لا الى تصفية الوجودين البرتغالى والهولندى وحدهما ولكن سائر القوى المحلية فى الخليج ، مما جعل بريطانيا سيدة الموقف كله فى الخليج خلال معظم القرن الماضى وأوائل القرن الحالى أيضا ، وفى معظم المنطقة الى أبعد من نصف القرن العشرين الحالى ·





تدخن ؟





عرض وتعليق :

محمد عبدالله السريح

حتى قصص الخيال العلمي لم تنج من الاستغلال بواسطة الاسرائيليين · فقد قرات قصة وردت في كتاب : مائة عام من الخيال العلمي والذي قام باعداده دامون نايت ·· كتبها كاتب يدعى نورمان سبنراد واغلب الظن انه اسرائيلي والقصة بعنوان « المعادل » ··

وقد بذل فيها كاتبها جهدا فائقا وكتبها بعناية بالغة وذلك حتى تؤدي غرضها ·· فحوادثها صيغت لتجذب الانتباه الى الواقع الاسرائيلي والذي يصوره الكاتب بانه في موقف الدفاع عن النفس لانه محاط بالعرب من كل مكان وان هؤلاء الاثنين مليون اسرائيلي مواجهون بالدفاع عن انفسهم ·· وقد ركز الكاتب على صراع افترض انه قائم بين علماء اسرائيل والتي تهتم بالدفاع عن بقاء اسرائيل ··

فالدكتور « لاراس » يعمل في محطة تجارب نووية في صحراء النقب وقد تمكن من صنع قنبلة خطيرة هي القنبلة التحولية ولكنه يتردد في استعمالها لاسباب انسانية بينما يحاول الكولونيل « شاريت » اقناعه بتصنيعها حتى تكون قوة لاسرائيل ضد اعدائها العرب ··

وساحاول ان اعلق على فقرات هذه القصة الموجهة وانا استعرض نصها ولا اظن ان مثل هذه الاشياء تفوت على القارىء ، ولكني قصدت ان اوضح ان الاعلام الاسرائيلي منتشر بصورة شاملة في جميع انواع الانتاج الفكري العالمي ويجب ان نتنبه له والا نقلل من شانه ··

النص

لقد كانت محطة التجارب الاسرائيلية صغيرة وغير ظاهرة وقد قصدت ان تكون بهذا الشكل ـ تتكون المحطة من بناية ذات خمس طوابق من الاسمنت صممت على شكل خماسي ولها سور من الاسلاك الشائكة · حقيقة لقد كانت المحطة تحرس بعدد قليل من الجنود ولكن بما انها في قلب صحراء النقب كان وجود الجنود ضروريا حتى بالرغم من ان المحطة قد اخفيت تحت ستار انها محطة ابحاث زراعية ··

مبان صغيرة متعانقة في خضم بحر من الرمال والصخر ·· قليل من الجنود وقليل من العلماء ومجموعة من المعادل وتلك هي المعادل الاسرائيلي لمشروع مانهاتن ·

لقد كانت ايدي الدكتور سيجموند لاراس ترتجفان ولكن عينيه لم تظهرا هذا الارتجاف بل كانتا ثابتتين على ذلك الصندوق المعدني الموضوع على منضدة المعمل ـ لقد كان في حجم حقيبة السفر ووزنه اقل من مائة رطل ··

ان هذا هو التصميم البدائي فقط ·· لكنه في نهاية الامر سيتقلص حجمه الى خمس هذا الحجم ـ كيف كان حجم القنبلة الذرية الاولى ؟؟ لابد انه كان يزيد الاف الارطال · اما الان فان القنابل الذرية التي تصنع يستطيع انسان واحد ان يحملها ·

وقال الدكتور « لاراس » في نفسه وهو يضغط على شفته السفلى :

ـ ماذا فعلت ؟

كيف تحقق كل هذا ؟؟

لقد كانت البداية بريئة جدا ·· فقد بدا باكتشاف مجموعة من الاجسام التي تدور داخل المجرات السماوية ·· وهذا بالطبع ليس له اي علاقة بالاستخدامات العسكرية ··

ولكن هذه الاجسام وجد انها تعطي طاقة خيالية أكثر من اي تفاعل آخر حتى في حالة تفاعل المادة واضدادها ··

لقد كانت معضلة على جانب كبير من البراعة ـ شيء قاد الى شيء آخر ·· ما هي هذه المواد المستعرة في الدوران ·· واهم من ذلك كيف تعطي هذه الطاقة ؟؟



لقد كانت هذه من اكثر اعمال الدكتور « سيجموند لاراس » اثارة ٠ لقد كانت كل حساباته وتضريباته تشير الى احتمال واحد فقط وهو التدمير الكلي للمادة التي تؤدي الى انتاج هذه الطاقة ٠٠

ولكن ما الذي يجعل التدمير الكلي للمادة ممكنا ؟ ما هي القوة التي تحول كل المادة الى طاقة ؟؟

لقد كانت هذه الاسئلة تدور في ذهن الدكتور « لاراس » وهو يتامل سلوك المادة داخل حقل تفاعلي ٠٠

هل من الممكن استحداث ذلك الحقل اليكترونيا ؟؟

ونشر الدكتور لاراس ثلاثة ابحاث عن فيزياء الفلك وهو يعلم ان ابحاثه ستكون مكللة بالنجاح لو فهمها خمسون عالما في جميع انحاء العالم ٠٠

ولكن الذي جعل العسكريين يهبطون عليه مثل عقارب جوعى هو جملة جاءت في احد ابحاثه والتي قال فيها « ان هذه المعادلات الحسابية توضح انه بالامكان الحصول على طاقة عظيمة زهيدة طالما ان الناتج ياتي من تحطيم المادة نفسها بينما لا يكلف شيئا يذكر ٠ » ٠٠

وهذا يعرف في عرف العسكريين قنبلة رخيصة ٠٠

« وماذا تقول يا دكتور لاراس بهذا العرض من الحكومة ؟ ان الحكومة ستمول هذه الابحاث وستجعل اموالا طائلة في متناول يدك لتواصل ابحاثك في مجال فيزياء الفلك ـ واننا سنبني لك معملا لطيفا صغيرا في قلب صحراء النقب في الوقت الذي تتولى فيه قوات الامم المتحدة حمايتنا ضد قوات الفدائيين ٠٠ » ٠

وقد بدأ الموضوع بريئا في البداية ٠٠ انها الفرصة الجميلة ان يعمل الانسان في سلام ويواصل ابحاثه في هدوء وقد كانت النتيجة هذا الصندوق المعدني ٠

فماذا تسميه يا لاراس ؟؟ هكذا خاطب لاراس نفسه ٠٠ ان له اسما واحدا واياك ان تخدع نفسك ٠ انها قنبلة التحول والتي تساوي قنبلة هايدروجينية ٠٠

ان نظرية اينشتاين في النسبية جاءت بمعادلة رهيبة وامكن تطبيق حساباتها وتوليد طاقة هائلة ٠ ان المعادلة معقدة متشابكة لكن الالة التي استحدثها الدكتور لاراس بسيطة ورخيصة ـ كل ما تحتاجه هو رطل من اي مادة في حقل الكتروني في مفاعل ذري ـ ثم بعد ذلك تضع يدك على الزر فيتحول كل ذلك الوزن الى طاقة مدمرة ٠٠ تقضي على المئات من الكيلو مترات وتحيلها الى فناء وخراب ٠٠

ـ لقد عملتها يا دكتور لاراس ؟؟ هكذا جاء صوت الكولونيل « شاريت » عندما كان يدلف الى الغرفة ٠٠

وقبل ان ينتظر جوابا من الدكتور لاراس دنا منه ٠ لقد كان شاريت رجلا طويلا قويا في السابعة والثلاثين من عمره يلبس قميصا ورداء كاكيا ويتدلى مسدسه من جانبه ٠٠

لقد عملناها ٠٠

هكذا اجاب الدكتور لاراس وهو يتنهد وقد بدا حجمه صغيرا بالنسبة لحجم الكولونيل شاريت ٠٠

ـ انها صغيرة جدا ٠٠

ـ ويمكن ان تكون اصغر من ذلك ، اجاب لاراس ٠٠ وتنهد الكولونيل شاريت بارتياح وهو يقول :

ـ لقد انقذتنا ٠٠ هل تدرك ما فعلته يا دكتور لاراس ـ لقد انقذت اسرائيل ـ

اننا نعرف ان المصريين يملكون صواريخ موجهة واننا على ثقة من انهم بعد سنوات قليلة سيملكون قنبلة ذرية • اربعون مليونا من العرب مسلحون بالصواريخ النووية ضد مليونين منا • اي فرصة نملكها نحن معهم • سيذبحونا وسيلقون بنا في البحر عاجلا ام اجلا •• اما الان •••

– اما الان •• فاننا يمكننا ان ندفع بهم الى البحر • والان يمكننا ان نقوم نحن بعملية الذبح •• اليس هذا هو قصدك ••

– اننا لا نعرف تكاليف الواحدة ولا نعرف كم يكلفنا ذلك اذا بدانا في انتاج ضخم من القنابل ••

– لا يكلف ذلك كثيرا •• الفين او ثلاثة الاف من الجنيهات بالكثير ••

وصاح شاريت :

الا ترى ؟؟ يمكننا الان ان ننتج المئات من هذه القنابل ويمكن تصميمها في صورة اصغر من هذه ويمكن ارسالها بالبريد – ان اسرائيل اصبحت الان قوة عالمية ••

– قوة عالمية : تساءل لاراس – هناك مليونان من البشر في قطر صغير لا يمكن ان تفارقه الطائرة النفاثة وهي تنحرف في مدار قدره مائة وثمانين درجة دون ان تكون قد فارقت حدود القطر – انها لقوة عالمية حقا : يا عزيزي الكولونيل هناك سبعمائة مليون صيني في هذا العام ومئتا مليون روسي وعدد مماثل من الامريكيين – هذه هي القوة العالمية وابتسم الكولونيل شاريت وهو يستمع الى اعترافات الدكتور لاراس قائلا :

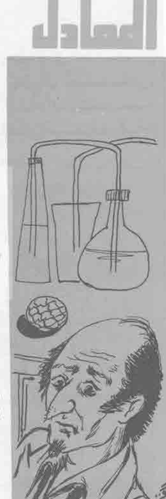
– كما يقول الامريكيون ان القنبلة التحولية هي القوة التعادلية الكبرى ماذا يعني حجم السكان بالنسبة لحجم الارض وثرواتها ؟؟ اننا ندرك انه بانفاقنا عددا من المليونات من الجنيهات نستطيع ان تكون عندنا قوة مدمرة تعادل ما عند روسيا وامريكا ناهيك عن العرب • ان التكنولوجيا هي اساس القوة الان ••

– ان تقدم على صنع قنبلة واحدة فان هذا سيقضي على مركب نقص فينا من ناحية العدو والحجم • ان اسرائيل الان قوة عالمية • وهذا ليس حلما ولكنها الحقيقة المجردة واعترض لاراس قائلا :

– انك تتحدث بلسان كولونيل ، ان اسرائيل قد استطاعت ان تصنع هذه القنبلة التحولية – ولكن في مقدور دول اخرى صغيرة ان تتحصل على هذه القنبلة مثل السويد وبلجيكا وايطاليا والبرازيل ونيجيريا واليابان واندونيسيا وتركيا •• ودول اخرى مثل كوستاريكا وليبيريا ولاوس ولكسمبرج ومن يدرى فربما في يوم من الايام تستطيع موناكو وسان مرينو ونيبال وبوتان وسكيم من الحصول على هذه القنبلة لقد اصبحت القوة العالمية اليوم رخيصة جدا لا تكلف الا بضع مليونات من الجنيهات ••

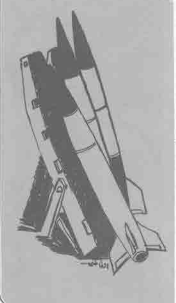
ورأى الكولونيل شاريت ان هناك صوابا في كلام الدكتور لاراس فان القوة العالمية بعد اكتشاف هذه القنبلة ستصبح عديمة المعنى وستعنى فقط قدرة كل دولة على تحطيم الدولة الاخرى ••

انك على حق ولكن على الاقل فنحن الان في وضع مماثل للعرب لقد عشت طيلة عمري تحت ظل بنادق العرب والان لاول مرة نشعر اننا اقوياء مثلهم ونحن لا نريد ان نعتدى على اي انسان ولكننا نقاتل في سبيل ان نعيش والان نستطيع ان نقول اننا تخلصنا من ذلك الشعور الذي يجعلنا كالنمل التي يخاف ان تدوسه الافيال ••



نعم: إسرائيل ضعيفة ولكن لأسباب لا يذكرها الكاتب

وماذا أيضا عن الحرب العدوانية التوسعية التي درجت عليها إسرائيل؟!



ولم يوافق لاراس على ذلك فقال : انني لست امثل نفس مدرستك فانا قد درست في مدارس متعددة وشهادتي من هيدلبرج وقد قمت بابحاث في بلسين ـ ايها الكولونيل ان الناس كلهم ليسوا مثلك او مثلي · فهناك من يفضل ان يمارس القتل على ان يعيش · خذ هتلر مثلا ·· كم دولة في العالم ؟؟ لابد ان يكون في هؤلاء المائة مليون مجنون كهتلر يسعى لدمار هذا العالم لو استطاع ان يمتلك هذه القنبلة التحولية ··

فاجاب الكولونيل :

ـ وماذا تريدنا ان نفعل ؟؟

اجاب الدكتور لاراس بحدة :

ـ انس انك رايت هذه القنبلة ـ فلنحطم هذا المكان ودعني احرق مذكراتي ·· واحطم التصميم البدائي الذي عملته ·· ولننتظر حتى يتحرر الانسان من بربريته وحتى تزول الحدود بين الدول وتصبح هناك امة انسانية واحدة ··

اطرق الكولونيل شاريت برهة ثم قال :

وماذا يحدث لنا ؟ ان العرب يستعدون لسحقنا ·· وانهم سيسحقوننا وماذا يساوي مصير اثنين مليون شخص بالنسبة لمصير العالم ··

ويقول شاريت :

ـ اليس لنا الحق في ان نعيش ؟ كلنا قديسين هل تتوقع منا ان ننتظرهم ليسحقونا ويحطمونا ونحن نملك السلاح الذي نستطيع ان ندافع به عن انفسنا ؟··

وتنهد لاراس ثم قال :

ـ اليست هذه الحجة يمكن ان تقال بواسطة الهنود او الباكستانيين او السود في جنوب افريقيا او سكان التبيت ؟؟؟ ··

وانفجر شاريت محتجا :

ـ نحن نملك الحق في ان نعيش ـ وكذلك الكمبوديون والتبتيون وسكان انجولا ·· هل تظن انهم سيتجاهلون السلاح الذي سينقذهم من اجل الانسانية ؟

وهنا شعر لاراس ان قواه قد خارت وانه هزم هل شعر اينشتاين بمثل هذا الشعور بعد قنبلة هيروشيما ؟ والتفت لاراس الى شاريت متوسلا : اطلب منك طلبا صغيرا ·· الا تخبر تل ابيب بهذا الامر حتى تفكر فيه جيدا ·

واجاب شاريت حسنا ·· سافعل ذلك ··

ولم يستطع لاراس ان ينام ـ وجال ببصره في سماء الصحراء القاتمة ـ الاف النجوم تظهر بعيدة باردة والارض عارية وصخرية ـ ارض قاحلة لا ترحم ـ صحراء النقب ـ ملتهبة بالنهار وخطيرة بالليل ··

لقد كان مسرورا لان معمله يقع خلف خطوط الهدنة مع جماعة من قوة الطوارىء الدولية ولكن الفدائيين كانوا دائما بالمرصاد يمارسون القتل · وقد شعر بتقدير لشاريت الذي ولد وتربى في هذه الارض التي يتحتم على اهلها ان يقاتلوا اذا ارادوا ان يعيشوا ـ لقد شعر بعطف نحو شاريت الذي عاش على هذه الارض القاحلة الحاقدة ··

لقد كانت ارضا انبتت محاربين ـ ان على الشخص ان يحارب وذلك لكي يعيش ـ هناك بندقية بجانب الشخص طالما كان الشخص حيا · ولهذا فلا عجب اذا كان شاريت يريد القنبلة ـ فاجلا او عاجلا سيكون العدو (العرب) قويا بمجرد ان تقع يده على سلاح نووي ··

ان تلك النجوم التي لمحها تلمع فوق اراض لها نفس ظروف اسرائيل ـ نفس

المعادل

تلك النجوم تلمع الان فوق الهملايا ـ فوق حقول الارز التي مزقها الرصاص في جنوب شرقي اسيا ـ في شوارع بودابست الملطخة بالدماء مئات من الشعوب التي لهـا حقوق مقدسة نحارب من اجلها · أليس لها الحق هي الاخرى ان تمتلك هذه القنبلة التحولية ؟··

الكرديستانيون والاكرانيون ·· كل هؤلاء يتوقون في يوم من الايام لامتـلاك قنبـلة كهذه ··

وتنظـر لاراس الى السماء ·· يا لها من سماء واسعة ومسطحات شاسـعة يضيع الانسان في وسطها ويصبح ذرة مجهولة الهوية وبالرغم من ذلك فانه يملـك القدرة على تحطيم نفسه والاخرين واستمر لاراس يفكر ويتامل ثم فعل ما لم يفعله منذ عشرين عاما فقد ركع مصليا ··

ولم يستطع شاريت ايضا ان ينام ·· فقد تدرب على شيئين : التاريخ والجندية وكلها تتطلب الحسم الا ان شاريت لم يستطع ان يتخلص من شكوكه هذه المـرة ·· فقد اخذ يفكر في ما اذا كان لاراس خائنا فهذا رجل يهودي عاش كل ماسي النازية في اوروبا ثم جاء الى اسرائيل كمواطن ووجد نفس الاخطار تحيط ببلاده وها هـو يمتنع عن صنع القنبلة التحولية والتي تحمي اسرائيل ··

انها مسالة تتعلق بنشاة الانسان فهناك رجل يولد ومعه بندقية وهذا مستعد للقتل اذا تعرضت حياته للخطر واخر ينحني امام احذية الطغاة والاول يعتـبر محـاربا والاخر جبانا او قديسا ولكن اين يبدا الجبن وتنتهي القداسة ؟ ان الانسان يجب ان يحارب عندما تكون حياته معرضة للخطر وهذه هي الحقيقة وهو متاكد منها تماما ··

واجال شاريت البصر في صحراء النقب ·· كم جيوش يا ترى عبرت هـذه الاراضي ـ جيوش الفراعنة والسلوقيين والاتراك والفرس والمصريين ـ انها سلسلة لا حد لها · والان ياتي لاراس ليطبق ابسط تعاليم التصوف بينما السلاح الذي ينقذنا يبـقى دون ان تستعمله وكل ذلك من اجل الانسانية اي انسانية تلك التي تتطلب ذلك ··

وهنا استطاع شاريت ان يحسم الموضوع مع نفسه ولذا قفل راجعا الى حجرته لينام فقد حسم الصراع لصالح بقاء الشعب الاسرائيلي ·· طالمـا كانت هنـاك شعوب مضطهدة فيجب ان يحارب الانسان ليضمن بقاءه وبينما هو يتاهب لدخـول غرفته لمح الدكتور لاراس بعيدا يمسح بنظره الصحراء ··

شيء تحرك خلف لاراس من وراء المبنى ·· وقف ·· تحرك مرة اخـرى ولمح شاريت اشباحا تتحرك في ظل المبنى وبدون ان يحدث اي صوت اخرج شـاريت مسدسه وفجاة ظهر عربي وتحرك نحو لاراس وهو يشهر سكينا في يده ·· وتلفت لاراس ثم صرخ في فزع ··

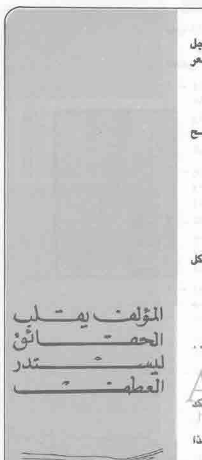
وقد كان العـربي على بعد خمسـة اقدام من لاراس عندما ارداه شـاريت قتيـلا ··

هل الموت قريب الى هذا الحد تحت اقدامه ؟ هكذا فكر لاراس لقـد راى الناس يموتون في معسكرات الاعتقال ولكن ليس بهذه الصورة ··

قذرون قتله ·· هكذا وجد لاراس نفسه يصرخ ·· لقد كان شاريت على حق ·· ليس هناك حق يجعل الرجل يسلم عنقه لرجل اخر ليقطعها يجب ان يحارب الانسان من اجل بقائه ·· والان يتفق هو مع شاريت ·· فان الحديث عن الانسانية المطلـقة شيء ·· والموت العنيف شيء اخر ··

وركل شاريت الجثة برجله ·· فتدحرجت وظهرت الجثة لصبي في عامه السادس عشر ·· ياله من مسكين غبي ·· هل يعي هذا الطفل لماذا دفع بنفسه الى الموت ؟؟

المؤلف يقلب الحقائق ليستدر العطف



وتغلبت عاطفة قوية من البكاء على شاريت ·· كم صبي او طفل مات من اجل اشياء لم يفهمها ·· ان الاشخاص مثل الامم لهم الحق ان يعيشوا انه لم يشعر بنفسه كجندي ولكنه شعر بنفسه كقاتل اطفال ··

ـ انك على حق ··

هكذا صاح شاريت ولاراس في وقت واحد ·· الا ان شاريت سبقه قائلا :

ـ لقد قتلت طفلا ·· غريب وعجيب ·· ان الاطفال دائما لهم نفس الملامح في كل انحاء العالم · ان القنبلة التحولية يمكن ان تقتل جميع الاطفال ·

واعترض لاراس قائلا :

ـ وانا كنت ساجد نصلا مغروسا في حلقي ··

واجاب شاريت :

ـ والان يا صديقي لقد فهم كل منا موقف الاخر وقضيته ··

وصاح لاراس :

ـ والان ما العمل ؟؟ هل نصنع القنبلة التحولية التي ستنقذنا ام نحرق كل المعادلات والرسومات والاوراق ··

واجاب شاريت :

ـ ولكني ساترك لك هذا القرار ··

وضحك لاراس وهو يقول :

ـ ولكني اتركه لك انت يا كولونيل ان الاشياء تبدو سهلة في علم الفيزياء ·· فاما ان تكون صحيحة أو مغلوطة ··

واجاب شاريت :

ـ في الحياة ليس هناك شيء بسيط ·· قليل من المواقف نستطيع ان نتاكد من صحتها وقليل من المواقف نستطيع ان نتاكد من صوابها ··

ـ ولكن ما هو القرار الصائب الذي يمكن ان تتخذه يا كولونيل هكذا سال لاراس ؟··

واجاب شاريت :

ـ ليس هناك قرار صائب ·· اي قرار تتخذه في هذا الصدد سيكون غير صائب ··

وبدا الليل اكثر عتمة ··

تمت ···

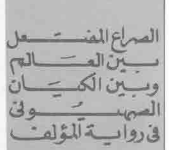
هذه هي احدى القصص العلمية التي استغلتها المؤسسة الاسرائيلية في التاثير على الراى العام العالمي ·· ونلاحظ في هذا الفصل الاخير كيف حصل تحول دراماتيكي في المواقف ·· فالكولونيل شاريت لم يعد يؤمن بموقفه السابق والدكتور لاراس وجد نفسه مدفوعا للموافقة على موقف الكولونيل شاريت بعد ان تعرض للموت وهو الذي كان يقول :

ـ وماذا تساوي حياة اثنين مليون شخص بالنسبة لحياة شعوب العالم ؟

وشخص هذا موقفه لا يمكن ان يتحول بمجرد هجوم طفل صغير عليه بسكين ··

كما ان المؤلف لم يحاول ان ينهي الموضوع بصورة واضحة بل جعل الموضوع حائرا ·· ولكن فقد انهى المؤلف موضوعه في كل فقرة كان يردد فيها ·· ان الانسان





يجب ان يحارب وذلك ليضمن لنفسه البقاء ..

ان الاعلام الاسرائيلي لم يال جهدا في استغلال اي وسيلة حتى قصص الخيال العلمي .. وهذه صورة منها ..

١ ـ وبالرغم من ان الكاتب قد ذكر ان تلك الابحاث ستكلل بالنجاح لو فهمها خمسون عالما من جميع انحاء العالم الا انه ذكر ان العسكرية الاسرائيلية قد قراتها وانها قد توقفت عند تلك الجملة التي يفهم منها انه بالامكان انتاج قنبلة كبيرة رخيصة ، وهو بذلك يشير الى عبقرية العسكرية الاسرائيلية وفهمها للعلوم الحديثة ..

٢ ـ يؤكد المؤلف هنا حقيقة ان اسرائيل ضعيفة امام اربعين مليونا من المصريين وهم مسلحون باسلحة ذرية ولهذا كان الدافع قويا لانتاج هذه القنبلة الجديدة والتي صنعها الاسرائيليون بانفسهم ..

٣ ـ نلاحظ ان المؤلف يذكر هنا ان اسرائيل قد استطاعت ان تصنع هذه القنبلة بينما لم تستطع الدول الاخرى ان تحصل عليها بما فيها اليابان مؤكدا تفوق الاسرائيليين وعبقريتهم وان ذلك يرجع الى ان اغلب علماء الذرة من اليهود .. هذا ماقصد ان يرمي اليه المؤلف ..

٤ ـ ويجعل الكاتب الصراع هنا انسانيا ويدلك على مدى انسانية الاسرائيليين انهم مستعدون للتضحية باثنين مليون شخص في سبيل الانسانية ثم ان الصراع نفسه مفتعل بين ذلك العالم وبين المؤسسة العسكرية فالمعروف ان العلماء الان يجرون تجاربهم على المعتقلين الفلسطينيين دون ان يدخل في اعتبارهم مثل هذا الصراع الانساني والذي ليس له وجود في دولة اسرائيل ..

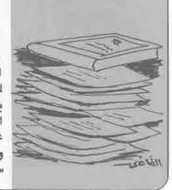
٥ ـ نلاحظ هنا ان الكاتب حاول ان يجعل الكفاح في تلك الدول التي ذكرها مثل الوضع في اسرائيل في حين ان هناك فرقا كبيرا بين صراع السود في جنوب افريقيا وبين الحرب العدوانية التوسعية التي تشنها اسرائيل .

٦ ـ لاحظ ان الكاتب يعمق فكرة الكيان الاسرائيلي مربوطا بالدفاع عن النفس وذلك من اجل ان يعيش افراده ..

٧ ـ لقد درج المؤلف على ربط الوضع في اسرائيل بالوضع في مناطق اخرى من العالم تختلف ظروفها اختلافا كبيرا مع ظروف الكيان الاسرائيلي ولكن المؤلف اراد ان يعطي انطباعا واهما ان اسرائيل تحارب من اجل الشعوب المضطهدة .. ولو كان الكاتب دقيقا لاضاف الى تلك القائمة التي يذكرها كل مرة .. الشعب الفلسطيني والذي اعتدت المؤسسات الاسرائيلية على ارضه ..

٨ ـ هذا مشهد سينمائي اراد المؤلف ان يجسد فيه الصراع في تلك القصة فكم رأينا في الافلام الهنود الحمر وهم يهجمون بسكاكينهم على الرجل الابيض فيرديهم بطل الفيلم والذي يكون واقفا قريبا من الرجل المعتدي عليه وهكذا فعل شاريت ..

●● ان القصة مبنية على حقيقة ان العرب متفوقون عدديا على الاسرائيليين وان الاسرائيليين يحتاجون الى هذه القنبلة التحولية ليكونوا في وضع معادل او مساو للعرب ولكن عندما يصور الكاتب هذا المشهد يعطينا صورة العربي المتخلف والذي يهجم بسكينه بينما يتصدى له كولونيل شاريت والذي يرمز الى التفوق العسكري الاسرائيلي بمسدسه ويرديه قتيلا .. ثم ان الكاتب قصد ان يجعل هجوم العربي على الدكتور لاراس وهو الرجل الذي لا يريد استخدام القنبلة التحولية لابادة العرب وبهذا يؤكد حقيقة اسرائيل المسالمة مهما تفعل فهي مواجهة بابادة العرب وذلك لضمان سلامتها .. كما انه في هذا المشهد يحسم الصراع لصالح استعمال القوة ...





كيف تعيش ١٢٠ سنة

الغذاء البسيط للغاية .. والطقس الجميل.. والحب .. كلها اسباب لإطالة العمر.

لماذا يعيش بعض الناس في بعض انحاء العالم حياة طويلة نشيطة مليئة بالحيوية ، واطول بكثير من العمر العادي ؟ هل هذا يعود للغذاء الذي ياكلونه ؟٠٠ ام لعوامل وراثية ؟٠٠ ام لعيشهم في ظروف هواء نقي غير ملوث ؟ ام لعناصر في التربة او الماء ؟٠٠ ام لماذا ؟ ماهي اسباب طول العمر في بعض المجتمعات البشرية ؟ هل هناك عامل مشترك ، اذا امكن التعرف عليه ، يتيح لكل انسان تحقيق حلم كبير ٠

وفي هذا الصدد درس العلماء والاطباء سكان منطقتي القوقاز في روسيا ووادي فيلكا بامبا في اكوادود في امريكا الجنوبية ٠

معمرو منطقة القوقاز

عاش فلاح روسي مات في سبتمبر ١٩٧٣ لمدة ١٦٨ عاما ٠ وقد عاش حياة قروية جبلية مملة ، ولم يغادر قريته القوقازية الجبلية ابدا ٠ وقيل ان هذا الفلاح المدعو « شيرال مسلوف » قد عاصر الكاتب الروسي بوشكين ، وبلزاك وكان حتى اخر ايام حياته يفلح أرض حديقة التفاح التي يمتلكها والتي غرس اشجارها قبل قرن من الزمان ٠ وذكرت وكالة انباء موسكو ان هذا الفلاح كان يتمشى كل صباح لمسافات طويلة في التلال المحيطة بقريته ٠ وقد ترك « مسلوف » ٢٣ من الابناء والبنات وعددا كبيرا من الاولاد ، واولاد الاولاد ، واولاد اولاد الاولاد ٠ وكان ذووه واقربوه المباشرون يبلغون ٢٠٠ شخصا ٠٠



وقد سمع العالم الخارجي لاول مرة عن مسلوف في عام ١٩٦٦ عندما نزل من قرية في بارزافو لاجراء فحص طبي في باكو عاصمة اذربيجان ٠ وكانت تلك هي زيارته الثانية الى باكو ، وقد وافق « شيرال » على الظهور في مؤتمر صحفي ٠٠ وكان قد رفض السفر على سيارة ، بالرغم من ان هذه هي المرة الاولى في حياته ، ولكنه استمتع بركوب الترامواي ٠ وبعد ذلك بمدة احتفل « شيرال » بعيد ميلاده رقم ١٦١ ، ومنح في تلك المناسبة وسام العمل الرفيع كفلاح فواكه ٠ وذكر « شيرال » للصحفيين ان الاطباء الذين كشفوا عليه قد وجدوه في صحة وعافية تامة ٠

ولم يصب « شيرال » في حياته بمرض شديد ٠ وقد كانت الصور التي اخذت له قبل موته توضح انه رجل نحيل مليء بالحيوية يلبس جلبابا كالقفطان وحذاء طويلا ٠

وبعد ذلك ساله الصحفيون عن سبب طول عمره ٠

اسباب طول العمر

قال شيرال : انه طوال حياته لا يسرع ، ولا يتعجل ، ولذا فان منيته لم تعاجله ولم تسرع في اخذه ٠

● كان يستيقظ كل يوم عند شروق الشمس ·

● وتعود ان ياكل كل يوم غذاء متوازنا (به الفيتامينات والبروتينات والنشويات ·· الخ ·) ·

● كان يقيم صلواته بانتظام ·

● كان يعمل كل يوم في حديقته لعدة ساعات وقد غرس اشجارها بنفسه منذ اكثر من مائة عام ·

● كان ابوه قد عاش لاكثر من مائة وعشرين عاما وعاشت امه لاكثر من ١١٠ سنة ·

وقد اصبح مسلوف بطلا لفيلم عن المعمرين في اذربيجان ، مما جعل سمعته تفيق الافاق في الاتحاد السوفيتي ·· ومنذ ذلك الوقت كان كل عيد ميلاد لمسلوف يجذب جمهورا غفيرا من الناس يتسلق الجبال لينعم بزيارة مسلوف وقد شاهد الفيلم عشرات الالاف من الناس عندما بدا عرضه ، وقد ظهر معه في الفيلم السيد « هانلار فسينوف » الذي يبلغ من العمر ١٢٧ سنة وزوجته « سلاته هالا » « ٩٧ سنة » ·

وقد روى ان « مسلوف » عندما احتفل بعيد ميلاده الـ ١٦٧ اجاد رقصة شعبية مع حفيده « مسلم » البالغ من العمر ٧١ سنة وحفيده الاخر البالغ من العمر ٨٨ سنة ·

● لم يعاقر مسلوف الخمور طوال حياته ، كما انه لم يدخن ابدا وعاش طوال حياته في الهواء الطلق ، وكان يعمل منذ طفولته ويعيش في منطقة جبلية ·

وعندما كان شابا كان احسن راكب خيل في منطقته ولم يكف عن ركوب الخيل سوى وقت قصير قبل موته ·

وقبل موته شعر « شيرال مسلوف » باعياء شديد في اليوم الاول فاوى لفراشه وزاد الاعياء في اليوم الثاني ، ثم اجتمع شمل جميع ذويه وصاروا يتهامسون ·

وكان الحزن على « شيرال مسلوف » ممزوجا بالدهشة ! كيف يعيش انسان الى هذا العمر ويصاب بامراض قليلة للغاية · وعندما توقف قلبه وانقبضت انفاسه لاقى ربه في سلام وطمانينة وبدا كانه لم يمت ، بدا كانما فارقته الحياة ببطء شديد ·

ان كثيرين من سكان منطقة القوقاز في الاتحاد السوفيتي يعيشون في اعالي الجبال ويندر ان ينظروا الى اعلى ليروا السحاب ، بل ينظرون الى اسفل ، ليشاهدوا السحب وهي تسبح تحتهم كسفن ضخمة بيضاء · ان هواء القرى الجبلية نقي وغير ملوث · ويعتقد سكان هذه المناطق الجبلية انهم يعيشون بين السماء والارض ·

اكبر النساء عمرا

وقبل خمس سنوات اجرى صحفيون دراسة عن اطول النساء عمرا في داغستان وهي جمهورية سوفيتية جبلية · وقابلوا اكبر امراة مسنة في منطقة القوقاز وكان عمرها ١٦٠ سنة ولكي تتم مقابلة المراة المسنة استعان الصحفيون بعثمان عبد الرحمانوف الممثل السينمائي المشهور الذي يبلغ طوله سبعة اقدام وعمره ٨٠ سنة ويتندر عليه اهل المنطقة بقولهم له « يا ولد » لان اعمار بعضهم اكثر من ١٠٠ سنة · وذكر عثمان انه لم يمرض في حياته ابدا ، ويتمتع ببصر قوي وسمع متين ، ويشتمل طعامه على اللبن والخضروات الخضراء واللحوم وعصير الفواكه او والفواكه · ولا يشرب الخمر الا قليلا وترك التدخين قبل زمن قصير ·



العاب الفروسية

ويرقص سكان جبال القوقاز ويعزفون الموسيقى ويجيدون ركوب الخيل والعاب الفروسية التي كسبها رجل يبلغ عمره ١٠٤ سنة · وكان من الممكن ان يكسبها « حبيب » الذي يبلغ من العمر ٩٣ سنة الا انه كان في شهر العسل وكان · المتبارون حفاة الاقدام على ارض يغطيها الجليد ؟

ان هؤلاء المعمرين يرقصون بحيوية ونشاط ويدورون حول انفسهم حتى ولو كانت اعمارهم اكثر من ١٢٦ سنة · ويسهرون حتى بعد منتصف الليل في حفلهم الراقص ·

وعندما قابل الصحفيون المعمرة التي تبلغ من العمر ١٦١ سنة كانت قد تقلصت بحيث انها كانت ترقد في سرير طفل ، اى في المكان الذي بدات منه الحياة وبالرغم من انها كانت تعلم انها في فراش الموت الا انها لا تخشى الموت ·

وقال بعض المعمرين ان هذه المراة بدات تتقلص عندما بلغ عمرها ١٤٠ سنة ولم تمرض طوال حياتها ، ولكنها تلاشت كشجرة كبيرة العمر ·

وفي جبال الانديز

قام المستر « ديفيد ديفيز » بدراسة كبر السن او الهرم بين سكان هذه المناطق الجبلية العالية في اكوادور بامريكا الجنوبية · وتركزت دراسته في وادي « فيلكا بامبا » الذي يقع على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم من سطح البحر ويبلغ طوله ٦ اميال وعرضه ٤ اميال ، ودرجة الحرارة فيه ١٩ درجة مئوية باستمرار (٦٦ درجة فهرنهايت) ·

وقد عرف دكتور « ديفيز » ان بعض سكان هذا الوادي قد دخلوا في القرن الثاني من عمرهم · ويمكن التحقق من ذلك بالرجوع الى سجلات ميلادهم في الكنائس · ان الادعاء بطول العمر من الصعب قيام الدليل عليه لان ذاكرة



المدعي تكون قد اهتزت ومات ابناء جيله وقد يزيد في عمره دون ان يدرى احد . وقد وجدت في قرى هذا الوادي سجلات مواليد ترجع الى ١٦٦٥ غير أن معظمها يرجع الى القرن الثامن عشر . ان الذي يحفظ هذه السجلات هو الكنيسة الكاثولوكية ويتولى القسس تسجيل المواليد والوفيات في سجلاتها وقد وجد دكتور « ديفيز » ثلاثة من المعمرين في قرية واحدة عمر كل منهم ١٣٢ سنة وقد اكتشف أن ظاهرة طول العمر ليست جديدة في هذه المنطقة ، فهناك سجلات لمعمرين عاشوا ١٥٠ عاما ، وقد ساله سكان القرية عن ما اذا كان في لندن اشخاص يبلغ عمرهم ١٢٠ سنة ؟..

ان غالبية سكان قرى الوادي نحيلو الاجسام ، وذوو لياقة واجسام رياضية مفتولة العضلات ، وتندر السمنة بينهم ، ومعظمهم متوسطو الطول ، ويرسل الرجال شعورهم في اخر عمرهم ، وتبدو على عيونهم لمعة الصحة والعافية .

الحب هو السبب

ويدعى بعض المعمرين ان الحب هو سبب طول عمرهم هو وقودهم وزادهم الذي مكنهم من البقاء احياء لعمر طويل . ولهؤلاء المعمرين عائلات كبيرة ، ويبدو

ان خصوبتهم تستمر حتى قرب نهايتهم .

وقد اكتشف الدكتور « ديفيز » حسب ادعاءات المعمرين أن السرطان مرض غير معروف في هذه الوديان الجميلة العالية .

ان اكتشاف هذه الحقائق عن هؤلاء المعمرين في امريكا الجنوبية سيكون صدمة بالنسبة لسكان امريكا الشمالية الذين يقسمون الناس على اساس مجموعات بالنسبة لاعمارهم ، ويبدو ان الناس في امريكا الشمالية يدب فيهم الهرم والعجز بعد سن الاربعين بسرعة ، وهم لا يعرفون الا القليل عن هؤلاء المعمرين الذين يظلون اصحاء الابدان والبصر والسمع حتى التسعين او المائة من اعمارهم .

وقد وجد دكتور « ديفيز » في هذه الوديان كثيرا من المعمرين الذين يبلغ عمرهم ١٠٠ سنة ولا يزالون في حيوية دافقة ويبدون وكان اعمارهم خمسون سنة . ان اكبر معمر هو « جوز ديفيد » ويبلغ عمره ١٤٢ سنة ويعمل فلاحا وينظف حقله باستمرار .

ويتميز سكان وادي فيكابامبا بالحيوية والنشاط الدافقين . وهم يعملون في مزارعهم ومنازلهم المتباعدة عن بعضها البعض ، كما انهم يعملون بصفة دائمة ويعرضون انفسهم لحرارة الشمس وجميع الاحوال الجوية الاخرى .

ويحتفظ سكان هذا الوادي بوعيهم الكامل وكل حواسهم وملكاتهم حتى يحين موعد وفاتهم .

الغذاء بسيط للغاية

ان غذاء اهل الوادي بسيط للغاية ، وهو درس لاجيالنا الحاضرة . انهم يحرقون قليلا من الطاقات الحرارية ، بين ١٥٠٠ ـ ١٧٠٠ سعرة حرارية للشخص الواحد في اليوم الواحد . ويعتبر هذا الرقم هو نصف رقم الطاقة الحرارية التي يحتاجها الانسان في بريطانيا .

وياكل هؤلاء القوم الفواكه والخضروات الطازجة التي يزرعونها في حقولهم ، واللحوم ويتجنبون دهن وشحم الحيوان . ويحولون معظم الابقار الى جبن . وتتكون وجباتهم من الشوربة التي تصنع من بعض الجذور والبطاطس ، ومن الحبوب الزيتية والبرتقال ، التي تنتج محليا ، ومن اللحوم التي ليس بها اي شحم ، وتؤكل هذه الاصناف مع الخضروات الخضراء المنتجة محليا .

وتتكون الحلوى التي ياكلونها فضلا عن الحلوى الموجودة في الفواكه من عسل النحل الخام وقصب السكر الذي يزرعه سكان الوادي .

ولذا يخلو غذاؤهم من النشويات الناعمة . ولا ياكلون الاطعمة المعلبة ولا ياكلون الكعك او الحلوى او السجك او اللحوم المثلجة او الحلويات كالماكنتوش والشيكولاته والبسكويت .

واخيرا .. الطقس اللطيف

ان جو الوادي لطيف للغاية كما يسوده هدوء شديد مطبق ، ويتميز سكان هذا الوادي بالعمل والاسترخاء في الشمس وعدم السفر لاي مكان اخر ، وتندر بينهم المشادات والمشاجرات ولا يهتمون بما يحدث في العالم الخارجي ابدا .

هل هناك عامل يعود اليه تفسير عمر طول عمر سكان هذا الوادي ! هل هو الغذاء ؟.. أم العوامل الوراثية ؟.. أم أسباب عائدة الى التربة والماء ؟..

ومنذ زيارة دكتور « ديفيز » في عام ١٩٧١ ظل العلماء والاطباء يزورون الوادي لاكتشاف سر طول العمر .

ان سكان القوقاز وهذا الوادي وسكان بعض انحاء جبال الهملايا يعيشون لاعمار طويلة حتى النصف الثاني من قرنهم الثاني من العمر ..

لقد اتفق العلماء ان سبب طول العمر لا يرجع للطقس والاحوال الجوية ، اذن لماذا لا يعيش سكان العالم لعمر طويل ايضا كما يعيش سكان القوقاز ووادي فيكا بامبا ..

كلمات

- القناعة خير من الضراعة والتقلل خير من التذلل ..
- اياك ان تقبل معونة اللئيم فاللئيم لا يعين بل يهين ..

يقدمه : أبو سيناء





لويس أجاسيز

العالم الذى رفض نظرية التطور ودحض اتخاذ العلم الطبيعى طريقا للالحاد وظل مع ذلك من أعظم أساطين العلوم الحديثة

لا يعجبنى الرجل ، يصيب من المائدة فتاتها ومن الثمار قشورها ثم هو يتلمظ ويتجشأ ، ويوحى لنفسه أنه عليم خبير ، ويحاول أن يقود الناس معه الى ما تصوره له سطحيته الفكرية أنه الحق واليقين •

وانك في أيامنا هذه ترى الرجل ، قد سمع عن نظرية « دارون » فرسخ في وجدانه أن أصل الانسان قرد ، وأن آدم وحواء خرافة ، وهو ما قرأ نظرية « دارون » ولا عرف في أى سنة كتبت ولا درى ما معنى (الفرض ، والنظرية والقانون) في ميدان العلم ثم بنى فلسفته على أنه علمانى لا يؤمن بنصوص « الدوغما » وما تمليه العقائد الدينية ، دون أن يحس بأن مجرد ايمانه باستخراجات المزيفين من هذه النظرية العجفاء ، هو « الدوغما » بعينها ، وهو احتقار للعقل والعلم معا •

وكذلك ترى الرجل يبلغ به احتقاره للعقل والعلم معا ، ان يتصور ان العلم هو « نظرية دارون » فكل ما يقول به العلم هو الكفر والالحاد والزندقة ، وان مجرد ترديد ان الانسان وصل بمركبة صنعها الى سطح القمر هو الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسلة واليوم الاخر •

هذان الصنفان من بنى آدم ، هما آفة للمجتمع البشرى الفكرية والفلسفية والوجدانية ، وهما سبب ما يعج به تاريخ الانسان من شرور ومثالب وعدم استقرار •

ولعل دارون المسكين أحد الضحايا الذين يحملهم الخطاؤون أوزارهم وهم أضعف من حملها •

وللرد على هؤلاء وأولئك لدينا اليوم سيرة عالم من علماء التاريخ الطبيعى الذين تخصصوا ، مثل دارون ، في علم الحيوان ، بل وعاصروه ، ولكنهم لم يسلكوا مسلكه ولم ينسجوا على منواله وانما عارضوا أفكاره اشد المعارضة ، ومع ذلك لم يجرؤ أحد على اتهامهم بمجانية العقل أو النكوص عن مبدأ احترام العلم والبحث والاستقراء العقلانى •

الإرادة الصانعة هي إرادة الله الخالق لكل شيء

ذلكم العلامة الالمعي « لويس أغاسيز » الذى يعتبر دون منازع أعظم بناة البحث العلمي في القارتين الامريكتين في القرن التاسع عشر ، والذى تتلمذ عليه كل علماء الحيوان الامريكيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر دون استثناء ٠

ولد لويس أغاسيز في ١٨٠٧/٥/٢٨ في بلدة «موتتيه» بسويسرا وكان أبوه راعي غنم يدين بالمذهب البروتستانتي وبدأ تعليمه في مدرسة الجمنزيوم بمسقط راسه ، ثم تحول ليدرس في لوزان ثم في جامعات زيوريخ بسويسرا وهيدلبرج وميونيخ بالمانيا ٠

ثم حصل من جامعة « ارلانجن » على الدكتوراه في فلسفة علم الحيوان وتخرج طبيبا من جامعة ميونخ عاصمة الصعيد الالماني ٠

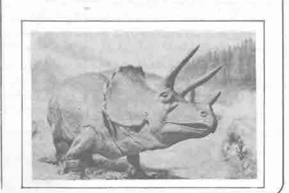
ولما كان أغاسيز مولعا منذ طفولته بصيد الاسماك من جداول سويسرا ، فقد تصدى لدراسة مجموعة من الاسماك المحنطة أحضرها عالمان المانيان من نهر الامازون بأمريكا الجنوبية دراسة مستوفاة لم يسبقه أحد بمثلها ، وأخرج عنها كتابا باللغة اللاتينية سنة ١٨٢٩ تحت عنوان « أجناس مختارة من الاسماك » اتبعه سنة ١٨٣٠ بكتاب اخر عن أسماك الانهار والبحيرات العذبة في أوروبا كتبه باللغة الانجليزية تحت عنوان « أسماك المياه العذبة بوسط أوروبا » واستمر ينشر اجزاء هذا الكتاب حتى سنة ١٨٤٢ ٠

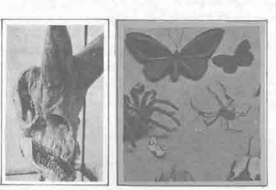
وكان أغاسيز قد شد الرحال الى باريس سنة ١٨٣٢ ، وكانت باريس آنذاك محط رحال عشاق العلم والمعرفة ، ثم رحل منها الى نيوشاتل حيث عاونه العلامة الالماني « الكساندر فون هامبولدت » والبارون « كوفيير » الفرنسي وكان أمام الباحثين في مضمار علم الاسماك ، في نفقات العيش ثم في الحصول على كرسي أستاذية علم الحيوان في نيوشاتل ٠

وتجاوز أغاسيز حدود عالم الاسماك الحية الى عالم الاسماك المستحجرة ، وهي تلك التى خلفتها البحار المندثرة في طبقات صخور الارض حفريات مستحجرة وخاصة في مناطق « جلاروس » في سويسرا و « مونت بولكا » قرب فيرونا بايطاليا وغيرها من الاماكن حتى تسنى له دراسة نحو الف وسبعمائة نوع من هذه الاسماك المندثرة كتب عنها باللغة الفرنسية موسوعته الشهيرة « بحث في الاسماك المستحجرة » فيما بين سنة ١٨٣٣ ، سنة ١٨٤٣ ، ويعتبر العلماء هذا البحث الحافز الاكبر لدراسة الحفريات المستحجرة ، وانطلق أغاسيز من دراسة الاسماك المستحجرة الى دراسة غيرها من الحيوانات المستحجرة ونشر بحثا عميقا عن « القنافذ البحرية السويسرية المستحجرة » باللغة الفرنسية سنة ١٨٤١ ، سنة ١٨٤٢ ٠

وكان أغاسيز ابان استاذيته في جامعة نيو شاتل فيما بين سنة ١٨٣٢ ، سنة ١٨٤٦ جاعلا بيته خلية نشطة تعج بالعلماء والباحثين الممتازين في علم الحيوان الذين عاونوه في عمل ذلك السفر الضخم عن « التسميات الحيوانية » لكل أنواع الحيوان التى سبق العلماء دراستها وتصنيفها منذ أول يناير سنة ١٧٥٨ ٠

وفي سنة ١٨٣٦ بدأ أغاسيز ومريدوه نوعا جديدا من الدراسة العلمية لاستكناه أسرار الثلاجات الضخمة في





الجزء الخفي من العالم أكبر مما تستوعبه الحواس

جبال سويسرا فبنى فوق أحد الانهار الثلجية بجبال الالب كوخا سماه « الفندق النيو شاتلواه » وكان ذلك في منطقة « آر » وخرج على الملأ العلمي سنة ١٨٤٠ ، بكتابه الخطير المعنون « دراسات في الثلاجات » وهو الكتاب الذى يعده كثير من علماء التاريخ الطبيعي وخاصة الجيولوجيون أهم مؤلفاته العلمية بالنسبة للفكر العلمي وتطويره في المذهب ..

اذ انه إضاف فرعا جديدا كل الجدة في الدراسات الجيولوجية .

وفي سنة ١٨٤٦ زار أغاسيز الولايات المتحدة الامريكية لالقاء محاضرات في معهد « لوويل » في مدينة بوسطن ، ثم قبل استاذية علم الحيوان سنة ١٨٤٧ في جامعة هافارد ، أعرق الجامعات الامريكية وبدأ في الولايات المتحدة الى جانب اهتماماته التعليمية وتوجيه البحوث العلمية ، سلسلة من اخطر مؤلفاته العلمية . فكتب سنة ١٨٥٠ كتابا عن التاريخ الطبيعي لبحيرة « سوبيريور » وفيما بين سنة ١٨٥٧ ، سنة ١٨٦٢ نشر كتابا من اربعة أجزاء عنوانه « ملاحظات في التاريخ الطبيعي للولايات المتحدة الامريكية » تعرض فيه لدراسة علم الاجنة « الامبريولوجيا » وخاصة في السلاحف . وفي سنة ١٨٥٩ نشر بحثه في « تصنيف الحيوانات» وهي نفس السنة التي نشر فيها « دارون » كتابه عن « أصل الانواع » وقام اغاسيز بزيارات للبرازيل سنة ١٨٦٥ ولكاليفورنيا سنة ١٨٧١ وكان قد انشأ أعظم متحف لعلم الحيوان في امريكا سنة ١٨٥٩ بجامعة هارفارد وهو الى اليوم من اعظم متاحف علم الحيوان المقارن .

كان اغاسيز من احب الاساتذة الى تلاميذهم ، وكان ينصحهم بأن الاعتماد على المعلومات المنقولة ضرر بالغ على العلم والفهم العلمي ، فلابد للعالم أولا ان يعتمد على ما يشاهده هو في أحضان الطبيعة ، ولهذا قابل كتاب دارون « أصل الانواع » بفتور وعدم اكتراث لانه كان لديه من العقل والعلم والفهم لاسرار الطبيعة وخاصة في علم الحيوان ما يغنيه عن تقمص ثوب غيره ، اذ لا يتقمص ثوب غيره من البشر الا الضعيف الذى انهكه الهزال العقلي .

نعم لقد شاهد « اغاسيز » وخبر وتيقن من تأثير البيئة والتغييرات المناخية والجيولوجية على الكائن الحي . ولكنه فسر ذلك كله بقوله ان التغير بل والتطور في علم الاحياء راجع بالدرجة الاولى لا لتلك العوامل ولكن لمن يغير تلك العوامل ويصنعها وهو « ارادة الله الخالق لكل شيء » وان تلك التغيرات في البيئة التى تصنعها ارادة هذا الخالق سبحانه ، يمكن أن تسبب انقراض الانواع وفناءها ولا تأتي بالانواع الجديدة ، فكل نوع من الحيوان او النبات حيا أو مستحجرا لا يعدو ان يكون حلقة في سلسلة أراد الله ان يخلقها فوق هذه الارض لحكمة عنده لا نعلمها ، والغاية في علمه لا ندركها وهذا لا ينافي قط العلم والبحث العلمي وفلسفة العلم الطاهر من فكر الشياطين ، وان التشابهات التشريحية بين المخلوقات لا تتعدى كونها صنع مهندس واحد هو الله تعالت قدرته

ويقول مؤرخو العلم ان هنالك تشابها بين افكار « اغاسيز » وافكار « افلاطون » ، وهى التي تقول ان الجزء الخفي من العالم أكبر بكثير من الجزء الذى تدركه الحواس ، ولهذا كان رفض أغاسيز لافكار « دارون » « وسطحيته ولعل ما نعرفه اليوم بعد أغاسيز ودارون ، بأكثر من قرن ونصف من الزمان يثبت رجحان عقل أغاسيز فان مكونات الذرة اليوم ومكونات الفضاء الكوني من نجوم ومجرات وسدم ومذبذبات ونابضات واشارات لاسلكية منتظمة تأتي من حيث لا ندرى ، وأجسام مضادة وغيرها ، يثبت يقينا أن الخفي من الكون اضعاف أضعاف ما تدركه الحواس وسبحان الله اذ يقول :

« سنريهم آيتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » ..

حسين ذو الفقار صبري

نشأة اللغة



أحوجت الى الكلمة المكتوبة منذ الصغر ·· ألجأ اليها مجبرا ، أغلب الاحيان ، خضوعا لنظام مدرسى غاية فى الصرامة ·

انقدت اليها ·· فهى ملاذى حتى تمتد ساعات الفراغ ، خاوية ، ثقيلة على النفس ، خلال الاجازات الصيفية ، فتنتقل بكيانى وخيالى الى عوالم تعج بالمغامرات ·

ثم أحوجت اليها مرة أخرى ، فاجد فيها عونا إى عون على تفهم طبيعة ما كنت أكلف به من أعمال ، فاسمى الى مزيد من معرفة ·

الكلمة المكتوبة كانت لى موئلا وملاذا ثم آخر الامر ركيزة سعيا الى توطيد كيان ·

وأخيرا أجدها تستهوينى اذ تقودنى الظروف شيئا فشيئا الى روائع الادب العالمى ·

كم كان يقضنى احيانا ما ألمس من انجراف بعض هؤلاء الكتاب الى شعاب جانبية ، ربما استعراضا لذخائر من معرفة ، أو سعيا الى فرض وجهات نظر معينة ، أو يحدوهم افتنان بقدرة فطرية على التلاعب بالتراكيب والالفاظ ، ولكنها جميعا شوائب كنت أشعر أنه يمكن التغاضى عنها ، طالما ارتقى العمل الادبى فى مجموعه الى مستوى من روعة فى صورة من صدق تعبير !

كم من مرة انبهرت ! ليس يعنينى فى هذا المقام ، أن أشير الى سطور محددة خطها هذا الكاتب أو ذاك ، أو الى لغة دون أخرى ·· الى أبيات معينة من ديوان امرىء القيس ، أو سقط الزند لابى العلاء ·· الى ملاحم « فكتور هوجو » بالفرنسية ، أو فصول من روايات لتوماس مان ترجمت الى الانجليزية ·

انما الذى يعنينى أنى كثيرا ما كنت أتساءل عن ماهية تلك الاداة ـ اللغة البشرية أيا كانت ـ التى نطلقها طوع ارادتنا ، نستخدمها كل يوم ، كل ساعة من ساعات النهار ، بالفاظ حرصت القواميس على جمعها وتصنيفها ، من خلال تراكيب جرت على ألف لسان ، منبثة فى سطور المؤلفات ، الا أنها تتفجر نابضة بحياة ، جياشة باتصالات ، وكأنما اكتشفت من جديد ، حين يتناولها هذا الكاتب أو ذاك بقلم كانما مسه فور اللحظة وحى أو الهام ·

عجيب أمرها تلك الأداة ! فانما بها أصبح الانسان انسانا ·· ارتقت به فهو سيد المخلوقات ، ولكنها لا تعطيه الا بقدر ما يوليها من اهتمام ، مبسوطة أمامنا كأنها البحر الزاخر ، كل يغترف من صفحتها بقدر ما تسعفه سلطاته ، فانها لحفيظة على مستقر كيانها ، الا أن يغوص الى أغوارها ذلك الذى يبذل لها من حر وجدانه ، فتبث اليه من مكنون أسرارها فى صورة من سحر بيان ·

عجيب أمرها تلك الأداة

الظاهرة المحيرة

وقف العلماء طويلا أمام تلك الظاهرة المحيرة .

تضاربت أقوالهم ، فمنهم من نحا الى أنها مواضعة واصطلاح ، ومنهم من احتج بقوله تعالى :

« وعلم آدم الاسماء كلها » ، فيصر على أنها الهام ، وتوقيف .

وقد عرض أبو الفتح عثمان بن جنى ، فى القرن الرابع الهجرى ، لهذه المسألة بتفصيل ، ولكنه عازف عن أن يقطع برأى ، متردد فى الاخذ بوجهة نظر دون أخرى .

وبالمثل فى العالم الغربى ، تارجح الرأى بين نظريتى التوقيف والمواضعة ، حتى يطلع عليهم «داروين» بنظريات التطور ، فتنزع الآراء الى آلية وجود وحتمية مصير !

نظريات تعتمد على فلسفة مادية بحت ، فلا بقاء الا أن تتكيف المخلوقات مع البيئة ، من خلال ما يطرأ على خلاياها من طفرات ، فاذا ما تتابعت هذه أجيالا تلو أجيال ، فان تراكماتها تؤدى قسرا الى التطور بالنوع الى ما هو أصلح فارقى .

ولكن داهية الدواهى أن يستهل « داروين » الفصل الثالث من كتابه « سلالة الانسان » ، الصادر عام ١٨٧١ فيقرر « بأن ليس من فارق أساسى بين الانسان والثدييات العليا من حيث ملكاتهم العقلية » !

ومن ثم فانه يخرج علينا آخر الامر بألا فواصل بين اللغات البشرية وبين الاصوات التى تستخدمها الحيوانات، تعبيرا عن مشاعر من نشوة أو ألم ، أو تحذيرا للتقطيع من خطر طارىء أو محتمل ، أو تنبيها لمصادر غذاء .

تلك هى قصارى ما وسعته الاصوات فى مملكة الحيوان ، فلا تتعداها ! فأين هى من لغة الانسان ،واضحة المقاطع ، متعددة الدلالات ، تستبطن رقة من حيث تحديد ومفاضلة ؟

الا ان « داروين » قدم نظرياته فى أسلوب رشيق، ألبسه ثوبا من منطق بدا وكأنه محكم الحلقات ، بفضل ما حرص على جمعه وتصنيفه من شواهد تلو أخرى ، معنى أى عناية بإبراز ظواهرها الدالة ، فتطمس على ما كان يتخللها من قصور عن تفسير بعض من نقلات حيوية ، لا يتأتى الوقوف على جوهرها فى ضوء من فلسفة اعتمدت اعتمادا كليا على ماديات تطور الوجود .

نقلات حيوية تتحدى أى منطق ، دفعة تلو أخرى الى أمام ، يعجز العلم أن يجد لها تفسيرا ، الا أن يرجعها الى ارادة عليا ، هى ارادة خلاق عليم !

صحيح أن « داروين » كشف عن التفصيل المتسق لنظرية التطور فى كثير من نواحيها ، فان الله ، سبحانه وتعالى ، اذ خلق السماوات والارض وما بينهما ، أرسى آيات من أسباب ومسببات تنتظم الكون والخليقة ، فاحكم تنظيمها لحكمة أرادها ، ويعلم ما لا تعلمون !

« **وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شىء** » .. ولو شاء ربك لاخرج النبات دون ما حاجة الى انزال ماء .. « **انما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون** » .

ولكن سبحانه وتعالى يؤكد هذا المعنى مرة بعد أخرى فى كتابه العزيز ، بما لايترك مجالا لشك فى أن الخليقة تنتظمها قواعد هى من تقدير عزيز عليم .

« وجعلنا من الماء **كل شىء حى** » (**من سورة الانبياء**) .

« وانبتنا فيها من **كل شىء موزون** » (**من سورة الحجر**) .

« **وقد خلقكم اطوارا** » (**من سورة نوح**) .

وتراثنا العلمي

وان نظريات التطور انما تقدم التفاسير لظواهر خفيت عن ادراك الانسان لاجيال طويلة ، مستدقة عن متناول الحواس ، لاتبين نتائجها الا بعد مرور آلاف من السنين ، ولكنها ولا شك مرتبطة بأحكام احتوت الخليقة جيلا بعد جيل ، قواعد أرادها الله محكمة من حيث أسباب ومسببات ، الا أنه يجب على الانسان ، اذ يستقرئها بوعى من عقل ، الا يغفل عما قد استبطنته من دفعات خلاقة لا ريب فيها .

كما أن نظريات « داروين » ، والتى عقد لها ، فى عصرنا الحديث ، الفضل الاول فى الكشف عن ظواهر تطور المخلوقات تكيفا مع البيئة ، يجب الا تلهينا عن تراثنا العلمى العريق ، حين نشط العرب فى حقل المعرفة التجريبية ، يتتبعون الظواهر التى من حولهم بالملاحظة والتمحيص ، ثم جمعا وتصنيفا ، فيكشفوا عن نظرية التطور فى خطوطها العامة قبل عصر « داروين » بثمانية قرون « الدكتور عبد الحليم منتصر ـ فكرة التطور ـ نشر بمجلة الرسالة القاهرية عام ١٩٦٥ » .

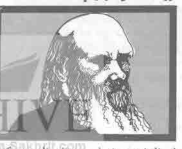
وربما أن كان « **اخوان الصفا** » أول من عرضوا ـ فى رسالتهم العاشرة ـ لآثار الوراثة من انتخاب طبيعى وانقراض ، فيقرروا أن عالم الحيوان والنبات والجماد واحد ، تفصل بين بعضها البعض حدود انقلابية دقيقة .

لماذا عجزت القردة العليا عن التطور؟

أما ابن مسكويه فهو أول من نادى بالتطور صراحة اذ يقول فى كتابه « **الفوز الاصغر** » ان ، **نشوء النبات من الجماد ونشوء الحيوان من النبات ، يشمل بالضرورة نشوء صوره العديدة متدرجة فيها نحو كل مرتبة ٠٠ وان**

الانسان ناشىء من آخر سلسلة البهائم ، وانه بقبـوله الآثار الشريفة من النفس الناطقة وغيرها ، يرتقى حتى رتبة اعلى من ٠٠ مراتب القرود وأشباهها من الحيوان ، الذى قارب الانسان فى خلقة الانسانية وليس بينهـا الا هذا القدر اليسير الذى اذا تجاوزه صار انسانا ٠

فما هو ذاك القدر اليسير الذى يفصل بين الانسان وأعلى مراتب الحيوان ؟ وهل هو يسير حقا ؟ فان المرحلة


« داروين »

الحاسمة على مسار التطور ، انما هى تلك التى يتمكن الانسان فيها من توظيف اللفظ تصويريا ، فتهيأ له أداة، هى اللغة ، قادرة على تنظيم خبرة الجماعة فى وعـاء مشترك ، يتوارثه البشر جيلا اثر جيل ٠

وهنا يحق لنا أن نسائل ابن مسكويه : أهـذا هو القدر اليسير الذى اذا ما تجاوزه الحيوان تحـول الى انسان ؟ بل أن نستجوب « داروين » ـ فان العالم العربى الكبير له بعض العذر فيما ذهب اليه ، اذ كتب ما كتب منذ نيف وتسعمائة عام ـ أن نستجوب « داروين » اذ يقرر بأن ليس من فارق أساسى بين الانسان والثدييات العليا من حيث ملكاتهم العقلية !

أهذا كلام يقال !

صحيح ان ظاهر الشواهد وملموس الملاحظة وغير ذلك من أساليب الفحص والمعاينة المادية ، لم تكن لتوحى الا بذاك الذى ذهب اليه « داروين » ، و « ابن مسكويه» من قبل ، فان الدراسة التشريحية لتبين وحدة النمط من حيث تركيب بنية المخ البشرى ومخ القردة العليا ، وأن لا فوارق الا من حيث اختلافات فى الاحجام ، وانبعاجات طفيفة فى الشكل هنا أو هناك ، وانها من الضآلة بحيث لا يتأتى قط تصورها أسبابا مباشرة فيما أحرزه الانسان من تفوق ساحق من حيث ملكاته العقلية ٠

فلماذا اذن عجزت القردة العليا ، أو قل أسلافها التى عاصرت نشأة الانسان أن تستنهج سبيله فى التطور، اللهم الا اذا كان هناك ما حال بينها وبين ذلك ٠ شىء ما أعجزها عن أن تخطو عبر هذا القدر اليسير ، كما يقول « ابن مسكويه » ، الذى يفصل بين عالم الحيوان وعالم الانسان ، فتتفتح أمامه تلك الآفاق الرحبة التى يرتادها العقل البشرى فى يسر وسهولة ٠

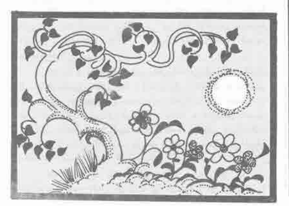
فما هذا الذى أعجزها !

النبات والحيوان والبشر

ان الحياة اذ تنبثق من وحدة مصدر ، اذ يقـول سبحانه وتعالى « وجعلنا من الماء كل شىء حى » ، فانها لم تسلك نمطا واحدا متكررا فى تطورها ، وانما اتخذت أشكالا مختلفة ، متجددة أبدا ، متأثرة أشد التأثر بأحكام البيئة ، بينما تخلل مسارها فى التطور لمسات خـلاقة ـ حدود انقلابية دقيقة ، كما يقول اخوان الصـفا ـ خارقة لسنة الطبيعة ، فتراها قـد صـنفت من حيث موضوعنا هذا الى ثلاثة أقسام رئيسية من نبات ،وحيوان، وبشر

أما النبات ، ولنأخذ الشجرة أيا تكون مثـلا ، فانها كيان مستقل يستبطن قوة حيوية قادرة على امتصاص ما تحتاج اليه مما يحيط بها ويلامسها ، فتتمثله غذاء لها وتحتفظ به متمثلا فى صورتها ، ولكنها تظل كيـانا محصورا داخل حدود صارمة لاتتعـداها ، والتى هى لحاؤها الخارجى ٠

فى حين أن الحيوان ، وان شابه النبات بعامة فيما تقدم ذكره ، الا أنه يتعداه الى ما هو أرقى ، اذ تواتيه دفعة خلاقة ، فتتخلل أجسام بعض من مراتبه الدنيـا



الحيوان أسير المكان . ينتقل منه .. واليه

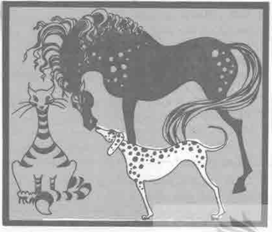
شبكة غير منتظمة ، أول الامر ، من خلايا عصبية وانسجة ليفية متشابكة ، تمضى فى تطورها البطيء وتكيفها المتئد ، فيتكون للحيوان ، مرتبة اثر أخرى ، جهاز عصبى مركزى متحكم ، هو المخ ، له القدرة ، وان ظل محصورا داخل حدود الجسم ، على أن يطل على ما هو خارج تلك الحدود عن طريق الحواس ٠

تمتد اذن طاقة الحيوان ، بفضل من حواسه ، الى خارج حدود الجسم ، فتتسع دائرته المكانية ، وربما كان هذا التطور الجديد الدافع الاول الذى حدا به الى ارتياد أبعاد تلك الدائرة الموسعة ، التى تنقل اليه حواسه انطباعات عنها ، فتتولد لديه قدرة ذاتية على الحركة والانتقال ، وهو ما لم يتيسر للنبات تحقيقه قط ٠

ثم ان حواس الحيوان ، والتى هى فى حقيقتها امتداد لجهازه العصبى ، لا تنقل اليه انطباعات عن المكان المحيط به فحسب ، وانما أيضا توقعات لما قد يحتوى عليه من مؤثرات ، أصبحت شبكته العصبية ، المنبثة فى كل خلية من خلايا جسده ، عرضة للتأثر بها ، وقادرة من طريق جهازها المركزى ، والذى هو المخ ، على ملاقاتها بردود فعل من عندها ، حركية كانت أم تعبيرية ٠ فهو لا يتألم فيصرخ فحسب ، وانما يصرخ أو يعوى اذ تنبئه حواسه بالخطر قبل أن يدهمه ، الى غير ذلك من أصوات لها دلالاتها الانفعالية ، والتى أصبحت من أهم خصائصه المعبرة عن مكانته الجديدة فى عالم الاحياء ، فى مراتب أعلى من مراتب النبات ٠

ولكنها جميعا ، حركية كانت أم تعبيرية ، ردود فعل تقع فى وعاء من حاضر زمان ، لاتنفعل الا بما يشخص لمتناول حواسه فى حدود من مكان ، اذ ليس للحيوان ذاكرة تستعيد لذهنه صورة أليف غائب فيأنس، أو صورة عدو أثخنه ضربا بالامس فيأسى ، بل انه اذا ما ركبه فزع اذ يرى سوطا الهب به جسده يوما ما ، فان انفعاله هذا ليس لذكرى أليمة تواتيه ، وانما نتيجة لعملية ترابطية انعكاسية ، غرزية كانت أم مكتسبة ، انطبعت آثارها فى جهازه العصبى ، بدليل أن الفزع لن يركبه اذا ما صادفت عينه صورة السوط ملقى ، هامدا بقارعة طريق ، وانما أن يهز بيد ، فيتراءى له بنفس الصورة التى انطبعت بحواسه حتى تعرض لايجاع ٠

نتائج توصل اليها «بافلوف» فى دراساته للعمليات الترابطية الانعكاسية ، استخلصها من تجارب مستفيضة على سلوك الحيوان ، فينزلق من بعد الى محاولة اعتبار تلك النتائج صالحة لتفسير كافة أنواع السلوك البشرى ، وان كانت تنسحب على بعض من نواحيه دون غيرها ٠



كلا ، انما الحيوان أسير المكان ينتقل منه واليه ، تحمل اليه حواسه انطباعات عما فى تلك الدائرة المحددة التى ترتادها لحسابه ، فلا يدرك منها الا تلك الابعاد التى تنقلها اليه فور اللحظة ، وان تبدلت وتجددت مع كل خطوة يخطوها ، فاذا رأيناه يسلك طريقا أو يتجه الى قصد ، فليس لان له ذاكرة واعية تحمل الى ذهنه ملامح من صورة تهفو اليها نفسه ، أو تهيئه من هدف يترقب الوصول اليه ، وانما هى ترابطات انعكاسية مكتسبة أو غرزية ، تدفع به فيقفو أثر رائحة أصبح لها على جهازه العصبى تأثير ما ، أو ينحدر الى مسلك سبق له اجتيازه ، فتنطبع له فى كيانه ألفة نتيجة لنمط سلوكى معين ٠

أما الانسان ، أو قل ذلك السلف ، الذى انبثق كغيره من كائنات من مكنون الحياة ، مشاركا اياها فى وحدة أصلها ، وقد تطور نسله فى تدرج محكم من سلالة الى أخرى ، من طين ثم ماء مهين ، حتى بلغ قمة التطور وقد سوى فى أحسن تقويم وركب فى أصلح تكوين ،فهاك به يقف على عتبة ذلك القدر اليسير ، الذى هو المانع الفاصل بين دلجة الحيوانية ومتنفس البشرية ، لا يتخطاه الا من نفخ فيه الله من روحه ، بواحدة من تلك الحدود الانقلابية الدقيقة ، فينفث فيه من عنده بالقدرة على الادراك والتمييز ٠

عقل الحيوان ، واقولها تجاوزا ، حبيس حدود من زمان ومكان فهو يعانى الوجود ، فى حين أن العقل البشرى يحقق للانسان خروجا عن الذات ، أو قل ان الذات ، اذ يصبح العالم المحيط بها موضوعا لادراكها ، فانها تتمثل فى النفس على نحو ما ٠

إضافة جديدة على قوانين التطور وقواعده

ان الحيوان ، وان كان قادرا على الانتقال ، فانما يفعل ذلك داخل حدود صارمة من زمان ومكان ، فى حين أن الانسان يمكنه الجلوس الى نفسه ، فيخطط الرحلة أزمع أن يتنقل خلالها ، على سبيل المثال ، فيما بين عدد من عواصم عربية ·· انه يبسط أمامه خريطة تبين له الطرق والمسالك التى عليه اتباعها ، ثم وسائل المواصلات المتاحة ، من سيارة أو باخرة أو طائرة ،خريطة هى صورة مجسدة من عالم الزمان والمكان الذى يتمثله عقله الواعى ، فيحسب المسافات ثم الوقت اللازم للانتقال من مدينة الى أخرى ، وما سوف يتكلفه من نفقات ·· عملية ذهنية لن تستغرق منه سوى فترة من وقت مركزة

أيما تركيز،بالقياس الى ما سوف تستلزمه الرحلة الفعلية من أيام أو أسابيع ، فترة من وقت يتسع لعقله خلالها التخطيط لتلك الرحلة فى نطاق من صورة مصغرة أو مختزلة ، للزمان والمكان ، احتواهما ذهنه بوعى من ادراك ·

العقل واكتشاف اللغة

مثل أسوقه قبل أوان ، فان ظهور الادراك العقلى عند البشر ، لم ينتقل بالانسان فورا الى القدرة على استخدام الخرائط أو ما شابه ذلك ·· وانما هى دفعة خلاقة تمكنه من تخطى الحد المانع الفاصل الذى يحتجز طاقات الادراك الحسى عند الحيوان ·· انها لم تدفع به بقوة صاروخية الى أمام ، وانما خطت به خطوة ليس الا، فى صورة من « حد انقلابى دقيق » عبر ذلك الحاجز ، لم يتخطاه الا وشيكا ، وما يزال شديد الشبه فى ملامحه وتصرفاته وأحواله بأبناء عمومته الاقربين ، أولئك الاسلاف الذين ربما تطورت عنهم القردة العليا المعاصرة لنا الآن ، يخضع مثلها خضوعا شبه مطلق لمقتضيات التطور ، الا من بارقة ادراك ، أومضت فى تلافيف ذلك الجهاز المركزى المتحكم فى تصرفات شبكته العصبية ، بارقة من ادراك تخرج به عن قيود الزمان والمكان ، فيتمثلهما فى ذهنه فى صورة من قدرة على استحضار الذكريات ، ومن ثم على تخيل الاحتمالات ، فتنشأ عنده الحاجة الى التعبير عن تلك الصور الذهنية بدقة متزايدة ، وليس أمامه الا أن يلجأ الى ترويض الاصوات الانفعالية لتصبح ألفاظا تصويرية ، محددة المقاطع ·· فان العقل لايصبح عقلا اذا لم يكتشف اللغة أداة له !

نقطة تحول حاسمة ، اذ يغوص الادراك البشرى الى ما وراء المادة ، فان الكلمة باعتبارها لفظا تصويريا ، انما فى صحيحها نوع من التجريد ، مهما كانت فظة فى دلالتها ·

نقطة تحول حاسمة ، نتيجة لدفعة خلاقة ، فيصبح فى وسع آدم أن يتعلم الاسماء كلها !

اننا أمام اضافة جديدة على قوانين التطور وقواعده، قوامها خاصية وراثية جديدة التى هى وراثية المعرفة ، الا أنه سوف تمضى آلاف من سنين قبل أن يتمكن الانسان من التطور الى ذلك المستوى الذى سوف يهيىء له قدرة متزايدة على الاعتماد على ثروات من تجارب ، تحفظها له اللغة فى مستودع مشترك تتوارثه الاجيال المتعاقبة خلفا عن سلف ·

مستودع مشترك ، هى وسيلة الانسان فيحتوى فى تلافيف ذهنه أبعادا لامتناهية من تصورات للزمان والمكان ، كما يعيها أو كما يسعه أن يتخيلها ، فيشطح الى مجالات يعجز عن ارتيادها الادراك الحسى عند الحيوان ·

فلو اننا جلسنا الى ديوان « امرىء القيس » ، لامكننا بعينى خيال ، أن نراه على صهوة جواده « مكر مفر مقبل مدبر معا ·· كأنه جلمود صخر حطه السيل من عل» فى حين أن الحيوان عاجز تماما عن أن يرقى الى ذاك المستوى من تصور ، بل عن أن يعى حتى أن اللحظة التى تحتوى وجوده انما هى جزء من امتدادات لتيار متواصل ، تواضع البشر فاطلقوا عليها اسم الزمان ، تيار انبسط خلال مساره المتواصل على أبعاد شاسعة من مكان ، كتلك المنطقة التى ارتادها « امرؤ القيس » على صهوة جواده ذاك ، نتصورها بملامح متميزة من خلال كلماته ، دون أن نكون قد وطئناها بقدم ·

تصورات اختص بها الادراك العقلى عند الانسان، الا أنها تتفاوت من حيث خطوطها العامة وملامحها الدالة من فرد الى آخر ، كل من حيث دقة انطباعات ، وقدرات ذاتية أو ملكات ·

مستودع حمل بأثقال من تجارب بشرية ، تراكمت فتنوء بها عامة العقول ، حسبها أن تلجأ الى ما عبئت به من تقاليد مؤثلة ، استقرت عبر الاجيال فى صور من تركيبات ، أحكم صقلها ، فكانت سباقة بمعناها قبل لفظها الى الاذهان ·· الا ان رواجها ، ومن ثم التهافت على تداولها ، فيما يفيد وما لا يفيد ، خلق لبريق لفظها الفة ظلت أبدا فتنة للاسماع ، بينما تضيع جدة المعانى ، وقد استهلكت من طول استخدام ، فكأنها منها خواء ·

الا أولاء الذين يصرون على التفرد من حيث تجارب نابضة بحياة ، يرفضون الالتجاء الى تلك التركيبات التى اجترت المعانى فى تكرار رتيب حتى استنزاف ·· فاذا باللغة تتجاوب ، تبذل لهم من مكنون أسرارها بقدر ما يولونها من حر وجدان ، وتتفجر أقلامهم بصور من صدق تعبير ، تنبهر لها الاذهان ، وكأن شحنت الالفاظ والتركيبات بطاقات جديدة كل الجدة من سحر بيان ·



لـؤي عجـان

مكتشفات أوغاريت واللغة الأوغاريتية

كان محمود الملا ·· الملقب بـ « الزير » يحرث حقله في « منية البيضاء » ذات يوم من ربيع عام ١٩٢٨ وفجأة ·· توقف محراث محمود ، حين ارتطم بحجر كبير في وسط الحقل · وما ان ازال الحجر حتى انكشفت له حفرة عميقة كأنها مدخل سرداب · تفحص الحفرة فوجدها تقود الى غرفة صغيرة بها بعض العظام والاواني الفخارية ·

كان ذلك في ساحل برج القصب على بعد حوالي عشر كيلومترات شمالي مدينة اللاذقية ·

ولم يسكت محمود بالطبع ·

راح يقص خبر اكتشافه المثير على جيرانه واصدقائه الذين نقلوه بدورهم مع بعض المبالغات المعتادة لجيرانهم وأصدقائهم · راح الخبر يتدحرج على كل الالسنة حتى وصل الى مديرية الاثار السورية ·

وكان مدير الاثار السورية انذاك هو الاستاذ الفرنسي شارل فيرولو الذي ارسل على التو بعثة للتنقيب في الموقع وفي رأس الشمرا الشهير بالقرب منه والذي واصل البحث في سنة ١٩٢٩ الاثري الفرنسي الشهير « كلود شيفر » الذين اقترن اسمه برأس الشمرا في الاوساط العلمية ·

ولقد اظهرت التنقيبات الاولية التي اجراها شيفر ان التل يتكون من خمس طبقات أثرية تحتوي بقايا خمس مدن تعاقبت في ذلك الموقع تعود أقدمها للألف السابع قبل الميلاد ·

مملكة أوغاريت

وانصب الاهتمام منذ البداية على الطبقة العليا التي اتضح أن تاريخها يمتد على وجه التقريب الى عامي ١٩٠٠ ـ ١٢٠٠ قبل الميلاد حيث توقفت الحياة فيها على أثر غزوات وحروب شنها قوم من سكان جزر البحر الابيض المتوسط على سوريا ومصر · وأسفرت دراسة المكتشفات عن أن هذه المنطقة تحوى بقايا مدينة « اوغاريت » التي ورد ذكرها في لوحات تل العمارين دون ان يتمكن العلماء من تحديد موقفها قبل هذا الكشف ونحن نعرف ان لوحات تل العمارنة عبارة عن ثلاثمائة لوحة فخارية معظمها باللغة الاكادية عثر عليها بعض فلاحي قرية تل العمارنة في مصر في اواخر القرن الماضي وثبت انها رسائل من مختلف ملوك وامراء كنعان وبلاد الرافدين الى اخناتون فرعون مصر الذي نادى بديانة التوحيد ، وتبين من تلك اللوحات من وثائق اخرى كشفت في أوغاريت ان المدينة كانت تخضع حينا لمصر وحينا اخر لبلاد ما بين النهرين ، وقد مر فيها الحيثيون ، ولكنها كانت في معظم الاحيان تتمتع باستقلال ذاتي تؤمنه لها تجارتها المزدهرة مع جميع الاقطار المتحضرة فى ذلك الحين ·

كان الحكم في أوغاريت ملكيا وراثيا وقد اكتشفت

اللغة الأوغاريتية وشيجة الصلة بأبجديات العصر الحديث

الى اللغات الحديثة ، وقد عهد منذ البداية امر نشر تلك النصوص الى « شارل فيرولو » الذي كان ضليعا في اللغات السامية وله دراسات واسعة في الاكاديمية· وبدأت شخصية اللغة الجديدة تتوضح تدريجيا ولم يمض وقت طويل حتى اصبح يقينا انها تنتمي الى عائلة اللغات السامية ، وخرج العلماء الذين اهتموا بدراستها · واطلقوا عليها اسم « الاوغاريتية » بنظرية اعتنقها اغلبهم ، وهي انها لغة كنعانية مثلها مثل الفينيقية والعبرية القديمة ·

وقد لفت نظر العلماء منذ البداية أن الشبه بين الاوغاريتية والعبرية لا يقف عند بعض القواعد والمفردات ، بل يتعداه الى تعابير وجمل كاملة كانت معروفة في التوراه ووجدت حرفيا في اساطير اوغاريت وقد كان ذلك مفاجأة فعلا ، خصوصا وان هذه الاساطير تسبق بما يقارب الالف عام نصوص التوراة كما نعرفها اليوم الا ان العجب زال بعد ان تأكد لدى الباحثين ان العبريين بنوا تاريخهم واقاصيصهم الدينية بالاستعارة من هنا وهناك وبالنقل على اساطير سومر وبابل واوغاريت وغيرها · وان كان الشبه بين العبرية والاوغاريتية اكثر وضوحا فسببه الجوار في السكن ، الامر الذي سهل عملية سطوهم على لغة كنعان بعد ان سطوا على ارضهم وكان الخطأ مستحكما استحكاما قويا لدرجة جعلت العلامة « فيرولو » ، في اول ترجمة له لاسطورة « كارت » يرى في بعض الكلمات والاسماء اشارة الى حوادث وأشخاص في التوراة ·

وبعد مرور ما يزيد على الاربعين عاما اتضح لدى عدد غير قليل من الباحثين ان لغة اوغاريت قد عولجت معالجة خاطئة فبالرغم من أن هذه اللغة شديدة التقارب مع عدد من اللغات السامية الاخرى فهي مستقلة ولها شخصيتها الخاصة مثلها مثل العربية

ومن المؤسف أن قواعد هذه اللغة وشخصيتها الخاصة وتركيبها الصرفي وحتى مخارجها الصوتية لم تتوضح توضيحا كافيا حتى اليوم ، كما أن الكثير من مفرداتها ترجمت ترجمة خاطئة بسبب ذلك الاعتماد الزائد على قواعد اللغة العبرية ومفرداتها ·

الدراسات الاوغاريتية

من المؤسف ايضا أن سيلا من الكتب والدراسات قد نشر ومازال ينشر عن لغة اوغاريت بعدد كبير من اللغات الحديثة بينما لا نجد باللغة العربية سوى كتابين اثنين · احدهما للدكتور انيس فريحة استاذ اللغات السامية في جامعة بيروت الامريكية ، وهو اول ترجمة كاملة الى اللغة العربية للملاحم والاساطير الاوغاريتية ، غير ان الدكتور فريحة لسوء الحظ أهمل ايفاء الشرح حقه ، فجاءت حواشيه مقتضبة ينقصها الكثير من التوضيح · كذلك فان الترجمة اعتمدت بشكل واسع على ما سبقها من ترجمات انجليزية والمانية وغيرها فوقعت في الكثير من أخطائها ونواقصها ·

والكتاب الثاني وضعه الاستاذ نسيب وهيبة الخازن وهو عرض سطحي للاساطير الاوغاريتية مع سرد بمقاطع قليلة منها ومحاولة استغلالها للتغني بأمجاد لبنان والاجداد الكنعانيين ·

وقد اخبرني المؤلف انه في سبيل اعداد كتاب اخر واعتقد ان احداث لبنان حالت دون نشره ·

اما العربي الوحيد الذي وضع دراسة فيها بعض العمق فهو المرحوم الدكتور عز الدين الياسين من العراق الشقيق في كتابه « العلاقة بين العربية والاوغاريتية » ، وقد نشر الكتاب باللغة الانكليزية في الولايات المتحدة · ولا شك أن وفاة الدكتور الياسين وهو في مقتبل العمر كانت خسارة كبيرة على الدراسات الاوغاريتية ·

ويوجد اليوم كتب على شكل دليل موسع لاثار اوغاريت صدر باللغتين الفرنسية والانجليزية ، ووضعه الاستاذ جبرائيل سعادة وهو بحاثة اثرى ومؤرخ سوري يكتب عادة باللغة الفرنسية ·

الهجرات السامية ·· واللغة

يذكر التاريخ هجرات متتالية لسكان المنطقة العربية بين اليمن وجبال البحر الاحمر نحو الشمال منذ قرون تعد بالعشرات قبل الاسلام ·

ولعل بعض هؤلاء الاقوام كونوا ما يسمى اليوم بالحضارة العبيدية ، وعلى كل حال فقد شارك بعضهم الاخر مشاركة فعالة في الحضارة السومرية وكانوا العنصر الاساسي في الحضارة الاكادية

الهجرات السامية .. وعلاقتها باللغة الأوغاريتية

لوحات ادارية ورسائل تحمل اسماء بعض هؤلاء الملوك واشهرهم « نقمد الاول » ولعله كان مؤسس السلالة الاخيرة ، ومنهم « يقارم » و « ايبيرا » و « عميستار » و « نقمد الثاني » الذي كان يخضع على ما يبدو لشوبيليوما ملك اليحثيين ويتحالف مع فرعون مصر · وكانت مملكة اوغاريت تضم مساحات هامة وعدة مدن اخرى تغطى تقريبا مجمل محافظة اللاذقية في وقتنا الحاضر ·

وكانت ميناء أوغاريت من أعظم موانيء الشاطىء السوري يسكنها خليط من الشعوب ، فقد عثر المنقبون على حي كامل كان سكانه من اهالي جزيرة كريت ، كما ان منطقة الميناء كان سكانها من اهالي جزيرة كريت ، كما ان منطقة الميناء كانت على الارجح ماهولة بجماعة من قبرص ، ولابد ان الصناعة في اوغاريت كانت مزدهرة بدليل ما اكتشف من الحلي والتحف من الذهب والعاج وغيرهما ، كما تبدو عظمة المدينة من كثرة عدد المباني الفخمة وما فيها من تنظيم يدل على الثراء ··

وركز شيفر أبحاثه في أعلا التل ولم تمض أيام قليلة حتى تكشفت بقايا بناء ضخم شيد بأحجار كبيرة منحوتة ··

ابجدية أوغاريت

وبالقرب من المعبد ، حالف التوفيق اعمال البعثة فعثرت على اهم مكتشفاتها ولعلها اهم مكتشفات هذا القرن وهي لوحات منقوشة بأحرف مسمارية · تصور المنقبون في اول الامر ان تلك اللوحات مدونة باللغة الاكادية المعروفة · الا ان الدراسات المستمرة بينت انه الى جانب اللغة الاكادية كانت هناك لغة جديدة لم يستطيعوا قراءتها ·

وانكب العلماء محاولين حل رموز تلك اللغة الجديدة فتوصل ثلاثة منهم ، شارل فيرولو وادوار دورم والالماني هانس باور الى استنتاجات متقاربة ·

لاحظ العالم فيرولو منذ البداية ان الرموز التي دونت بها اللوحات لابد ان تكون ابجدية نظرا لقلة عددها بالمقارنة الى الكتابات المسمارية الاخرى ، حيث يدل كل رمز على مقطع صوتي كامل ، وانطلاقا في هذه الملاحظة ومن الافتراض بأن اللغة قد تكون قريبة من السامية وهذا ما افترضه ايضا العالم الالماني « باور » اخذ « فيرولو » يجرب حل تلك الرموز · فتش بادىء ذي بدء عن الاحرف التي تتردد في اللغات السامية في مطلع الكلمات او في نهايتها مثل اللام ، والواو ، والتاء ، والياء · وافترض كذلك ان الكلمات المنقوشة على بعض الادوات المكتشفة في الموقع ، كالفؤوس البرونزية ليست سوى اسماء اصحاب الادوات مبتدئة بحرف اللام · وظهر ان افتراضه كان صحيحا ، وهذا ما ساعد ايضا « باور » على قراءة بعض الاحرف كاللام ، والتاء ، والنون · وامكن للعلماء قراءة بعض الكلمات مثل بن وبنت وبعل وملك وغيرها ·

ولقد كان التوصل الى حل هذه الرموز من اروع الانجازات العلمية · وفي عام ١٩٥٠ اكتشفت لوحة دونت عليها الابجدية الاوغاريتية على نفس ترتيب ابجديتنا اي أبجد هوز حطي الخ ·· وهذا يدل على وثيق علاقتها بابجديات العصر الحديث ·

اللغة الاوغاريتية

ما ان تم التوصل الى قراءة احرف الابجدية الجديدة حتى باشر العلماء محاولة قراءة النصوص وترجمتها

العقل والعلم



حكمة الله عندما خلق الانسان أن ميزه بالعقل وكان طبعيا ان يدرك الانسان بعقله هذا الكون الذي يعيش حوله وكان من واجبه ان يسخر عقله ليكشف بالعلم حقيقة الكون ، وكان اكبر ما يحققه الانسان بعقله أن يربط في بحثه دينه بعلمه ·

أي اللغات السامية .. تفرعت عنها بقية اللغات؟

والارامية ـ وهم الذين انتشروا على شواطىء شرقي المتوسط حيث خلقوا الحضارة الكنعانية التي ظلت مزدهرة رغم الغزوات الحيثية والفرعونية وغيرها الى أن أحرقتها غزوات شعوب البحر · وكان عنصر اللغة يجمع بين هؤلاء الاقوام جميعهم وآن تعددت اللهجات والتعابير لان اصلهم ولا شك واحد وتعدد اللهجات أمر طبيعي ياتي عن اختلاط جماعة بأخرى تختلف معها لغة ونشاهده حتى اليوم في مجتمعنا العربي حيث يتكلم ابن الخليج مثلا بلهجة تختلف عن تلك التي يتكلمها ابن سورية كما تبعد بعدا شاسعا عن تلك التي يتكلمها ابن الجزائر · ولولا فضل وجود القرآن الكريم وتمسك العرب بتراثهم لما حافظت اللغة العربية على سيطرتها ولضاعت لغة قريش كما ضاعت أو تطورت غيرها من اللهجات العربية ولا نقلب تعدد اللهجات مع مرور الاجيال الى تعدد لغات ·

وهكذا ، بالرغم من ان الاصل كان واحدا فان اختلاف البيئة والاختلاط مع اقوام آخرين يختلفون باختلاف المنطقة التي كان يحل فيها النازحون من الجزيرة العربية ، جعل اللغة الاكادية مثلا تسير في اتجاه مخالف للغة الاوغاريتية وان كان انتماءهما لنفس الاصل ، فقد ابتعدتا تدريجيا حتى أصبحت كل منهما لغة مستقلة ·

العبريون .. والسامية الاولى

اما العبرية التي درج اللغويون على اعتبارها من عائلة اللغات السامية ، فلعلها تكونت بطريقة تختلف عن تكوين اللغات السامية الاخرى · فمازلنا حتى اليوم في شك من أصل العبريين وان كان نفر قليل منهم ينتمى الى ابراهيم عليه السلام فان معظمهم كانوا شراذم من رواد الافاق يعيشون على هامش الحضر وكان سكان في الالف الثاني قبل الميلاد يسمونهم « الهبيرو » أو « الخبيرو » أو « الخفيرو » ، ويغلب الظن انه لم يكن لهم أصل واحد · وقد كونوا لغتهم بالاستعارة من لغة كنعان الاصلية بعد أن أدخلوا عليها بعض تعابيرهم ومن هنا نشأ ذلك التقارب بين الاوغاريتية والعبرية · ويجب أن لا يفوتنا أن تدوين التوراة لم يبدأ الا حوالي عام ٩٠٠ قبل الميلاد ، أي بعد مرور ثلاثمائة عام على ذهاب مدينة

« أوغاريت » · فلا مجال اذن للزعم مع الزاعمين أن العبرية كانت الاصل والاوغاريتية الفرع ·

وان كنا لا نعرف يقينا أي اللغات السامية هي اللغة الاولى التي تفرعت بقية اللغات عنها فان خروج الهجرات السامية من الجزيرة العربية يدعونا الى التطلع نحو هذه المنطقة بحيث يمكن أن نعتبر دون الابتعاد كثيرا عن الصواب ، ان اللغة العربية التي سلمت الينا دون تشوية عبر الاف السنين ، هي اللغة التي ظلت اجيالا ثابتة وراء مئات الاميال في الصحراء دون تلويث ، اذا صح التعبير ، ويصبح من حقنا التساؤل فيما اذا كانت هي اللغة السامية الاولى خصوصا أننا لا نجد سواها في الجزيرة العربية وان اختلفت بعض لهجاتها حيث ان جميع اللغات السامية الاخرى نمت خارج نطاقها وباتجاه الهجرات التي خرجت منها اما شمالا في سورية والعراق وجنوبا في الصومال والحبشة ، او غربا في مصر وهكذا يكون من المفيد الرجوع الى اللغة العربية وقواعدها ومفرداتها في دراسة اي لغة سامية اخرى ·

الاوغاريتية والعربية

أما بالنسبة للغة أوغاريت ، فان قربها من اللغة العربية أمر واضح ، وعلى الاخص في المفردات وبعض العبارات العربية القديمة ، منها عبارات حار في تفسيرها العلماء الاجانب الذين اعتمدوا كما قلنا على العبرية بالدرجة الاولى ، وقد توصلنا الى تفسيرها



على الباحثين في لغة أوغاريت أن يدرسوا اللهجة المحلية .

تفسيرا صحيحا بالرجوع الى قواميس اللغة مثل تاج العروس ولسان العرب ، وغيرهما · ونورد منها على سبيل المثال ما يلي :

- نجد في بداية ملحمة (كارت) أن بعض اولاده أودى بهم « غلم يم » وقد فسرت العبارة تفسيرات شتى بعيدة كل البعد عن النص الى ان وجدنا في القواميس عبارة « اغتلم البحر » بمعنى هاج ، فاصبح المعنى واضحا من حيث ان الاطفال ذهبوا ضحية هيجان البحر فغرقوا فيه ·

- وفي مكان اخر يفسر المترجمون عبارة « لحمك ذو نزل » تفسيرات مضحكة معتمدين على طقوس التوراة في الذبيحة عند اليهود ، فوجدنا في القواميس أن عبارة « طعام ذو نزل » تعني « طعام ذو بركة » وكان المعنى يتفق اتفاقا تاما مع النص ··

- وردت في مكان اخر عبارة « ابن يدك شرقت » وقد ترجمت كلمة « ابن » استنادا الى العبرية « حجر » وعندما وجد المترجمون أن « حجر يدك » لا معنى لها خصوصا وانهم عجزوا عن تفسير « مشدقت » قال بعض ان المقصود « بابن يدك » هو المقلاع · وبعد الرجوع الى العربية رأينا ان المعنى الصحيح يجب ان يكون : ابعد « ابن ، من بون » يدك عن الاقواس ··

وذلك بعد ان اعتبرنا الميم في اول « مشدقت » بمثابة حرف « من » و « شدفت » بمعنى « شدفاء » وهي القوس المحدبة أما التاء في أخر « مشدفت » فهي علامة الجمع المؤنث في الاوغاريتية « كذلك في العبرية » وهناك عشرات ولربما مئات الامثال في هذا النوع تنتظر من يكشفها ويصححها ، ويثبت ما أثبتناه ان لغة اوغاريت مشتقة من اصلها العربي القديم ·

أدب أوغاريت

درج اللغويون على تسمية اللوحات المدونة بالاوغاريتية باللوحات الادبية بالمقابل مع اللوحات الادارية التي دون معظمها بالاكادية · ويمكن تمييز نوعين من اللوحات الادبية احدهما يسرد قصص الهة اوغاريت مثل « بعل وعناة وموت ويم » فيحكي مثلا قصة الصراع بين موت وبعل وبين يم وبعل كذلك قصة بناء قصر البعل · ومازال الباحثون يفتشون عن مغزى هذه الروايات ويعطونها تفسيرات شتى · أما النوع الثاني فهو بمثابة ملاحم تروى حوادث بطولية الملوك مثل كارت اولا تصاف الهة مثل (اقهت) ومن النظريات التي تلقى رواجا متزايدا ان الاساطير اليونانية ربما استقت بعض حوادثها من اساطير وملاحم اوغاريت وهذا فضل اخر للعرب على الحضارة الانسانية وادابها ··

وقد دونت هذه الاساطير والملاحم باسلوب شاعري جميل تغلب عليه صفة الشعر المنثور يتبع بعض الاوزان احيانا والسجع ولعل الباحث العربي في ادب اوغاريت يشعر اكثر من غيره بالصلة العميقة بين الاوغاريتية والعربية · ففي ملحمة « كارت » مثلا يصف الملك محبوبته حورية بانها :

وكنعم عنت نعمة
التي كنعومة عناة نعومتها
كمتسم عنترت تسمه
كما وسامة عشتروت وسامتها
اشل بصف عنه
اسلوا بصفا عينها

ويصف جيشا كبيرا يتقدم في الصحراء بانه :

كم حسن فات مدبر
كما الجراد يظلل الصحارى

ويصف شدة الحزن عند فتاة بقوله :

تشت كيني ادمعت
تسكب كالخمر الدموع الى ان تشبع بكاء
عد تشبع بكى ··

وفتاة اخرى :

بت همهها دنني ··
فتاة شكواها دندنه

مكتشفات أوغاريت

وتتضمن احدى الاساطير آوامر يصدرها بعل تدل على ان اهل اوغاريت كانوا من محبي السلام والوفاق حيث يقول سول بعل مخاطبا الالهة عناة :

تحم علـى بعـل

قرار علـي بعـل

قربي بارض ملحمت

ابعدي عن الارض القتال

شت بعفـــردد يم

اسكبي في التراب المودة

سك شلم لكبدارحى

حبي السلام في كبد الارض

عرب دو لكيـــد شـدم

ادخلي الحب في كبد الحقـول

فاذا ما قرنا المفردات الواردة في هذه الامثـلة وجدنا ان معظمها يمكن ان يكون عربيا مائة بالمائة ، اما صعوبة قراءتها فتعود لكون الابجدية الاوغاريتية خالية من احرف العلة فكلمة من حرفين مثل بن يمكن ان تقرا كذلك بنى او بان او بين · وغلام تكتب غـلم والى ذلك ··



دور القـدر

عندما تمسك بخيوط مستقبلك عندما ترشف العـلم من منبعه الى مصبه ، لا تخدع نفسك فان القدر له دور معك لا تفصله ولا تحاول ان تتجاهله ·

وبالاضافة لما تحويه من كلمات من اللغة الفصحى فان لغة اوغاريت تحوى كلمات كثيرة نسمعها يوميا في اللغة الدارجة في منطقة اللاذقية بعضها يكاد يكون استعماله محصورا بتلك المنطقة · منها مثلا فعل « عين » بمعنى (نظر) وهو اوغاريتي ، ويستعمل اليوم في مدينة اللاذقية وجوارها فقط ، ويقال ان السوريين في خارج اللاذقية يستعملون هذا الفعل احيانا لمداعبة اهالي اللاذقية بشأن لهجتهم · ومنها ايضا فعل « مقت » بمعنى (زعل) او اكتاب وليس بمعنى بغض او كره وهو المعنى الصحيح لغويا · ومن بقايا العهد الاوغاريتي زيادة غريبة تدخل على اخر الفعل في بعض الحالات بقصد التاكيد والاغرب ان هذا محصور في حي من الاحياء في اللاذقية حيث يقال مثلا « اكلتهني » بدلا من (اكلناه) و « ضربوهني » بدلا من (ضربوه) و « اتركوهنى » بدلا من (اتركوه) وما الى ذلك ··

وهكذا يكون من الضروري للباحث في لغة أوغاريت أن يدرس اللهجة المحلية لعله يجد فيها ايضاحا لما تعذر تفسيره على غيره وقد اخذت بالاعتبار كافة ما ذكرت اعلاه من ملاحظات في دراسة اجريتها على ملحمة « كارت » وتوصلت الى نتائج اعتقد انها صححت بعض الاخطاء وان كنت ادعى توصلي الى الحقيقة الخالصة او الى جلاء جميع الغوامض وآمل ان اوفق الى نشر الدراسة في وقت قريب نشرا علميا مستوفى ·

هذا عن أوغاريت وحضارتها وادبها · وهنا لابد من التذكير مرة أخرى أن اكتشاف تلك المدينة كان ولا شك أعظم كشف أثرى في القرن العشرين ، ليس بما قدمه من كنوز مادية بل بما اضـافته الى ركب حضارتنا من علم وادب ، ووثائق جعلت العلماء يعيدون النظر في حقبة هامة من تاريخ الشرق العربي حيث توضح الدور الكبير الذي لعبته الحضـارة الكنعانية في الفترة التي سبقت الاحتلال العبري وتدوين التوراة ، وانكشفت أمور هامة ظلت خافية طوال ثلاثين قرنا ·

وما زالت التنقيبات جارية في رأس الشمرا ، وما زالت المكتشفات تزداد عاما بعد عام وتزودنا بوثائق هامة للتاريخ واللغة ·

من تجاربي الشخصية

لست انا الذي اكتب .. انني املي ·

وتجربتي مع الايام .. تجربة مظلمة ومضيئة · يائسة ومتفائلة · عبرت على طريق الاشواك النفسية ، وهاأنذا ـ اخيرا ـ اهنأ من وخزها ·

لا اريد ان اطيل عليكم .. فقد ولدت ضريرا !..

استقبلتني قريتي بالحزن .. بالفرح ! وعندما ولدتني امي على هذه « الصورة » لابد ان تعاستها كانت فوق مستوى الالم .. ليس لانها انجبت الى هذا العالم طفلا كفيفا فقط .. وانما لان هذا الطفل ـ فلذة كبدها ـ يبدا رحلته مع الحياة بعينين مطفأتين · وكم هو مؤلم ومعذب ذلك الشعور في نفس الام !!

على ان امي ـ وهي تعاني مأساتي ـ لم تسلم من التعليقات المثيرة للاحزان وللاسى · قالت لي امي بعد ان اصبحت ارى الاشياء باذني :

ـ كانت نساء القرية ـ يا بني ـ يلمنني لانني انجبتك .. وكانني انا الذي اخترت ان يولد طفلي فاقد البصر !..

وعندما كنت اسمع هذه الكلمات من امي ـ صغيرا ـ كنت افكر في عذاباتها ، بنفس القدر الذي ـ ربما ـ كانت تفكر به في عذاباتي !..

ولانني لم اكن العب مع الاطفال .. مثل كل الاطفال .. اصبح لي عالم خاص · عالم داخلي اترك فيه وحدي وكنت الجأ بكل محتويات هذا العالم الى صدر امي .. اغرق في حنانها ، حتى صار هذا الحنان هو الضوء الحقيقي في بصيرتي ·

فلما وجهني ابي الى حفظ القران في « كتاب القرية » .. احسست انني وضعت قدمي على طريق مبصر · اراه بذاكرتي واحساسي وقدرتي على التركيز ، والحفظ والاستيعاب · ولست ادري ـ حتى الان ـ لماذا كان « الفقي » يلهب ظهر يدي بعصاه .. بل ايدي زملائي جميعا ، دون ان يرحم كفيفا ، او مبصرا · وعلى الرغم مما لاقيته من عنت « الفقي » وعصاه .. الا انني كنت احس احساسا عميقا ومضيئا بان « القران الكريم » كان هو بصري الحقيقي في هذا العالم المظلم المعتم · استضيء به فيمنحني الراحة ، والاطمئنان ، والامل ·

وعندما انتهيت من حفظ القران كله .. لم يكن عمري قد تجاوز العاشرة · لكنني في واقع الامر ـ نفسيا وعقليا ـ كنت اكبر من هذه السن بكثير ·

وبينما ابي يعدني للالتحاق بالازهر .. كنت اشحن روحي بقوة هائلة من الامل في ان القران الكريم ، يأخذ بيدي الى مرحلة جديدة من مراحل النور في حياتي · فلما قطعت سنوات الدراسة في المرحلة الابتدائية .. وصلت الى معنى ان النور ليس فقط في العيون .. لكنه في العقل والقلب · وكم استمتعت في تلك السن المبكرة الى [illegible] تبصري .. فزعجني انهم غير قادرين على الرؤية · وان الحياة لا تشغل اعينهم مثلما تشغل عقلي وقلبي وروحي ..

ها انذا اجتاز المرحلة الثانوية .. واصبح في عداد الرجال ·

عندما اعلنت نتيجة الامتحانات .. كان تقدير اهل القرية لنجاحي اكثر بكثير من تقديرهم لنجاح الاخرين المبصرين من ابناء القرية · وليلتها .. احسست انني ارى اشياء لم ارها من قبل ، اذ احسست بتلك التهاني · شعرت في صوت امي وهي تتقبل التهاني · شعرت ليلتها انني اقدم لامي حشدا هائلا من الاعتذارات ، عن تلك الاحزان التي اصابتها بسبب مولدي · وليلتها ايضا ايقنت ان العلم ـ وليس نور العيون فقط ـ هو الذي نبصر به الطريق · بل ونصنع به النور في افاق الاخرين !..

● ★ ●

انني اكتب هذه التجربة لقراء مجلة « الدوحة » وانا ابدا عامي الدراسي الاول في كلية اللغة العربية · زمان كنت موضع اشفاق الاخرين · وكان ذلك يحزنني لبعض الوقت · والان القى احترام الجميع .. الزملاء والاساتذة واهل القرية · وذلك يسعدني كل الوقت · بل ويمدني بطاقة هائلة من الامل ومن الثقة في النفس ، والايام ، والمستقبل · لا استطيع ان اتصور مدى سعادتي حين انتهي من دراستي الجامعية · وحين اواصل دراساتي العليا حتى احصل على اعلى الشهادات · لكنني واثق من انني سأدرك حجم تلك السعادة التي سوف تحس بها امي عند ذاك · فلكم تحملت كثيرا من العذاب من اجلي · وكان عذابها الاشد حين كنت ـ صغيرا ـ اتحسس وجهها بيدي الصغيرتين محاولا ان اراه بذاكرتي وتصوراتي · وكنت ومازلت اتصور وجه امي هو النور الذي لم اره في حياتي · لكنه نور يضيء في قلبي وفي روحي وفي ايماني بان الانسان لا يعرف المستحيل · وان الجنة ـ حقا ـ تحت اقدام الامهات ·

ايها القراء الاعزاء الذين سيبصرون كلماتي التي لم ابصرها بعيني · انني اكتب اليكم بصوت نابع من اعمق اعماق الاحساس بالرضا ، والمحبة ، والامل · ولعلكم تفيدون من تجربتي · فما كتبتها الا لكي اضيء قلوبكم بالايمان ، وخطاكم بالاصرار ، وصدوركم بالتفاؤل ...

* محمد عبد العاطي مسعود الدميري
جمهورية مصر العربية
محافظة الغربية ـ مركز قطور ـ بريد الدميرى ·



الأرض : قمة الواقعية فى رحلة السينما المصرية

فجر يوم جديد : قدرة على تكوين اللقطات

جميلة بوحريد : فيلم عن نضال الجزائر

فى باب الحديد : تبلغ قمة نضجه السينمائى

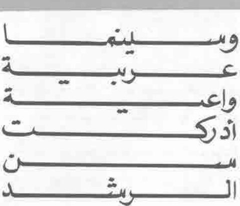
صراع فى الوادى : كان فيلمه الخامس ولكنه بداية الطريق

عبد الوهاب الشرقاوي

في السطور القليلة التي كتبها المؤرخ السينمائي « جورج سادول » عن مصر في تاريخه للفن السينمائي ‥ يقول : « وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو تكونت شخصيتان شائقتان : يوسف شاهين الشاب العائد من هوليود - وصلاح أبو سيف - وقد ترك الاثنان الاستديو الى الهواء الطلق وعبرا بمقدرة عن بؤس الفلاحين في خلفية الاحداث ‥ وفضحا سيطرة الاقطاع في فيلم (صراع في الوادي) و (الوحش) عام ١٩٥٤ ‥ وكانت السينما المصرية ترمي احيانا الى الابتعاد عن الشكل الهوليودي لتلتفت على استحياء نحو الواقع الوطني » ٠

ويعتبر المخرج : يوسف شاهين من أوائل المخرجين الذين برزوا بعد ثورة ١٩٥٢ وذلك بفيلمه « صراع في الوادي » عام ١٩٥٤ ٠ وكان الفيلم الخامس من اخراجه بعد فيلمه الاول « بابا أمين » عام ١٩٥٠ ٠ وعلى امتداد خمسة وعشرين عاما منذ أول أفلامه حتى اخرها « العصفور » استطاع من خلال مجموعة منها ان يحافظ على مكانه في الصف الاول من المخرجين العرب ٠





البداية ‥ والظاهرة المتميزة

ورحلة يوسف شاهين مع الفن تبدا عام ١٩٥٠ عندما وقف لاول مرة وراء الكاميرا ليخرج اول افلامه « بابا امين » ٠ كان وقتها أصغر من الممثلين ، ومن مدير التصوير ، وعمال الكهرباء ٠ بل كان اصغر مخرج في العالم العربي ، وربما في العالم ‥ وقبل ذلك بسنتين كان قد ذهب الى جامعة « باسادينا » في امريكا لدراسة الاخراج والتمثيل ٠ وهناك اكتشف انه لن يكون ممثلا نجما كما كان يريد في بدء حياته الفنية ‥ لان السينما في مصر وخارج مصر ٠ لها نماذج معينة من النجوم هو لا يشبه واحدا منهم ‥ لهذا ترك التمثيل واتجه نحو الاخراج ٠

بداية الواقعية

بدأت أفلام يوسف شاهين في الظهور حتى كان فيلم « صراع في الوادي » عام ١٩٥٤ الذي لفت اليه نظر النقاد لما حققه من مستوى ممتازا في الاخراج ٠ كما أنه يعتبر أول فيلم مصري يهاجم الاقطاع ٠ وذلك من خلال قصة شاب اسمه « أحمد » عاد الى قريته في الصعيد بعد أن أصبح مهندسا زراعيا لكي يحاول تحسين زراعة قصب السكر ٠ غير أن جهوده لمساعدة الفلاحين الصغار تجد معارضة شديدة من الباشا الذي يخشى هذه المنافسة الشريفة ‥ ولكي يتخلص من « أحمد » يدبر الباشا جريمة قتل في القرية ‥ ويتهم والد « أحمد » البرىء بأنه القاتل ، ثم يحكم عليه بالاعدام ٠ ولكن « أحمد » يستمر في صراعه ضد الباشا ورجاله حتى يتمكن في النهاية من اثبات ادانته ٠ ويعترف الباشا بجريمته ٠ وجنبا الى جنب مع قصة هذا الصراع تسير قصة حب عنيفة بين احمد « عمر الشريف » ، وابنة الباشا « فاتن حمامه » ٠ وينتهي الفيلم بانتصار الفلاحين الصغار وزواج احمد وابنة الباشا ٠

باب الحديد

ثم قدم يوسف شاهين بعد ذلك تجربة فنية رائعة هي فيلمه « باب الحديد » الذي يعتبر واحدا من احسن عشرة أفلام ظهرت في تاريخ السينما المصرية ‥ وفيه يبلغ قمة نضجه السينمائي والفكري ٠

وتجرى حوادث الفيلم كلها في محطة سكة حديد ، ويقدم قطاعا صغيرا من الحياة ٠ قصة مجموعة من الناس جمعها مكان واحد هو « باب الحديد » ٠ احدهم « قناوي » بائع الصحف (يوسف شاهين) المشوه جسديا ، لا أحد يعرف حقيقته ، ويعيش في وحدة

يوسف شاهين

وسينما عربية واعية ادركت سن الرشد



قاتلة .. وهناك ايضا بائعة الكازوزة « هنومة » والتي تحلم بأن يتزوجها أحد شيالي باب الحديد .. والشيال الذي يريد أن يتزوجها « صابر » الذي يحاول تجميع حمالي المحطة في نقابة تحمي حقوقهم في مواجهة سيطرة معلم عجوز يسخر جهودهم لصالحة الخاصة .. أما « قناوي » فهو يحب « هنومة » . ويتمنى ان يتزوجها ، ولكنها تسخر منه ومن فقره وعاهته . وعندما يكتشف انها لن تكون له يفقد عقله . ويقرر أن يقتلها حتى لا يتزوجها « صابر » .. ولكنه يقتل فتاة اخرى خطأ .. وفي النهاية يقبض عليه ويساق الى مستشفى الامراض العقلية .

وقد اشترك في بطولة هذا الفيلم الى جانب يوسف شاهين ، هند رستم ، وفريد شوقي ، وحسن البارودي ..

وهذا الفيلم استقبله النقاد بحماس شديد . كان جديدا أو مختلفا عن الافلام المصرية عموما باحداثه وموضوعه ..

أفلام وطنية

بعد « باب الحديد » قدم يوسف شاهين افلاما منها « جميلة بوحريد » وقصة الفيلم ماخوذة عن قصة حقيقية حدثت اثناء ثورة الجزائر .. وهي قصة تعذيب المجاهدة الجزائرية « جميلة بوحريد » .. وكان هذا الفيلم أول فيلم مصري يعالج ثورة قطر شقيق ويسلط الضوء على فظائع الاستعمار .



محمود المليجي

وهناك « الناصر صلاح الدين » الذي يعتبر أرفع الافلام التاريخية العربية على الاطلاق . وقد سار هذا الفيلم بصناعة السينما العربية شوطا بعيدا الى الامام .. انه نقلة واسعة من افلام الصالونات .. الى الانتاج الضخم الذي يقف جنبا الى جنب مع افلام هوليوود التاريخية ..



وفي فيلم « فجر يوم جديد » قدم لنا يوسف شاهين فيلما يتناول التغيرات الاجتماعية التي حدثت في مصر بعد عام ١٩٦١ .

وفي هذا الفيلم ظهرت قدرة يوسف شاهين على تكوين اللقطات . تلك القدرة التي برزت في اعماله التالية بحيث أصبحت تشكل سمة أساسية من سمات أفلامه .

وبعد هذا الفيلم قدم خارج مصر عدة افلام لم تكن في مستوى أفلامه السابقة .. لانه ليس مخرجا تكنيكيا ، وانما هو فنان يحاول التعبير من خلال عمله السينمائي عن مجتمعه ، وحسب فهمه وإحساسه العميق بالواقع المصري .



يوسف شاهين

الارض والفلاح

وبعد انتهاء هذه الفترة من حياة يوسف شاهين يعود الى مصر ·· وتبدأ مرحلة تفتحه السياسي الاكثر جرأة ووضوحا ·· ويقدم فيلم « الارض » قصة الاديب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي · وسيناريو حسن فؤاد · وقصة الفيلم تتناول أوضاع الفلاحين المصريين في الثلاثينيات ، ومن خلال الصراع بين السلطة الاقطاعية والفلاحين الذين يناضلون من اجل الاحتفاظ بارضهم ·

وعندما شاهد الناقد الفرنسي « جان لوى بارو » فيلم « الارض » اثناء عرضه في باريس ·· قال :

« لقد وجدت في فيلم « شاهين » سينما عربية واعية ادركت سن الرشد ، وأخذت تعالج مشكلات على جانب كبير من الاهمية ، ليس بالنسبة لمصر والعالم العربي فحسب ، وانما ايضا بالنسبة للحضارة الانسانية بشكل عام ·· فمشكلة الارض والسلطة التي تستغل الفلاحين قد تكون أحد المشكلات الهامة بالنسبة لمصر ، ولكنها تخص ايضا الفلاحين الفرنسيين على سبيل المثال ·· ان فيلم « الارض » ليس حدثا بالنسبة للسينما العربية وحدها ولكن بالنسبة للسينما العالمية ايضا » ·

سعاد حسني وعزت العلايلي



وقد نال هذا الفيلم اكثر من جائزة عالمية ·· منها جائزة مهرجان قرطاج السينمائي عام ١٩٧١ ·

وفيلم « الارض » قام ببطولته : محمود المليجي ، ويحيى شاهين ، وعزت العلايلي ، ونجوى ابراهيم ·

الاختيار : مرحلة جديدة

اذا كان فيلم « الارض » هو قمة الواقعية بالنسبة ليوسف شاهين ·· فان فيلمه التالي « الاختيار » يعتبر بداية مرحلة جديدة في حياته الفنية ·· يتحرر فيه من البناء الدرامي التقليدي · فليس هناك التزام بتتابع منطقي للاحداث وانما كل الالتزام بتحليل الشخصية والسلوك ·

وفي هذا الفيلم يكشف المخرج عن نمط من المثقف البورجوازي الذي يتطلع الى السلطة والذي يبيع كل شيء من أجل شقة فاخرة ورحلة الى باريس ويقتل الروح الباقي نفسه ــ من أجل أن يستمر في الصعود ·· ويكون وعيه في النهاية بما يفعل مأساة تؤدي به الى الجنون ·

والفيلم سيناريو نجيب محفوظ ويوسف شاهين ، وبطولة سعاد حسني ، وعزت العلايلي ، ومحمود المليجي ·

وقد منح هذا الفيلم الجائزة الكبرى في مهرجان الايام السينمائية بقرطاج ·· وجاء في بيان لجنة التحكيم عن الجائزة :

« منحت الجائزة الذهبية الكبرى للمخرج يوسف شاهين تقديرا لمجموع اثاره السينمائية التي تمثل منذ أكثر من عشرين عاما مسيرة اخلاقية وفنية ونضالية جديرة بالاقتداء ·· وخاصة بالنسبة لفناني العالم الثالث ·· وكذلك من اجل الجدة والطرافة التي ينقد بها « الاختيار » ـ هذا الفيلم الشجاع ـ بعض القيم والتصرفات التي يتصف بها المثقفون في ذلك العالم الثالث ذاته » ·

وبهذه الجائزة التي تعد من أهم جوائز سينما العالم الثالث حقق يوسف شاهين نصرا كبيرا للفيلم المصري والسينما المصرية كلها ·· وأعطى لكل سينمائي اصيل على ارضنا العربية سلاحا يدافع به ضد كل الذين يريدون للسينما أن تظل على هامش الحياة ·

وأخيرا ·· بعد فيلم « الاختيار » قدم يوسف شاهين فيلم « العصفور » ويتناول بشكل موضوعي الايام السابقة للنكسة والعوامل التي أدت اليها ···

للمرة العاشرة أعاد قراءة الخطاب في الضوء البارد الابيض وهو يواجه الجدران الرمادية ، حفظ محتوياته عن ظهر قلب ٠٠ ومع ذلك قرأه مرة أخرى :

ـ « يؤسفنا أن نبلغك أن الاعتماد المالي المرصود لاجراء الابحاث حول تأثير الجرعات الاضافية من الهرمونات والعناصر الايزوتوبية على الكائنات الفقرية قد نفذ ، وعليه فان المعمل رقم ١٢٨ سوف يحول للبحوث الخاصة بالوراثة تحت اشراف البروفيسور خوسى ابتداء من الاسبوع القادم ٠٠ » .

التوقيع : مدير معهد الابحاث
راسم مجيد

هل هذه طريقة مهذبة لابلاغه أن عليه أن يختار بين البقاء في بيته أو الهجرة لمحطة ناشئة في أحد الكواكب البعيدة ؟ هل كشفه راسم مجيد ؟ هل عرف أن معدل ذكائه أعلى من المتوسط ، وأنه منذ عامين لم يتناول الجرعات الاجبارية من عقاقير شل الذكاء ؟٠٠

قرع الباب ودلف للمكتب الدكتور « صافي » أحد تلامذة البروفيسور « ادم القدامى » . أشار « ادم » للخطاب وقال لتلميذه :

ـ « هذه هي النهاية ٠٠ »

حاول « صافي » أن يسرى عن استاذه وقال له :

ـ « أنت تعلم أنه لا يحبك ٠٠ »

ورد « أدم » :

ـ نعم ، والسبب أنني رفضت ان أعمل معه في مشروعه الجنوني لانشاء جيش من الرجال المتماثلين ٠٠ »

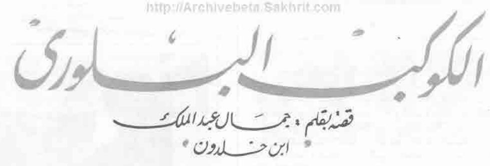
قال « صافي » ضاحكا :

ـ « تقصد التوائم الناشئين من انقسام بويضة واحدة بطريقة الكلون ٠٠ انها من خيالات الجنرالات في وزارة الدفاع ٠٠ » .

قال « ادم » :

ـ « أكدت له أن الانسان الالي أو (الروبوت) أفضل ، وأكفأ ، وأوفر أيضا ، لان ذكاء توائم (الكلون) منخفض ، ولكنه ظل يلح على انتاج رجال متشابهين لهم نفس الطول واللون والملامح ومن انتاج معمل مدينة الاحياء !! » .

قال « صافي » :





ـ « انه يبدو حريصا على النظام في الكـــون ! » فمازلت اذكر كيف استقبلني عندما حضرت الى مكتبه لاول مرة ٠٠ قرأ على الامر العالي رقم ســبعين لعام ٢٠١٩ ، واعلن انه يتمسك به ، ويراقب تنفيذه بدقة ٠ ثم اهداني تذكرة لمشاهدة مسرحية (ترويض المهـر الجامح) ، وفي اليوم التالي سألني عن مضـمـون المســرحية ٠٠ فقلت له مضمونها أن ذكاء المـرء محسوب عليه ، واكد هو ان الاذكيـاء هم ســـبب المشاكل في العالم ٠٠ »

وابتسم « ادم » بمرارة وهو يقول :

ـ « أعرف رأيه بالضبط ٠٠ اعرفه ٠٠ القرار العالمي رقم سبعين ينص على ان اي شخص يزيد معدل ذكائه عن ١١٠ يجب عليه أن يبلغ أقرب مصحة ويضـــع نفسه تحت تصرف الطبيب المناوب الذي يقيس ضـغط دمه ثم يلزمه بتناول الحبوب الصفراء ٠٠ الحقيقة ان جميع المؤسسات أهملت هذا القرار خاصة بعد قيام مستوطنات في المريخ واكتشاف وجود كائنات عاقلة حول مجموعة الالفا قنطورس ٠٠ »

تنهد « ادم » وقال :

« لابد من طريق للخلاص ٠٠ »

قال « صافي » :

ـ « كايبن ! اي اسم هذا ٠٠ كايبن ؟! » ٠

ـ « كايبن ٠٠ او الكوكب البللورى ٠٠ تســكنه كائنات ؛ تحلق بأجنحة شفافة في أجواء قليلة الجاذبية حيث الضوء يرتعد وينكسر فوق بللـــورات السـليكون ٠٠ انظر ٠٠ انظر ٠٠ معي بعض الصـور التي التقطها الرواد ٠٠ » ٠

وضع « صافي » شرائح شفافة في جهاز العــرض وضغط زرا فأضاءت لوحة عريضة وظهرت عليهــــا صورة مجسمة للكوكب كايبن ٠٠ على اية حال مكـان لا يطبق فيه الامر العالمي رقم سبعين لعام ٢٠١٩ الذي صدر عقب الحرب العالمية الذرية الاولى الـــتي هددت الحضارة الانسانية بالدمار والفناء ٠ لقـد أستمرت الحرب ساعات ولكن عندما عاد السلام كانت عواصم العالم قد دمرت ، وحلقت سحب الاشعاع السامة فوق نصف مساحة الارض ٠٠ وبعد دفن القتلى واســعاف الجرحى وتحصين الاحياء ضد الاشعاعات ، تشكلت لجان دولية لدراسة أسباب الحرب الذرية والوسائل الكفيلة بمنعها تماما ، واقرار السلام الدائم ، ونـزع الاسلحة الذرية ٠ وقررت تلك اللجـــان التي اهتمت بتمثيل اوساط الناس ، قررت أن الحرب الذرية اشتعلت بسبب التنافس الشديد على النفوذ بين شخصيات ذكية جدا وطموحة للغاية ٠ وقالت اللجان انه بسبب هؤلاء تعرض مستقبل الحضارة لخطر الفناء الشامل ، وهكذا صدر الامر العالمي رقم سبعين الذي ينص على ان كل من يزيد معدل ذكائه عن ١١٠ يجب اجباره عـــلى تناول الحبوب الصفراء لتخفيض ذكائه ، على ان هذا الامر جرى تعديله فيما بعد بحيث سمح للدولة بتوظيف نسبة محدودة من ذوى المعدلات العــــالية للذكاء في بعض الادارات مثل :

● ادارة اكتشاف الفضاء ٠٠ وادارة البحوث ٠ واثناء ذلك أعلن البروفيسور « خوصى » نظريتــه المشهورة ٠٠ التي يقول فيها ٠٠

ـ « ان الحضارة الانسانية قد دخلت مرحلة اضطهاد النجباء ، لان الذكاء البشــري يقترن بالطمـــوح ،

وفي عام ٢٠٢١ أصدر « خوصى » كتـابه المعروف الذي أصبح مقررا على طلاب المدارس العليا والذي أعلن فيه أن على الانسانية أن تختار البقـــاء والذكاء ، وان الذكاء الانساني نوع من الترف الـــذي لم تعد الحضارة تحتمل وجوده بمعدلات عالية ، وقد تلقف الحزب الالكتروني هذا الشعار واتخذه عنـوانا لحملته الانتخابية للوصول الى السلطة ٠ وعندمـــا



الكوكب البلوري

فاز مندوبوه عام ٢٠٢٣ صدر قانون يلزم جميع السكان بالخضوع لقياس معدلات ذكائهم شهريا واشترت الدولة ملايين الاجهزة لهذا الغرض وهي أجهزة وضع تصميمها راسم مجيد وصديقه الحميم البروفيسور « خوصي » .

●★●

ولكن بعد بضع سنوات حدث نوع من التراخي في تنفيذ الامر رقم سبعين ، وتوسعت ادارة اكتشاف الفضاء ، ذات النفوذ القوي ، في تعيين النجباء ، مما دعا البعض لان يطلقوا عليها اسم « نادي العباقرة » وأصدر اعضاء النادي بيانا قالوا فيه ان بقاء الحضارة مرهون بانتشار الانسان في الكون ، وان الذكاء الانساني ضروري لاقامة مستوطنات متحضرة على الكواكب المكتشفة حديثا .. كما قدم البروفيسور ادم دراسة تؤكد أن ارتباط النوازع العدوانية بالذكاء ليس حتميا بل يعتبر الجنوح العدواني تعويضا عن فقدان القدرات العقلية ، وفتحت هذه الدراسة الجراح القديمة ..

وفي جامعة « ماسيدونيا » اعتقل ثلاثة من العلماء اتهموا بانهم يتمتعون بمعدلات ذكاء تزيد عن الحد المسموح به قانونا ، .

ومع ذلك فقد بدأت حملة مضادة بداها رائد الفضاء « زكريا » الذي قاد أول مركبة فضائية اخترقت حاجز الزمن لتصل الى الشعرى اليمانية . ولكن « راسم مجيد » وجد فرصته للتخلص من غريمه البروفيسور « ادم » فقد ابلغ ان « ادم » يرفض الحبوب الصفراء وتم نقله الى محطة « كابين » .

●★●

في المنظار بدا المشهد لوحة زاهية الالوان . جبال متوهجة زرقاء ، وبنفسجية ، وتربة رمادية تلمع كالتبر ونباتات غريبة ذات سيقان شفافة تبدو حركة العصير النباتي بداخلها ، وأوراق محمرة تتخللها عروق زمردية وأغصان بللورية تعكس الوان الطيف ، وصخور وردية وماسية تبهر العين . والنور يتخلل كل شيء ولا يدع مساحات للظل ،

استقرت فقاعة من البلاستيك ذات هواء مكيف يصلح للبشر . ولم تكن الحياة بداخل الفقاعة الشفافة تختلف عن الحياة في مركز الابحاث الجيوفيزيقية في جبال الانديز .. وكان تصميم محطة الابحاث في « كابين » منقولا عن مثيلتها في الانديز .. وأمام المحطة امتدت مساحات شاسعة لا يتحرك فوقها شيء .. كانت تشاهد أحيانا حشرات قليلة زجاجية ذات أجنحة ملونة تطير قرب السطح وبعض السلاحف البيضاوية الصغيرة الزرقاء اللون تدب بين الصخور .

ولكن بعثة مركبة الفضاء كونتيكي الثانية أكدت وجود كائنات متطورة تسير معتدلة ، وتحلق أحيانا على ارتفاع أمتار فوق سطح الكوكب بواسطة مثانة هوائية تشبه المثانة التي تستخدمها الاسماك لتطفو في الماء . وكانت تقارير الرواد تؤكد أن هذه المثانة (أو القوندولا كما اطلقوا عليها) تنمو بين لوحتي الكتفين في تلك الكائنات وتتمدد فتبدو من بعيد مثل جناح طائر الرخ الخرافي .

حرك « ادم » المنظار والتقط في بؤرته نقطة ضئيلة متحركة لامعة بدت عند خط الافق .. واشار الى « صافي » ان ينظر ، ثم قال :

ـ لقد استيقظوا اليوم مبكرين ..

في المنظار ظهر كائن غريب محلقا فوق سطح التربة الرمادية ، كان في حجم طفل في الخامسة أو السادسة من عمره يحمل بين كتفيه المثانة الهوائية التي اطلق عليها الرواد اسم « القوندولا » ، وكانت غلافا رقيقا من مادة حية مليئة بالغاز الساخن ومنتفخة كالبالون تسري فيها عروق وردية رفيعة ومتشعبة ، تحمل الكائن في الجاذبية الضعيفة ليطفو في الجو الى مسافة مئات الاقدام .

●★●



تكاثرت الكائنات الصغيرة التي تشبه الاطفال حول البحيرة ، وانطلقوا يعبثون بقطع الاحجار الملونة ، ويسبحون في البحيرة تحملهم الاكياس المنفوخة بين اكتافهم فوق الماء ·· وكان الدكتور « صافي » قد أسماهم « اطفال كابين السعداء » وأراد أن يهبط الى الوادي ليراهم عن قرب ، ولكن البروفيسور حذره من خطر تلويث الوادي بالجراثيم الارضية وهكذا بقيا يراقبان اطفال « كابين » من بعيد ··

قال « صافي » في لحظة انبهار :

ـ « كانها لوحة من خلق رافائيل !! » ·

ولكن البروفيسور « ادم » كان يحاول رصد الفروق الفردية بين كائن واخر ··

وسأل « ادم » زميله :

ـ « هل استطعت معرفة الطريقة التي يتفاهمون بها ؟·· » ·

ـ « نعم ـ لقد سجل جهاز الانصات موجات فوق صوتية وبعضهم يصدرون أصواتا يمكن للأذن البشرية أن تسمعها ·· لانها تأتي مثل نغمات موسيقية !! » ·

عاد « ادم » يتطلع عبر المنظار ، ثم رفع رأسه وقال :

ـ « اعتقد أن أندر العناصر في هذا الكوكب هما عنصرا اليود والفوسفور ، هل تذكر تجربة أجراها بعض العلماء في القرن العشرين على أقزام الكنغو ؟ لقد اعطوهم غذاءا بروتينيا غنيا وفيتامينات فاستمروا في النمو حتى وصلوا للحجم الطبيعي للانسان العادي ·· لقد فكرت أن نجرب تقديم وجبة لاطفال « كابين » تحتوي على مركبات اليود والفوسفور » ·

ـ « انها فكرة جيدة ، تذكرني بالغذاء الملكي الذي يعطى ليرقات خلية النحل

ـ « هؤلاء الاقزام مثل الاطفال والقردة محبون لاستطلاع الاشياء الغريبة ، لقد راقبت النباتات والثمار التي يفضلونها وصنعت منها خلاصة وسوف اغطي بها حبات العقار ، وسترى كيف يلتهمونها التهاما مثل حبات الحلوى ·· حبة حمراء وحبة زرقاء فيها بروتين وفسفور ، وريبوفلافين ··

ـ « قد تكون التركيبة الادمية لتنشيط الذكاء ! » ·

ـ « ستكون الفاكهة المحرمة على الارض ·· حيث يريدون خنق الذكاء ·· » ·

كان « كابين » اخر كوكب اكتشفه الرواد حيث يدور بعيدا عن الطرق المالوفة لملاحي الفضاء ، ولكنه كان يمتاز بطقس مريح وبمناظر خلابة ، وليس المنفى الكريه الذي كان يتصوره البروفيسور « ادم » عندما طلب نقله لهذا المختبر النائي ·· فكر « ادم » أن لديه فرصة نادرة هنا ليحقق نظرياته عن ميكانزمات تفاعل الجزيئات العضوية ،وانه عندما يعود للارض سوف يبهر العلماء بتجاربه وأبحاثه ولن يكون له ند بينهم ·· كانت الافكار تفور في ذهنه وهو يهبط بحذر في الوادي حاملا اكياس الحبوب الملونة ـ يود وفوسفور ، وريبو فلافين ، وبروتين ·· الغذاء الملكي الذي يحول الاقزام الى عمالقة ·· هل يرسل عينة من العقار الى « راسم مجيد » ويقول له : انها تحول الاغبياء الى عباقرة ، وانه في خلال جيل واحد سوف تتمكن الارض من تصدير العبقرية للعوالم الاخرى ؟! قرب شاطىء البحيرة نشر الحبوب الملونة فوق صندوق بلاستيكي مزخرف ·· وعاد الى المختبر ينتظر طلوع النهار ··

مع أول شعاع لشمس « كابين » غمر الضياء الباهر العالم الماسي فلمعت ملايين البللورات بالوان الطيف ، وتألقت القبة البلاستيكية الشفافة للمختبر حيث وجه البروفيسور « ادم » التلسكوب الكبير نحو الوادي ··

دارت الاجهزة ورصدت تحركات اطفال « كابين » وهم يقتربون من الحبوب الملونة فوق الصندوق المزخرف ·· داروا حولها ثم التقطوا بعضها وقربوها لانوفهم ثم تذوق احدهم حبة حمراء ودسها في فمه ، وسرعان ما تخاطف الجمع الصاخب حبوب البروفيسور « ادم » ، وابتلعوها ثم عادوا يفتشون عن المزيد ،

نهض « ادم » من وراء التلسكوب وقال لصافي :

ـ « اتصل بمحطة (لوناسبرج) واطلب ارسال كمية اخرى من املاح اليود والفوسفور

بعد أسبوعين من توزيع حبوب البروفيسور « ادم » ـ أو الغذاء الملكي كما اسماه الدكتور « صافي » ، بدأت اجهزة الرصد الالكترونية في برج المراقبة في المختبر



تسجل نشاطا مغناطيسيا غريبا في الوادي ٠

وفي بداية الاسبوع الثالث أشرقت شمس « كايين » على مشهد عجيب ٠ فقد شاهد البروفيسور وزميله من منظار المختبر ، شاهدوا اشياء تشبه كرات خزفية او زجاجية ضخمة تتدلى من اغصان النباتات السليكونية ومن اطراف الصخور الناتئة على حافة الوادي وهي تعكس الوانا متداخلة في الضوء الباهر ٠٠ واختفى معظم اطفال « كايين » فيما عدا واحد او اثنين تثاقلت حركتهم وسرت في اجسامهم قتامة تميل للزرقة ٠

نظر « صافي » في اجهزة القياس وقال ان مجالا مغناطيسيا قويا يتكون حول الكرات المعلقة ٠ ورد ادم بانه يعتقد ان هذه البيضات الخزفية الكبيرة الداكنة التى تسرى فيها عروق زمردية قد تكون شرانق يختفي بداخلها اطفال « كايين » ريثما يتم تحولهم لمرحلة جديدة من مراحل نموهم ، وسوف تخرج من الكرات

كان « ادم » وزميله « صافي » في حالة استرخاء ، وقد تركا النوافذ مفتوحة في القبة البلاستيكية وشمس كايين تنحدر نحو المغيب ٠

وفجاة سرت في الهواء موجه خفية وتصاعدت من الوادي أصوات عجيبة مثل أوتار مشدودة تعبث بها أصابع رقيقة ٠٠

هب « ادم » واقفا ٠٠ واحس « صافي » بالنغم يرن في جوف عظامه ، وعبر المنظار رأي الكرات الخزفية اللامعــــة تدور ببطء وهي معلقة بقوة غير مرئية بين السماء والوادي ثم أخذت تدور بسرعة

وزادت سرعة الايقاع بعد الغروب ٠

نظر « ادم » في أجهزة القياس ثم قال :

ـ « هناك مجال مغناطيسي قوى حول الكرات ٠٠ لعلك تذكر ان مركبات السليكون لها خاصية فريــدة تجعلنا نستخدمها في الاجهــزة الالكترونيـــة على الارض ؟ » ٠

وقال « صافي » :

ـ نعم ، هي شبه موصل ولذا تستخدم في صناعة الدوائر الالكترونية الدقيقة ٠٠ هل تعتقد أن هـــذه الكائنات المركبـــة من السليكون تســـتخدم هـــذه الخاصية ؟ » ٠

ورد « ادم » قائلا :

ـ « بالضبط ، ان هذه الكائنات توظف خصــائص السليكون الكهربائية في مرحلة نموها الثانية ، وهي المرحلة التي حفزتها التغذية بالحبوب ، واغلب الظن ان هذه الكائناتقد بدات مرحلة في نموها تمكنها من خلق مجال مغناطيسي مضاد لجاذبية الكوكب ، وربما استخدمت جزئيات السليكون ومركباته لتخزيــــن المعلومات كما نستخدم نحن هذه المركبات في تركيب الادمغة الالكترونية ٠٠ ســـوف نرى ما يحدث عندما يخرجون من كراتهم الزجاجية ٠٠ »

قال « صافي » :

ـ « ربما تولدت الايقاعات التي سمعناها من ذبذبة داخل خلايا أجسامهم ٠٠ » ٠

ـ « الموسيقى او الايقاع الذي سمعناه يا صافي هو نبض لتنسيق تدفق الطاقة في هذه الكائنــــات بحيث يستطيعون السلوك مثل كائن واحد ٠٠ » ٠

كان الايقاع قد زاد سرعة مثل ذروة سمفونية معبرة عن مشاعر عنيفة ٠٠

في الضوء القليل بدت الشــرانق الخزفيـــة تدور وترتفع ، ثم تنخفض ، ثم ترتب نفسها في تشــكيلات متراصة في رقصة مجنونة فوق سطح البحيرة اللامع وكان الماء يتموج متابعا الايقاع فيتصاعد ويهــدأ مع ذبذبة اللحن الهائل ٠٠ كل شيء صار يهتز الان حتى جدران المراقبة في المختبر ،

وعندما عاد « ادم » وزميله للقاعدة كان جهــاز الاستقبال الكاتب قد سجل رسالة من الارض مرسلة عن طريق محطة لوناسبرج الموجودة على القمر ، لقد

اذيع بالامس أن المجلس الاعلى لحكومة الامم المتحدة قد الغى القرار رقم سبعين لعام ٢٠١٩ وكل ما ترتب عليه من اجراءات كما صدر قانون يحرم صناعة وتعــاطى الحبوب المضادة للذكاء ٠٠

قال « صافي » مبتهجا ـ « ياله من نبأ سار ، الان يمكنك العودة للارض والعمل في معهدك وبيــــن تلاميذك » ٠٠

رد « ادم » وهو يحملق في لاشيء ٠٠

ـ « نعم ٠٠ هذا ممكن الان ٠٠ » ٠

وعادت ماكينة التيكرز تطن ، وقرأ صافي الرسالة ثم قال لزميله :

ـ « انهم يسالون عن نتيجة تجربة الغذاء الملـــكي فقد نشرت مجلة العلوم مقالا مختصرا عن تطويـــر كائنات كايين عن طريق اضافة بعض المواد لطعامهم » نظر صافي للبروفيسور ثم قال فجــأة :

ـ « انت تبدو قلقا ٠٠ لمـــاذا ؟ » ٠

– « الحقيقة أن كمية الطاقة التي تقيسها الاجهزة التي وزعناها في أرجاء الوادي هي كمية هائلة بدرجة غير معقولة ، وأننا نجهل تماما خصائص الكائنات الجديدة التي يمكنها توليد هذا القدر من الطاقة بهذه الكثافة ·· » ·

وعندما خرجا الى الساحة الصغيرة خلف برج المراقبة وجدا الهليكوبتر مفككا ومكوما كأنه خرج لتوه من صندوقه ، قال البروفيسور ادم في مزيج من الخوف والدهشة ··

« – اننا بصدد كائنات ذكية جدا ، وهم يتعلمون بسرعة مخيفة ·· انهم بارعون ! » ·

اكتشف صافي علامات على سطح المختبر وجدرانه

فصاح قائلا : « انظر ! هل هذا ممكن ؟! » ·

نظر البروفيسور الى حيث اشار صافي علامات واضحة كبيرة محفورة على الجدار ١٤ ضد ٦ ·



لمعت عينا البروفيسور وقال « لقد قطعوا شوطا كبيرا ، لقد عرفوا تركيب أجسامنا ورموز لغتنا في يوم واحد ونحن بذلنا سنوات حتى عرفنا بالتقريب تركيبهم العضوي ·· لقد نفعهم الغذاء الملكي اكثر مما توقعت ! » ·

قال « صافي » : « لقد قدموا الينا انذارا بليغا ١٤ هو رقم السليكون حسب ترتيبه في الجدول الذري وهو العنصر الرئيسي في أجسامهم ، بينما الكربون ترتيبه السادس في الجدول الذري وهو العنصر الرئيسي في تركيب الكائنات الحية على الارض كيف توصلوا للمعلومات بهذه السرعة ؟! » ·

– « اعتقد انهم يحاولون معرفة كل شيء عنا وعن حضارتنا وعن كوكبنا ثم يحاولون الوصول للارض ·· » ·

– « خلال السنوات القادمة ؟! » ·

– بل خلال الاسابيع القادمة !! انهم يعملون مثل مجموعة متصلة ومترابطة من العقول الالكترونية ولذا يستوعبون بسرعة المعلومات التي تصل لاي فرد منهم ··

– وسوف يدركون نقط الضعف في البشر ··

– بالطبع ، لقد ادركوا اننا نحتاج للنوم ساعات طويلة لتجديد حيويتنا ، بينما هم لا ينامون ·· أو اذا نامت رأس ظلت الاخرى صاحية ·· ومع ذلك لا يوجد علينا خطر مباشر لانهم يريدون المزيد من المعلومات عن الانسان ونحن نمثل عينات جاهزة انهم يراقبوننا بعد أن كنا نراقبهم ·· أرجو أن تطلب محطة لوناسبرج لتصلنا بالارض بسرعة ·· » ·

– « ولكن ماذا نقول لهم ؟! » ·

– « دعني اتحدث مع القيادة ·· سوف اطلب ارسال مركبة الطوارىء لتخرجنا من هنا ·· وبعد ذلك لتأت سفن الفضاء المسلحة ·· » ·

– « وهل سيستخدمون القنابل النووية ؟ » ·

– « لا مناص من ذلك ·· » ·

وجه المسوح بالحزن كان شديد الشحوب وهو يجمع الصور والتقارير ويضعها في الصناديق استعدادا للجلاء وتوقف عند قصاصة من صحيفة قديمة عنوانها يقول :

اطفال مجنحون يحلقون في اجواء الكوكب البللوري ··

القى نظرة أخيرة في المنظار ثم استعد وزميله لاستقبال حملة الانقاذ وارشاد جنود الفضاء لمكمن العمالقة في الوادي ··

اعداد : ابتسام الحديدى



في بداية كل فصل من فصول السنة ، تتسابق بيوت الازياء في العالم لتقديم خطوط الموضة الجديدة لحواء ، واذا كان مطلوبا من المراة ان تبدو انيقة ورقيقة ، في بيتها وعملها ، فان ذلك لا يتوقف ـ فقط ـ على اختيارها لاحدث الموديلات التي تقدمها بيوت الازياء ، ولكنه يتوقف ـ اولا ـ على اختيارها لما يناسبها • وما يتناسب مع ظروفها •• فكثيرا ما تكون قمة الاناقة ، هي البساطة الجميلة ، التي تضفي على المراة هدوءا ورقة •

ويبدو ان بيوت الازياء لم تجد ، حتى الان ، جديدا تقدمه لازياء فصل الشتاء ، حيث عادت الى نفس ما قدمته في الشتاء الماضي ، فظهرت البلوزات ، والبلوفرات والملابس الصوفية المشغولة سواء بالماكينة او اليد •

وتستطيع السيدة الاقتصادية شغل هذه البلوفرات بيدها ، بعد تاكدها من كمية الصوف المطلوبة ، وتحديدها للون الذي تفضله •

وكذلك البلوزات ذات الغرز الكبيرة والياقات ، او التي بدون كم ، ويرتدي تحتها قميص او بلوفر بلون مختلف ، ايضا الجاكيتات الصوفية الطويلة والتي تجمع بين لونين او اكثر وجميعها لا تحتاج الى مهارة كبيرة في صنعها ، خاصة للسيدات غير العاملات • ولاكتمال الاناقة يمكن صنع « بونيه » لتغطية الراس في الايام الباردة من نفس الوان وغرزة البلوفر •

قالوا عن الطفل

● في المؤتمر العالمي للكتاب الذي عقد في نيس ـ فرنسا عام ١٩٧١ ، قال المربى العالمي الشهير : كتب الاطفال يمكن أن تغير من ذوق العالم • بل تستطيع ان تغير العالم نفسه •

وقال الشاعر العربي القديم « حطان ابن المعلى » •

وانما اولادنا بيننا
اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عيني عن الغمض

وقالت « فاطمه الابنادية » تجيب على سؤال « من احب اطفالك اليك ؟ » : هم كالحلقة لا ادري اين طرفاها •

وقال الاحنف بن قيس عن الابناء :

« هم عماد ظهورنا ، وثمر قلوبنا ، وقرة اعيننا ، بهم نصول على أعدائنا ، وهم الخلف من بعدنا ، فكن لهم ارضا ذلولة ، وسماء ظليلة ، ان سالوك فاعطهم ، وان استعتبوك فاعتبهم ، ولا تمنعهم رفدك فيملو قربك ، ويستثقلوا حياتك » •

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر ابن عبد الله قوله : رحم الله من اعان ولده على بره • قال : قلت « كيف يعينه على بره ؟ » قال : يقبل ميسوره ، ويتجاوز عن معسوره ، ولا يرهقه ، ولا يخرق به » •

ولقد اختتم النبي الكريم منهج التربية الاسلامية بقوله :

« اكرموا اولادكم واحسنوا ادابكم » •

وقال الامام علي كرم الله وجهه : (لا ميراث كالادب) ••

اختيار : غنى حسين مبارك
الشرقية ـ حلة ـ العراق

الطبيعة أيضا

تساهم في الصحة والجمال

اتجه خبراء التجميل اخيرا ـ بعد الاطباء ـ الى استخدام المياه المعدنية في عمليات المحافظة على البشرة والجلد ، بعد ان ثبتت فوائدها المتعددة ، وسهولة استخدامها ، خاصة في الاماكن التي تتوفر فيها عيون المياه الطبيعية ٠

وعلى الرغم من ان هذا الاسلوب يعتبر قديما جدا ، الا انه اتخذ شكلا محددا وجديدا منذ حوالي عشر سنوات فقط ، وذلك عندما اكتشف خبراء التجميل الانواع المتعددة ، للمياه المعدنية ، وخصائص ، وفوائد العلاج بها ، خاصة وانها متوفرة في اماكن كثيرة من دول العالم ٠

وتختلف هذه الانواع من حيث التركيب وكل نوع يستخدم في ناحية معينة من العناية والمحافظة على البشرة والجلد ٠

ابرز انواع المياه المعدنية ، التي ينصح خبراء التجميل باستعمالها ، للمحافظة على حيوية ونقاء البشرة والجلد هي :

● المياه الكبريتية :

ـ وهي التي تحتوي على الكبريت ، الذي يوصف لازالة اي قشور قد تتكون على البشرة ، وكذلك للقضاء ، على اية امراض جلدية تنتج عن اختلال وظائف اجهزة الجسم ٠

● المياه التي تحتوي على الاملاح واليود :

ـ ولها تاثيرها الفعال والمفيد في حالات جميع الالتهابات والتقرحات التي يصعب شفاؤها بانواع العلاج الاخرى ، كما تعتبر هذه المياه من افضل مطهرات ومنشطات الجلد ، كما انها تعمل على تنقية البشرة وتهدئتها ٠

● المياه التي تحتوي على الزرنيخ والحديد :

ـ وهذه تحتوي على مركبات من الزرنيخ والاملاح الحديدية ، وهي مفيدة في مقاومة امراض الجلد والقضاء عليها ، وتستخدم في العلاجات الطبية وحدها ، باشراف الطبيب المختص ٠

● المياه المشعة :

ـ ولهذه المياه مفعولها المنشط ، سواء من الخارج ، او كمشروب ٠ والاستحمام في هذه المياه واخذ بخارها باردا او ساخنا يعطي ايضا اثرا طيبا ومرطبا للجلد ٠ كما ان استعمال المستحضرات التي تحتوي على عناصر منها يفيد في اغراض التجميل والعلاج من بعض الامراض

● المياه الكربونية :

ـ وتحتوي على انهيدريد الكربون الذي متى اتصل بالجلد فانه يعمل بمثابة مدلك مائي كربوني ، وينشط دورة الدم في الاطراف ولهذه المياه فائدة اخرى ، اذ انها تساعد على انتظام التنفس ، ولهذا الانتظام اثر طيب على البشرة ٠

وبعد : هل ادركت يا سيدتي للطبيعة دورا مساهما في العلاج والصحة والجمال ؟٠٠

الأطفال يتعلمون

اصبحت لعب الاطفال ، في السنوات الاخيرة ، وسائل اساسية لتعليمهم وتوسيع مداركهم ، وليس فقط لتسليتهم · والملاحظ انهم ، في الدول المتقدمة يستخدمون كل الوسائل ، وينتهزون كل الفرص ، تعليم اطفالهم كل جديد ومفيد · اخر هذه الافكار ، التي ظهرت في اوروبا وتجمع بين التعليم والشكل الجميل ، عبارة عن لوحة من القماش ـ وهو هنا من الجوخ ـ مقسمة الى مربعات متساوية متناسقة الالوان ، ومشغول فوقها رسوم للفواكه والطيور والحيوانات ، وبعض الادوات ، والى جوار كل رسم منها الحرف الاول من اسم الشيء المرسوم ·· فالتفاحة مثلا ، بجوارها حرف « التاء » ، والسمكة بجوارها حرف « السين » اللوحة يمكن ان تستخدم كلوحة لتجميل حجرة الطفل ، او كستارة انيقة فوق نافذة حجرته ، كما يمكن استخدامها كشماعة لتعليق بعض ملابس الطفل · والفكرة بسيطة جدا ، ولا تكلف كثيرا ، اذ يمكن صنعها من بقايا الملابس القديمة غير المستعملة ، وباستخدام بعض الرسوم البسيطة ، والاحرف العربية من أجل ان يتعلم الاطفال اشياء جديدة ، بينما هم يلعبون ويلهون !!



وجبة شهية ونوم هادئ

ان الاطفال يختلفون كثيرا عن الكبار ، ويحتاجون دائما ، في التعامل معهم ، الى اثارة اهتماماتهم وخيالاتهم ، خاصة في سنوات عمرهم المبكرة ، وينصح علماء النفس الاباء والامهات بمراعاة ان ابناءهم يحتاجون الى طريقة للتخاطب معهم ، تراعى طبيعتهم وعقليتهم ٠

وحتى تتحول وجبة طعام الطفل الى مهمة ممتعة ومسلية ، يقبل عليها دون نفور ، ظهرت افكار تزيين المائدة ، بحيث تبدو جذابة ، حتى بالنسبة للكبار ، وهناك طريقة سهلة ، يمكن ان تجذب الطفل الى المائدة ، وتفتح شهيته للطعام ٠

وهذه الطريقة هي صنع مفارش صغيرة وبسيطة ومرحة للمائدة ، على شكل دمى ورؤوس حيوانات ، ترتبط في ذهن اطفالنا بالوداعة والحب ، والقصص الطريفة ، كراس ارنب مثلا ٠

كما يمكن ايضا تنفيذ وسادة حالمة للصغار ، عليها رسم بسيط وهادىء يدخل عليهم السعادة ، ويجلب لهم الاحلام الهنيئة اثناء نومهم ٠

وطريقة تنفيذ ذلك ، هي عمل « باترون » بسيط للرسم ، على ورق المربعات ثم ينفذ ببقايا الاقمشة الملونة ، والزراير والخيوط الملونة ٠ ويجب مراعاة ان تكون الالوان دائما هادئة ، وغير مثيرة ، حتى لا ينفر الاطفال من هذه الرسوم ٠

القراءة في جو جميل

تحدثنا في العدد الماضي عن اهمية التحف والتماثيل ، لتجميل المنزل ، وطريقة ترتيبها داخل الحجرات ٠

واليوم فنتحدث عن اهمية الكتب والمكتبة ، داخل المنزل ايضا ٠ والواقع ان لكل منا ذوقا خاصا في اختيار الكتاب الذي يقرؤه ، ويفضله على غيره من الكتب ، فهناك من يفضل كتب الادب ، واخر يفضل السياسة ، والثالث المغامرات والقصص البوليسية ٠ وكتاب وراء كتاب سيزدحم المنزل بكميات الكتب التي نقتنيها وتصبح هناك مشكلة ٠٠ كيف نرتب هذه الكتب ، حتى نجد ما نحتاج اليه منها دون اضاعة للوقت ، ودون ان نتلف كتابا ؟٠٠

ان المكتبة هي الحل ولذلك اصبحت « المكتبة » شيئا ضروريا في كل منزل ، بل اهم كثيرا من بعض قطع الاثاث ، التي تملأ بها البيت ، دون ان تكون في حاجة حقيقية اليها ٠

وللمكتبة فائدة كبيرة ، فكما انها مكان لحفظ الكتب ، فهي في الوقت نفسه طريقة لغرس النظام والترتيب في نفوسنا ، ونفوس اطفالنا الصغار ، وجعلهم ايضا يحافظون على كتبهم ، كما انها تنمي فيهم حب اقتناء الكتب والقصص ، ووضعها داخل شيء يمتلكونه ٠

مراجعة لكتاب مبارك الخاطر عن

القاضي الرئيس الشيخ قاسم بن مهزع

أحمد العناني

تمهيد :

لعلي لم امتحن في كتابة عجالة سريعة عن موضوع ضخم بمثل ما امتحن به الان في تقديم وعرض كتاب الاستاذ مبارك الخاطر عن واحد من المع شخصيات هذا الجزء من العالم العربي في شمال الخليج والبحرين ، وقاض تنشر له سيرته الوضاءة صفحات من سيرة السلف الصالح ، ممن حموا حقيقة العالم بكل صفات النزاهة والتعفف والشجاعة والتزام الحقيقة التي عرف بها علماء الاسلام الافذاذ ·· لقد قدم لنا الكاتب بعمله القيم حقا امالا جديدة منعشة ، فلقد كنت شخصيا احسب ان الطراز الرفيع من السادة العلماء الاماثل قد طويت صفحته منذ عهد ابن تيمية وعبد السلام وابن دقيق العيد ، فاذا انا مع رجل يعيش من ١٨٤٧ للميلاد ويتوفاه الله عام ١٩٤١ له كل صفات اولئك الافذاذ ، وكل جهادهم الصادق في نصرة الحقيقة لا تاخذهم فيها لومة لائم ·

لقد سعدت بالكتاب ، ودعوت باحسن الدعوات للمؤلف ، والتابتني فكرة شمولية بوحي قراءتي فيه ، خلاصتها ان حركة التجديد الاسلامي التي شملت سائر الجزيرة العربية وشمال ووسط افريقيا ما تزال تفتقر الى دراسات ادق واوسع واكمل ، فيها نحن مع رجل كقاسم بن مهزع لا يقل سطوعا وبهاء عن اعاظم قادة الحركة السلفية ، ولا يقل عزيمة في مواجهة الاخطار والدفاع المجيد عن حضارة الاسلام ومثله السامية عن جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا ، لقد بدات ثلوج الجهل المتراكمة تذوب وتبرز على السطح سهوبا مخضوضرة من السير العطرة النضرة ، وعلينا ان نبحث عن الوثائق والاوراق وان نلتزم جانب الصبر والجلد ، وان نجمع ما بقي من اخبار وروايات لنصل الى الابعاد الحقيقية للمقاومة الباسلة للعالم الاسلامي وحضارته العظمى امام الهجمات الشرسة للحضارات الغربية ، وحملات التبشير والدس ، والى معرفة اوفى واصح عن الابطال الذين وقفوا يدافعون ببسالة منقطعة النظير عن دين الله ، وعن نظامه المحكم الذي يستغرق الوجود الانساني في هذه الحياة وما بعدها ·

مفتاح شخصية الشيخ قاسم ابن مهزع :

يستدل من الفقرات المعبرة من كلام الشيخ مما اختاره المؤلف ليزين به صدر الكتاب ومن اقوال رجال كالثعالبي وعبد العزيز الرشيد والمعاودة والشيراوي بل وحتى الاجنبي بلجريف ومن ثنايا التوطئة التي وضعها المؤلف ليعرض فيها المصاعب التي اعترضته في وضع مؤلفه ، بل ومن هنا وهناك من سائر الفصول التسعة التي تشكل مادة الكتاب ان ابن مهزع كان رجلا يستلهم الصلة الوضيئة الواضحة بين قلبه وربه فلا يخاف في

الله وفي الحق لومة لائم ، ولا يجعل لمطمع من مطامع الدنيا الرخيصة سبيلا يعترض حركة فكره وقلبه نحو الحقيقة ٠٠ لقد كان رجلا افرغ قلبه من هوى الدنيا كلها فكان يصول بهيبة الله ويرى في ربه وحده حصنه الحصين من عاديات الزمان ، وتقلبات القلوب والحظوظ ، والواقع ان المرء ليحار أي حوادث حياة القاضي الحوافل بالعبر يختار للقارىء ليدلل على الصفة الاساسية ومفتاح سر تلك الشخصية الفذة .

اسلوب المؤلف :

ويعجبك تماما وضوح المؤلف وسهولة عبارته وتلاؤها حينما يسرد جوانب موضوع او ظروف معينة ليوضح لك خلفيات الامور المتعلقة بالقاضي ابن مهزع ، وفي ثلاث صفحات من توطئته يعرض أوضاع القضاء الاسلامي ، وسمات القضاة ومؤهلاتهم وكيفية ومبررات اختيارهم والصفات المميزة للقاضي الموفق منهم ٠٠ ثم ياخذ في بحثه ليتقصى حياة القاضي موضوع الكتاب فيبتدىء بعرض عصر الشيخ قاسم بن مهزع الممتد من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى قرابة نهاية النصف الاول من القرن العشرين ، وهو يقسم فترة هذا القرن الى حقبتين الاولى وتنتهي بانتهاء الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ والثانية ببداية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م ومن المعروف ان البحرين رغم كل الهزاهز السياسية والعسكرية عرفت منذ منتصف القرن الماضي فترة استقرار اقتصادي عماده ازدهار تجارة اللؤلؤ وتقدم الزراعة في الجزر ، وفي خلال هذه الفترة المستقرة اقتصاديا على الاقل ، وبحكم اتصال البحرينيين بكل من مصر والهند ـ وبخاصة الازهر وجامعة عليكره ، فقد سرت اليهم افكار حركة التجديد الاسلامي وابناء روادها الاوائل كالافغاني والكواكبي وعلي يوسف ورشيد رضا ومصطفى كامل ٠ وبإثر ذلك كله وجد الشيخ نفسه في خضم المعركة الحامية ضد حركة التبشير التي اختارت البحرين كمركز رئيسي لها ٠ واما في الفترة الثانية فقد اتسعت رقعة التحدي



مصطفى كامل



والصراع ضد سائر العوامل السياسية والاجتماعية القاسية ، ووسط ظروف التغير ورياح التحديث ومشكلات الصراع للخلاص من النفوذ الاجنبي ٠

مآخذ هينة على المؤلف :

وبعد الشرح الذي يجب ان اسميه شرحا موجزا لاحوال العصر ، بل يجب ان اطاوع الحق فيما يقتضيني ان اقوله وهو شيء من قصور المؤلف في التوسع اللازم في شرح العصر ينتقل الى المترجم له وحياته الخاصة بما في ذلك مولده ويتمه وتنقله صغيرا في المنامة وطلبه العلم الى ان يترعرع ويتولى قضاء المنامة ٠

وهنا ايضا لي مآخذ على الكاتب وهو عدم تدقيق مسودات الكتاب في المطبعة تدقيقا فيه قدر اكبر في مثل هذا المؤلف على ص ٣٤ « كان مناخ التعليم انذاك مناخ علمي رباني » بدلا من مناخا علميا ربانيا ، وترد اخطاء اخرى من هذا القبيل اكتفي بالتنبيه عن وجودها ٠ ومع ذلك فان الواجب يملي علي ان اعاود الثناء على السرد السلس لسيرة الرجل المترجم له ، وعلى التوازن الجيد في الحقائق الواردة الى اخر الفصل ٠

ثم يجيء الفصل الثالث حول دور الشيخ قاسم بن مهزع في العمل الوطني حيث لم يكن ثمة بد على الاطلاق من ان يدفع الاماثل من الرجال ضريبة الجهاد في وجه الغزاة الاجانب من المستعمرين ، وهو العامل الذي كان اساسيا في بناء الثقة الشعبية ، ونظرة التقدير لكل المبرزين من الرجال ٠ يعرض المؤلف قصة التدخلات الانجليزية المباشرة حتى في الشئون الداخلية للبحرين اعتبارا من عام ١٨٨٧ ووقفة الشيخ مرة بعد مرة بشجاعة نادرة في وجه ذلك العدوان السافر ، حتى اذا وصلت الامور ابعادا لم تعد تحتملها اعصاب الانجليز ووجه برسي كوكس انذارا بتسليم ستة من اهل البلاد على راسهم القاضي واخوه في فبراير عام ١٩٠٥ ، تبين ان اخا الشيخ كان قد غادر البحرين الى قطر ، اما الشيخ نفسه فقد اعتقل على ظهر بارجة بريطانية ولكن ذلك الاعتقال لم يدم طويلا ، فقد استطاع كوكس رغم رفض الشيخ الصارخ تحقيق هدفهم من حرمان القضاء الاهلي البحريني من حق الفصل في قضايا الاجانب في البلاد ٠

ثم يعرض ٠٠ المؤلف سلسلة متصلة من مواقف العالم المسلم الشجاع امام المعتدين الانجليز ولا سيما الميجور ديكسون والميجور ديلي ، وفي تقييم المؤلف الشيخ فانه يستحق الثناء اذ يجشم نفسه ايراد الوثائق المتعلقة بالموضوع مبينا كيف رفض الشيخ اجراء الانجليز بعزل الحاكم الشيخ عيسى بن علي ، واعتراضه على اجراءاتهم ضد

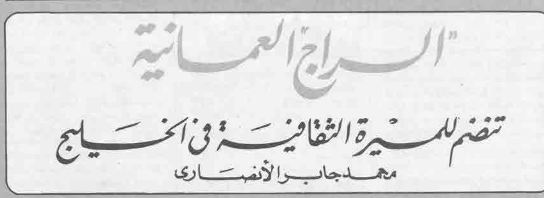
احمد بن حسن الدوسري الذي كان يشكل وجماعته عصب المقاومة لذلك العزل التعسفي ، وكذلك ما كان الانجليز يحيطون به الشيخ من شبكات التجسس ، فيما كان الرجر يواصل باستماتة التخطيط والمتابعة لحركة مقاومة التدخل الانجليزي في شئون البلاد ·

القاضي وحركة التبشير :

ثم يجيء الفصل الرابع عن موقف الشيخ قاسم من حركة التبشير المسيحي المشهورة في البحرين وهي حركة شغلت افكار المسلمين في مختلف اقطارهم سواء في الخليج او في الهند ومصر ، والحق ان المؤلف قد وفق هذه المرة ايضا توفيقا ظاهرا في سرده الواضح لتاريخ تلك الحركة على قدر ما اتيح له من مراجع معظمها من السنة الرواة من الرجال المسنين الذين عاصروها في شبابهم وكنت اتمنى وانا اقرا هذا الفصل بالذات لو قد عرفت الاخ مبارك الخاطر من قبل لامده ببعض المعلومات الوثائقية التي حصلت عليها في هذا الموضوع خلال بحثي عن حياة المغفور له الشيخ قاسم ابن محمد ال ثاني ، مما يثبت شدة تنبه المسلمين لحركة التبشير البروتستانتية الذكية والتي كانت تتذرع بوسائل انسانية كالطب للوصول لاهدافها ، وعن المقاومة السرية والعلنية المنظمة لرد عادية التبشير عن هذا الجزء الهام من الوطن الاسلامي ، وقد نمي الي ايضا ان ثمة معلومات وثائقية واسعة عن هذا الموضوع لدى بعض ابناء المبشرين في الولايات المتحدة الامريكية ، حدثني عن ذلك الدكتور ابو حاكمة الذي كتب قسما هاما من تاريخ الكويت · ولقد استمتعت حقا وافدت من التفاصيل التي يرويها المؤلف عن مجهودات الدكتور صموئيل زويمر قطب الاستشراق والتبشير ، وعن جهد القاضي وتلامذته في وجه ذلك الرجل الاستعماري المتنكر برداء اللاهوت ·

مواقف اخرى للقاضي :

في الفصل الخامس يقدم المؤلف تفصيلات عن علاقة القاضي ابن مهزع ، ومواقفه من بعض المشككين والمؤسسات المشبوهة ، وكذلك جهده ومساندته الكبير لجميع المصلحين الذين حملوا رسالة التجديد في التعليم بالبحرين · وفي الفصل السادس يسهب المؤلف في موضوع الشيخ حافظ وهبه وعلاقة الشيخ به ، وموضوع نفي الاول منهما من البحرين ، وما حصل من ود وخلاف على السواء بين الرجلين · وفي الفصل السابع يعود المؤلف الى تفصيل علاقة الشيخ قاسم بالميجور ديللي وحادثة رفض الشيخ لوسام بريطاني ، وموضوع محاولة اغتيال ديللي ، ولا شك في ان هذا الفصل والفصل الختامي الثامن عن اعتزال الشيخ القضاء ورسائله المفعمة بروح العالم المسلم الذي يعرف مسئوليات العلم وواجب العالم حيال الامة وحكامها هما من امتع فصول الكتاب الذي يختتمه المرء بكل الاهتمام والسرور اللذين يبدؤهما به واذا ما طبقنا قاعدة الناقد المشهور ابركرومبي على هذا الكتاب فانه يمثل كعمل ادبي تاريخي في غاية الاهمية والامتاع حيث ان القارىء يسير معه من فصل الى فصل مرتاحا طول الوقت فلا يتوقف قلل في استطراد ولا لخروج عن الموضوع او امر نشاز من اي نوع فعسى يوفق الاخ الخاطر لاعمال اخرى عن اعلام الخليج فانه لمؤهل لذلك كل التاهيل والله الموفق لخير سبيل ··



عندما كانت الدولة العثمانية تضم معظم البلاد العربية ، كانت هناك دولتان عربيتان ـ فقط ـ مستقلتان تماما · الاولى سلطنة مراكش المغربية في اقصى المغرب العربي ، والثانية سلطنة عمان في اقصى المشرق العربي · ثم جاء الاستعمار الفرنسي فقضى على استقلال الاولى وجاءت الحماية البريطانية فقلصت استقلال الثانية · وكما ان مراكش تمثل اغنى منطقة لذخائر التراث العربي القديم ، فان عمان تعتبر اغنى منطقة بذخائر تراثها الوطني العريق والتراث العربي والخليجي والاسلامي الذي تجمع وتراكم عندما كانت عمان دولة كبيرة تمتد الى الشاطئين

نحو حركة تصحيح أدبية ، دعوة لإعادة الإعتبار لتيار نقدى قديم .

فلنفتح نوافذنا للشمس .. ولنستمع إلى مختلف الأصوات الأدبية والنقدية

مزيدًا من إلقاء الضوء على التراث العمانى .. والحاضر العمانى .

الافريقي والاسيوي وتنشر الحضـــارة العربية الاسلامية عبر البحار الى مناطق الشرق الاقصى والشرق الافريقي · لذلك فلا غرابة اذا وجدنا عمان في عهدهـــا الجديد تؤسس وزارة خاصة « للتراث القومي » بعد ان تم انشاء « المتحـــف العمـــاني » الذي ضم وسيضم جوانب التاريخ العمـــاني الحـــافل والمتنوع والخصب ·

وضمن هذه الحركة الاحيائية النشطة في سلطنة عمان تصدر مجلة « السراج » وهي كما يظهر على غلافها « مجلة ادبية شهرية متخصصة » · والحقيقة ان صدور مجلة ادبية ثقافية في عمان بعـــد هذه الفترة القصيرة من انطلاقتها الجديدة ، وبعد تلك العهود الطويلة من العـــزلة التي فرضت عليها ، يعتبر حدثا ثقافيـــا ، بل وحضاريا هاما فعمان بحاجة الى كـــل شمعة جديدة تضيء ، والى كل زهـــرة نامية تتفتح · من هنا ترحيبنا وســـرورنا الذي لا يحد في مجلة (الدوحـــــة) لصدور رفيقة طريق جديدة لنا في الساحة الخليجية تشاركنا مسيرة الكلمـــة ومعاناة الفكر المسؤول ، وتعمل على ابراز مـــا لعمان العربية من تراث ادبي قديم ومـــا يتفتح فيها من براعم نهضة ادبية شابة ·· فقد افتقد الخليج والعرب في المـــاضي الصوت العماني الحضاري العريق ، وجاء الوقت من جديد لنسمعه مرة اخـــرى منطلقا متجددا خصـــبا كمـــا كان ·· واجمـــل ·

صدرت مجلة (السراج) مـــع اطلالة العام الحالي ١٩٧٦ ولم يتـــح لنا بعد غير الاطلاع على عددها الخامـــس الصادر في شهر يونيو الماضي· ومـــن ابرز ابوابها « مـــع الادب العمـــاني »



ابراهيم ناجي ·



صالح جودت

الذي تقدمه في حلقات ، وتقدم من خلاله تعريفات تاريخية ونقدية لشعراء عمـــان مصحوبة بنماذج لنتاجهم · وفي العـــدد المذكور قدمت لنا ترجمة ونصوصـــا شعرية لكل من عيسى بن صالح الطائي

(١٣٠٦ هـ - ١٣٦٢ هـ) وهلال بن بدر البوسعيدي (١٩٠٣ - ١٩٦٦م) · وفي باب اخر قدمت دراسة عن الشـــاعر العماني الشعبي محمد جمعة الغيـــلاني استهلتها بقولها انه ·· الشاعر الشعبي الفنان الذي كان صورة صادقة لعمـــان بطبيعتها الســـاحرة ، وتاريخها المجيـــد ، وتراثها الخصب ، كما انه عبر بصدق عن مدى حبه لوطنه وتغنيه بامجاده وحضارته فكان شاعر عمان الشعبي عن جدارة ·

وبالاضافة الى هذه الدراسات التراثية، قرأنا فيها باقة متنوعة من الشـــعر العماني المعاصر ومن الكتابات النـــثرية الذاتية ، كما انها اهتماما منها بالحركة الادبية الشاملة في الخليج ، وتفاعـــلا مع رفاق الكلمة العربية ، قدمت رســـالة ادبية من دولة الامارات العربية ، ومقابلة مع الكاتب البحريني المعروف ابراهـــيم العريض ، فضلا عن جولة ثقافية عالميـــة شاملة في باب « جولة الادب والفـــن في العالم » ·

ومن زاوية الميول الادبية والنقدية يبدو ان كتابها اكثر ميلا لشعراء المدرســـة الرومانسية منهم الى شـــعراء المدرســـة الحديثة (الشعر الجديد او الشـــعر الحر) ففي دراسة عن الشاعر المصـــري ابراهيم عيسى « شاعر الهوى والجراح) كما سمته المجلة نرى تنويها بتلك « المدرسة التي كان من ابرز روادها ابراهيم ناجي ، واحمد فتحي وصالح جودت ، وكامـــل الشناوي ، وغيرهم من اقطاب المدرســـة الرومانسية العاطفية او بالاصح مدرسة الرقة العاطفية » وفي دراسة عن شـــاعر اخر نجد هذه التقدمة التي تؤكـــد الميـــل المذكور : « يعد فؤاد الطحان مـــن ارق

شعراء الشباب الرومانسيين المعاصرين بعد ان كاد هذا اللون يختفي من شعرنا الاصيل بعد ان طغت الرمزية والسريالية والعبثية فيما يسمى بالشعر الحديث ٠٠ »

مما يدعونا الى التساؤل ان كان الشعر الحديث خاليا من الاصالة والجودة ؟٠

وبالاضافة الى الميل الرومانسي نجد تحت عنوان « نحو حركة تصحيح ادبية» دعوة الى اعادة الاعتبار لذلك التيار الادبي والنقدي الذي تمثل في الشيخ محمود محمد شاكر الذي كتب في مجلة « الرسالة » المصرية بالستينات متصديا « لدعوى من يقولون بان ابا العلاء المعرى اخذ علمه من الرهبان » ، وفي عزيز اباظة الذي حارب الشعر « المجنون » ـ اي الشعر الحديث ـ وفي « الكاتب المسرحي الممتاز علي احمد باكثير » الذي حوربت مسرحياته في الستينات من جانب نقاد التيار الاخر ٠ ويبدو لنا من المقال ان المقصود بنقاد الطرف الاخر وادبائه هم امثال لويس عوض ، ومحمود امين العالم ، ونعمان عاشور ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، ويوسف ادريس ٠٠ الخ ٠

وبدون الدخول في تفضيل هذا التيار على ذاك ، فتلك مناقشة تمتد على طول تاريخ الادب العربي الحديث ، ومع موافقتنا على ان ادبنا العربي كله بحاجة الى تصحيح مخلص جريء ، فانا نؤمن بان الادب يتعمق ويخصب بالجدل المفتوح والتفاعل الخلاق بين مختلف تياراته ٠ لنفتح نوافذنا للشمس ، ولنستمع الى مختلف الاصوات الادبية والنقدية في محاورة مخلصة تكشف لنا عن جانبي الحقيقة معا دون اقتصار على هذه الجهة او تلك ٠ وكما قال الشاعر فان « اختلاف الراى لا يفسد للود قضية » ٠

وفي ختام هذه الجولة مع اضاءات « السراج » نشد بحرارة على ايدي الاخوة محرريها منتظرين مزيدا من القاء الضوء على التراث العماني ، والحاضر العماني ، والابداع العماني الذي نحن على ثقة بانه يحوي الكثير من الاصالة العربية والانفتاح الخلاق على معطيات الحضارة الانسانية

املين ان تصلنا اعداد « السراج » تباعا وفيها كل جديد مفيد مع استمرار النمو والتطور ٠



الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد للأديبة نعمات أحمد فؤاد

جمال سليم

هي المرة الاولى التي يصبح فيها العقاد موضوعا لكتاب تكتبه امراة ٠٠

لقد كان العقاد ومازال موضوعا لدراسات وابحاث ورسائل علمية في الجامعات والمعاهد وعلى مستوى الهيئات الادبية والثقافية ٠٠ لكنه لم يكن ابدا موضوعا لكتاب يتناول حياته وادبه بقلم امراة ٠٠

وصاحبة الكتاب استاذة في الجامعة هي الدكتورة نعمات احمد فؤاد واختارت له عنوانا جذابا هو « الجمال والحرية والشخصية الانسانية في ادب العقاد » ٠

وتقول الدكتورة نعمات ان العقاد وهب نفسه للكتابة ووهبت الكتابة نفسها له ، وهذا صحيح الى حد كبير ، فقد ترك لنا العقاد حياة ادبية حافلة تعج بالحيوية والنشاط واثرى المكتبة العربية باكثر من ١٠٠ كتاب في الادب والشعر والنقد والتاريخ والتراجم وله ١٢ ديوان من الشعر وقصة واحدة هي « سارة » التي صدرت عام ١٩٣٨ ، وبعد وفاته صدر له ٢٠ كتابا ٠٠ وكان له وجود واضح ومؤثر في الثلاثينات والاربعينات وحتى الخمسينات ٠

كان ايضا فارسا من فرسان السياسة ٠٠ ففي يونيو سنة ١٩٣٠ هدد في

لأول مرة يصبح العقاد موضوع كتاب لامرأة

العقاد يثري المكتبة بمائة وعشرين كتابا و١٢ ديوانا من الشعر وقصة واحدة

لماذا لم يهتم العقاد بالترجمة ؟

البرلمان بتحطيم الراس الذي يعتدي على الدستور ، وكان يقصد راس الملك فؤاد .. وكان ثمن هذه الشجاعة : السجن .

وكنت جنين السجن تسعة اشهر
وهاانذا في ساحة الخلد اولد
عداتي وحبي لا اختلاف عليهمو
سيعهدني كل كما كان يعهد

وتتساءل الكاتبة : هذا العملاق .. كيف كان يعيش ؟

ان القوم يذهبون مذاهب شتى ، فيراه قوم هاديا كالشعاع ، عاليا كالمنار ، وارفا كالظل ، زاخرا كالنهر ، عميقا كالبحر حالما كالروض ، رحبا كالافق ، خصيبا كالوادي ، مترفعا كالاسد ، مصعدا كالنسر ، مهيبا كالعلم ، عتيدا كالجبروت ، لا يرجو ولا يخشى ، اذا تكلم اسمع ، وان باحى اقنع ، وان عادى افحم ، كثير بنفسه ، سلاحه لا يفل ، وصبره لا يمل ، وجده لا يكل ، وطاقته لا تنضب !

وترى الكاتبة أن ميزة العقاد وعيبه هو « الفحولة » وتفسر هذه الفحولة بقولها :

كل انسان له جانب انثوي وجانب ذكرى ، ولكن العقاد جانب الذكورة فيه كان طاغيا ، والفنان تخدمه صفة الانوثة ، فالفنان رجلا او امرأة ، ام في احتضان البذرة اي الفكرة وتربيتها ، ثم الخضوع للوحي أو التلقي الذي يقابل في الطبيعة الحمل ، فالتانيث بالنسبة للانسان وبصفة خاصة ، الفنان ، هو الاستقبال والضيافة والاضافة ، فالنفس الانسانية مكونة من الثنائية المتضادة : من الانوثة والذكورة ، وكل صفات الجمال اقرب الى الانثى ، وكل



العقاد

صفات الجلال اقرب الى الذكر ... وهذه الفحولة المصاب بها العقاد جنت عليه في معاركه الادبية والسياسية اذ دفعته الى العنف وورطته في خصومات لم يتاخر اصحابها في التهجم العنيف عليه .

واذا كانت الفحولة ميزة للعقاد وعيب فيه في الوقت نفسه ، فالارادة الحديدية ـ أيضا ـ ميزته وعيبه لان هذه الارادة كانت وراء انكاره لاي استاذ له .

ومن فحولة العقاد ايضا انه في عصر افتقد فيه الحرية عرف الجمال بانه الحرية ، وترى الكاتبة ان رفض العقاد للوظيفة نابع من عقيدة الحرية ، وانه اتخذ السياسة وسيلة لتحقيق الحرية بمعناها الواسع .. حرية البلد وبالتالي حرية كل شيء فيه .

وقد أهتم العقاد بالفرد ، وخصه بالكثير من الدراسات والابحاث .. وقد نشأ هذا الاهتمام من اعتداده بنفسه وثقته المفرطة وقد ادى به هذا الاهتمام وتلك الثقة الى انصرافه عن الترجمة ، فلم يترجم الا مجموعة قصص لم يذكرها له احد .. فالمترجم عادة في رأس الناس هو الرجل الثاني وهو معنى لا يطيقه العقاد .. وتتساءل الكاتبة : ولماذا يترجم العقاد اراء الاخرين وعنده جديد دائما ليعطيه ..؟

واذا كان العقاد لم يترجم ، فانه ـ ايضا ـ لم يكتب المسرحية وذلك لعمق احساسه بفرديته لان المسرحية تحتاج الى معايشة الناس ، والانغماس في حياة كل يوم ، وهذا لا يتفق مع العقاد المتكف المتوحد ..

ويظهر احساس العقاد بفرديته اكثر ، في كتابه « انا » .. فقد اصدرت له « دار الهلال » قصة حياته فاختار العنوان « انا » ..

وتتحدث الكاتبة عن عبقريات العقاد فتقول أن الكتابة عن العبقرية والبطولة أو العباقرة والابطال خط واضح مميز في أدب العقاد ، وهذا الخط له اهمية خاصة عند الدارسين ..

والشخصيات التي كتب عنها العقاد ليست من طراز واحد ، فقد كتب العقاد عن عمر بن الخطاب .. وعن عمر بن أبي ربيعة .. بل ظهر كتاباه عنهما في وقت واحد رغم اختلاف شخصية كل منهما عن الاخر تمام الاختلاف .

وهذا لا يدل على عبقرية العقاد ولكنه في الواقع يكشف عن جفاف في العاطفة ، وجدب في الاحساس الانساني .. بحيث يتحول الكاتب الى طاحونة توضع فيها القمح فتطحنه .. والارز تطحنه ..

وقوالب القلوب تتلقاها كذلك ·· بنفس الدقة وبنفس الكفاءة ··

ويتحدث العقاد عن نفسه حديث المصاب بالنرجسية الشديد فيقول :

اني لا اتحدث بطبيعة الحال عن « عباس العقاد » كما خلقه الله ، ولن اتحدث عن « عباس العقاد » كما يراه الناس فالناس هم المسئولون عن ذلك ·· ولكن سأتحدث عن عباس العقاد كما اراه ·· انه شيء مخالف كل الاختلاف عن الشخص الذي يراه الكثيرون من الاصدقاء او من الاعداء ، هو شخص استغربه كل الاستغراب حين اسمعهم يصفونه أو يتحدثون عنه ، حتى ليخطر لي في اكثر الاحيان انهم يتحدثون عن انسان لم اعرفه قط ولم التق به مرة في مكان ·

ثم يصف نفسه قائلا :

هو ـ اي العقاد ـ رجل مفرط في التواضع ، ومفرط في الرحمة واللين · ورجل لا يعيش بين الكتب الا لانه يباشر الحياة ، رجل لا يفلت لحظة واحدة في ليله ونهاره من سلطان القلب والعاطفة ، ورجل وسع شدقاه من الضحك ما يملأ مسرحا من مسارح الفكاهة في روايات شارلي شابلن جميعا ··

واذا كانت الكاتبة قد اوردت وصف العقاد لنفسه من خلال كتابه الذي سماه « انا » ·· فاننا نرى أن سطور الكتاب تكذب هذا الوصف ، وتناقض هذه الاعترافات ـ اذا ما صحت هذه التسمية ـ وخاصة في الفصل الخاص بعلاقة العقاد بالمرأة ··

والكتاب صورة ادبية عن العقاد ·· ووصفية عن ادب العقاد ·· ونفسية عن انسانية العقاد ·· ولكنها في الواقع صورة تبتعد عن الواقع كثيرا بقدر ما تقترب من حبنا للعقاد وتقديرنا له ··



● كتب الاستاذ محمد جابر الانصاري في عدد شوال الماضي تحت عنوان « الازمة والحل » ما استرعى انتباه كل مفكر لاهمية حديثه : فالعالم العربي وغير العربي في ازمة جاهلية رغم كل مظاهر التمدن المعاصرة ، ولابد من البحث عن مخرج ·· والمخرج في اعتقادي ويقيني بسيط جدا : فبالنسبة للعالم العربي سوف يخرج من ازمته وجاهليته لو قرر كل مسئول فيه ان يسلك طريق « عمر بن الخطاب » تجاه المال العام والمحكومين واقام من نفسه على نفسه محاسبا قبل كل محاسب ، وطالما تناسى المسئولون العرب سلوكيات عمر بن الخطاب فلا نجاة لنا · اما بالنسبة للانسانية كلها فان ازمتها وجاهليتها تحل اذا اجمع عقلاء الامم على الاقتناع بان سبب هذا البلاء يقع في اربع مصائب هي الربا ، والزنا ، والخمر ، والميسر ، وكل ما حام حول كل منها من فروع وجزئيات ، وان اقتناع هذه الآفات الاربع سوف يوصل البشر الى الايمان بما في التراث العربي من خالد القول

● ليس مؤمنا من يبيت شبعانا ويعلم ان جاره جوعان ··

● برئت ذمة الله من قرية يبيت بها امرؤ جائع ··

اذ ان جاهلية اليوم وازمة العالم كله ترجع الى تاليه المادة شرقا وغربا ، حتى اصبحت كل العلاقات بين الافراد والجماعات والدول والشعوب مادية صرفة ، واصبح المحرك الاساسي للسلوكيات الانسانية هو (الربا ، والزنا ، والميسر ، والخمر) ، والترك لكل مفكر ان يتخيل مقدار سعادة الناس جميعا على سطح الارض لو تخلصت المجتمعات الانسانية كلها من هذا الرباعي الرهيب ، الذي يجر البشر الى حياة البهائم والوحوش

ان المخرج الحقيقي لازمة العالم عربيا وغير عربي هي مكارم الاخلاق ، ومنبع مكارم الاخلاق معروف ولست بحاجة لوضع النقاط على الحروف !!

كتاب خطير جديد

يهودي ينفي ادعاءات الصهيونية العنصرية ويثبت ببحث علمي أن اليهودية دين لا جنس

نشرت دار « راندام هاوس » اخيرا كتابا عنوانه « اصول اليهود » لمؤلفه اليهودي البلغاري (ارثر كوستلر) وهو كتاب علمي ممتاز من القطع المتوسط يتكون من (٢٥٥) صفحة ويباع بحوالي تسعة دولارات لا غير ·· واعجب ما في هذا الكتاب ان مؤلفه وهو يهودي متعصب ، يثبت فيه بطلان الدعوى الاساسية التي تقوم عليها الصهيونية العنصرية وهي التي تدعي ان كل من يدينون بدين موسى عليه السلام يرجعون الى اصل عنصري واحد ·

وقد اثبت المؤلف في بحثه هذا ان يهود « الاشكنازيم » وهم اهل السيادة في المجتمع الصهيوني وزعماؤه المسيطرون ، ليسوا ساميين اي ليسوا من ذرية سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وانهم يرجعون الى اصل اسيوي ، فهم اصلا من الخزر بين البحر الاسود وبحر قزوين وانهم كانوا وثنيين واعتنقوا الديانة اليهودية في القرون الوسطى ثم رحلوا الى مناطق بولندا وليتوانيا في اوروبا الشرقية ، وقد وجد المؤلف من قراءاته للتاريخ وتحقيقاته ان الخزر قد اختفوا فجأة من منطقتهم تلك في نفس الوقت الذي ظهرت فيه كثرة من اليهود الاشكناز في شرق اوروبا محتفظين بزيهم الخزري « القفطان والطاقية » ويستغرب المؤلف قضية تبني الاشكناز رفع لواء الدفاع عن الساميين وهم ليسوا ساميين بالمرة ويتشكك في ان يكونوا هم اول من مارسوا عداء السامية واخترعوه ثم يقول المؤلف ان الادعاء بان اليهود اليوم يمثلون عنصرا هو كلام باطل فما هم الا « قوم لا تجمعهم حضارة او ثقافة واحدة ، ولكن مجرد عادات وتقاليد تكونت لديهم من تراث المجتمعات التي نشأوا بها » ويقول : « ان الحقيقة التي ينبغي عدم تجاهلها ان قليلا جدا من اليهود من يمارس طقوس الديانة اليهودية وان اليهود في غالبيتهم ثائرون ناقمون على هذه التقاليد العتيقة السحيقة » ثم يختم بقوله ان حل مشكلة اليهود في العالم لن يكون الا بأن يذوبوا في المجتمعات التي نشأوا [illegible] وان ينسوا الى الابد افكارهم البالية القائلة « بان عليهم رسالة عنصرية وتاريخية يؤدونها » انما هم بشر عاديون لهم ما للناس وعليهم ما عليهم ، ولن يستريح العالم من افكار اليهود السوداء النازعة الى الشر [illegible] الذات والشعور بالامتياز العنصري ، الا [illegible] الى التعقل والذوبان في المجتمع البشري بعد ان تحقق انهم لا ينتمون اطلاقا الى اصل واحد » ·

هذا الكتاب العجيب لمؤلف يهودي معاصر ، جدير بالدراسة فهو « شهادة شاهد من اهلها » ··

ملحوظة :

انعقد اخيرا في القدس المحتلة مؤتمر صاخب للحوار بين اليهود بعضهم البعض حول صلاحية لغة « اليدش » وهي خليط من الالمانية وبعض اللغات الاوروبية الاخرى العبرية ، واللغة العربية ، وهكذا شأن هذا المجتمع اذا ترك لشأنه فانه سوف يأكل بعضه بعضا ، ترى اليس في هؤلاء القوم عقلاء يرون المصير المحتوم الذي تسوق الصهيونية العالمية اليه قوم موسى ؟ اما ان لهم ان يعقلوا ويتخلوا عن فكرة السلام بالقوة وان لا عيش لهم في الشرق الاوسط الا برضاء العرب ؟؟ مهما طال الزمن !!···

المحرر

مســـــابقة

الدوحة

المسابقة تتكون من قسمين :

القسم الاول من ثلاثة اسئلة : سؤال عن شخص • وسؤال عن مكان • وسؤال عن شيء •

القسم الثاني : عبارة عن ١٠ اسئلة متنوعة •

وعلى من يريد الاشتراك في هذه المسابقة ان يصل الى الاجابة الصحيحة عن هذه الاسئلة ، معتمدا على التعريف الموجود في كل فقرة ، مع المعلومات المعطاة عن حروف الاسم المطلوب ، بعد تغيير ترتيبها ويرفق الكوبون الخاص بالمسابقة مع ورقة الاجابة •

اما نتائج مسابقة العدد الماضي ، فسوف تعلن في العدد القادم •

الجوائز :

الاولى : ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة شهور •

الثانية : ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة شهور •

الثالثة : ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة شهور •

١٢ جائزة اخرى : قيمة كل منها اشتراك لمدة عام في المجلة •



من ؟ أين ؟ ما ؟

احد اعلام الموسيقى الالمان ، ولد عام ١٦٨٥ ، وتفوق في العزف على الارغن • له مؤلفات دينية وعالمية رائعة بجراتها وغناها ، وقد توفى عام ١٧٥٠ ، وتابع اولاده الثلاثة من بعده التاليف الموسيقي• اسمه مكون من كلمتين ، ومجموع حروفه ثمانية

الحروف ٢ ، ٥ ، ١ ، ٣ توجد في الوجه •

الحروف ٧ ، ٨ ، ٤ ، ٣ بمعنى شقيقة •

الحروف ١ ، ٦ ، ٥ من مستخرجات الالبان •

الحروف ٤ ، ٦ ، ٢ ، ٧ الة نفخ موسيقية •

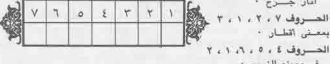
٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
		✱					

نهر اوروبي هام ، ينبع من الغابة السوداء في المانيا ، ويجرى في عرض اوروبا ، حتى يصب في البحر الاسود ، واسمه مكون من كلمة واحدة عدد حروفها سبعة :

الحروف ٥ ، ٣ ، ٦ ، ٧ آثار جرح •

الحروف ٧ ، ٢ ، ١ ، ٣ بمعنى اقطان •

الحروف ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١ ، ٢ في مصنع النسيج •



٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

غاز يكون اربعة اخماس الهواء تقريبا • ويحتاج اليه النبات في نموه ، ويستطيع نبات الفول والبازلاء الحصول عليه من الهواء ، ولكن معظم النباتات لا يمكنها امتصاصه الا على شكل مركبات من التربة

الحروف ٧ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ بمعنى نتائي •

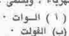
الحروف ١ ، ٥ ، ٣ ، ٦ بمعنى نعدو •

الحروف ٥ ، ٤ ، ٣ بمعنى ظلم •

٧	٦	٥	٤	٣	٢	١



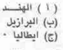
١ ـ مقياس لقوة التيار الكهربائي ، وهو لا يدلنا على كمية الكهرباء الموجودة، ولكنه يدل فقـــط على مدى قوة اندفاع الكهرباء ، ويسمى :



(أ) الـوات ·
(ب) الفولت ·
(ج) الامبـير ·



٢ ـ بركان فيزوف ثار ثورة عنيفة عام ٧٦ ميلادية ، ودمر ثلاث مدن من بينها مدينة « بومبي » · ثم ثار ثانية في عام ١٦٣١ ، وتسبب في قتل الوف الناس ، ومنذ ذلك الوقت لم يهدا ذلك البركان الذي يقع في :



(أ) الهند ·
(ب) البرازيل ·
(ج) ايطاليا ·

٣ ـ بحارة مهرة عاشوا على الطرف الشرقي للبحر الابيض المتوسط جلبوا لبلادهم القمح والكتان من مصر ، والعاج والابنوس من الهند ، والتوابل من بلاد العرب ، وأسسوا مدينة قرطاجنة في افريقيا الشمالية ، وقد أطلق عليهم اسم :

(أ) الفينيقيون ·
(ب) الاشوريين ·
(ج) البابليين ·

٤ ـ الة تشبه الكمان الا انها اكبر منها بكثير ، ولها اربعة أوتار ونغماتها عميقة جدا ، يضعها العازف بين رجليه ثم يعزف عليها بان يمرر القوس على اوتارها ، واسمها :

(أ) الفيولا ·
(ب) الكونترباص ·
(ج) الفيولونسيل ·

٥ ـ المعجم كتاب يشرح معاني الكلمات مرتبة حسب الحروف الهجائية ، وقد ظهر أول معجم عربي مرتب وفقا للحروف الهجائية في اواخر العصر العباسي الاول، ثم ظهر معجم الصحاح في العصر العباسي الثاني ، فمن هو واضع المعجم الاول :

(أ) ابن دريد ·
(ب) الجوهري ·
(ج) ابن سيدة ·



٦ ـ القاهرة عاصمة مصر منذ العصر الفاطمي وتقع على ضفة النيل الشرقية ، وقد اختطها جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، الى جوار مدينة الفسطاط والعسكر والقطائع ، التي كانت عواصم مصر قبل الفتح الفاطمي ، وكان ذلك عام :

(أ) ٨٧٥م ·
(ب) ٩١٧م ·
(ج) ٩٦٩م ·

٧ ـ عبد يوناني كتب قصصا قصيرة ممتعة ابطالها من الحيوانات ولكل قصة منها مغزى ، ومن اشهر قصصه ، قصة « الثعلب والعنب » وقصة « الارنب والسلحفاة » وقصة « الكلب والعظمة » ، وكان اسمه :

(أ) سبارتاكوس ·
(ب) ايسوب ·
(ج) اريستوفان ·

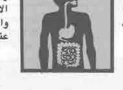
٨ ـ يدور القمر حول محوره مرة كل شهر ، كما يدور حول الارض مرة كل شهر ، لذلك فاننا نرى ناحية واحدة منه لا تتغير ، ويبلغ حجم القمر :

(أ) خمس حجم الارض ·
(ب) سدس حجم الارض ·
(ج) سبع حجم الارض ·

٩ ـ هي عاصمة استراليا باكملها ، وقد شيد البرلمان الاسترالي بهذه المدينة حتى ينتهي النزاع بين المدن الاخرى التي سعت الى ان تصبح عاصمة للقارة ، واسم هذه العاصمة :

(أ) سيدني ·
(ب) ملبورن ·
(ج) كانبرا ·

١٠ ـ القناة الهضمية تبدا بالفم وتنتهي بالاست ، وتتضمن العديد من الاعضاء كالبلعوم والمرىء والمعدة والامعاء ، ويبلغ طول القناة الهضمية عند الشخص البالغ :



(أ) ١٠ اقدام ·
(ب) ٢٠ قدما ·
(ج) ٣٠ قدما ·

مســـابقة

الدوحة

حـل مسابقة سبتمبر

اولا : مــن ؟

ابن رشـد ·

ثانيا : أيـن ؟

فنزويـلا ·

ثالثا : مـا ؟

بادمنتـون ·

أ ·· ب ·· ج ··

(١) تيتانيك ·	(٦) جـودار ·
(٢) الجـبرتي ·	(٧) طـاغور ·
(٣) جرانيت ·	(٨) الكوليزيوم
(٤) ١٦٧٥ ·	(٩) ١٢٠ طنـا
(٥) سويفت ·	(١٠) لابلاس ·

اسماء الفائـــزين في مسابقة ســبتمبر ١٩٧٦

● فـاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لـمدة ستة شهور :

انصاف محمد دبور ـ سوريا ـ طريق الشيخ محي الدين ـ بستان الجبن ـ بناية خبازة ولالا قبو ٣٧

● فـاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لـمدة ستة شهور :

فاروق العـوران ـ الدوحة ص·ب : ٢٣٦٦

● فـاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لـمدة ستة شهور :

القارىء : صالح محمد عبد الكريم السعودية ـ الرياض ـ معهـد الرياض العلمي

★● الفائزون باشتراك لمدة سنة في مجـلة الدوحـة ●★

● مهـا مسلم الكفاويين ـ الاردن عمان ـ بقالة أبو ميخائيل ـ جبل الاشرفية ـ خلف الجـامع الصغير ··

● الامـين حسين نور ـ ص·ب : ٢٨٨ السودان ـ الخرطوم وزارة الداخلية ··

● عبد العـــزيز رضوان ـ أبو ظبي ـ ص·ب : ٣٠٩

● عبد الله ادريس عباس ـ السودان ـ الخرطوم جنوب ـ معهــد المواصـلات السلكية واللاسلكية ··

● اشـــان احمـد ـ ١٥ شارع ابن حمديس ـ المغرب وجده ··

● صـالح مهـدي الجارودي ـ البحرين ـ منزل رقم ١٧٨٠ ـ ٤ شارع الفاتح ·

● عبد الرحيم خـليف ـ ٢٤ شارع ام عياض القـيروان ـ الجمهورية التونسية ·

● فاروق علي شـمالي ـ ثانوية النعمانية ـ محافظة نينوي ـ العـراق ـ موصل ·

● علي حسن سـالم ـ ص·ب : ٤١٠٥ الرياض ـ السعودية ·

● رنا عبد السلام عزت ـ الدوحـة ـ ص·ب : ٣٢٩٠

● عبد المنعم حسن ـ القاهرة ـ زين العابدين ـ ارض يعقوب شارع الحريري رقم ٥

● رجاء علي محمود الانصاري ـ ج· م· ع· دمنهور ـ ٧٩ شارع الجيش منزل ابراهيم ختعـن ·

مسابقة :

الدوحة

الاسـم :

العنوان :